



محمد بن شريفة

# تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب

بحوث ونصوص

الجزء الخامس

منشورات



وزارة الثقافة



# تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب بصوت ونصوص

محمد بن شريفة  
عضو الأكاديمية المملّكة المغربية  
والمجامع العربية



طوفان الأرض

تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب (الجزء الخامس)  
الإيداع القانوني : 2006/0249  
ردمك : 9954-0-5051-5  
سحب : مطبعة دار المناهل - 2006

# أزجال وأصدا

II



# زهد الزلافة لابن قزمان



## تصويبات ومستدركات

- وقع خلل وتفاوت بسيط في أرقام الأمثال ولكن التهدي إلى معرفة ذلك سهل.
- وقع أحيانا خلل في وضع أرقام بعض الحواشي في غير محلها ولكن معرفتها ممكنة. انظر على سبيل المثال ج 1 ص 433.
- سقطت بعض الحروف والعلامات في كتابة بعض الأسماء العربية بالحروف اللاتينية وملاحظتها ظاهرة. انظر ج 4 : 176، 178، 183 على سبيل المثال.
- يضاف إلى ما قيل في شرح المثل الوارد في الحجاج (2: 112) قول الشاعر عبد العزيز الملزوزي:  
أتظن أن الحاج يعمل صالحا لا بارك الرحمن في الحجاج
- يضاف إلى شرح المثل رقم 354 عند الزجاجي (2: 181) ما يلي :  
ولبعض الشعراء في قوادة:  
تجمع بالحيلة أوساطنا كأنها مسمار مقراض  
ويزاد في آخر شرح المثل رقم 334 ج 2 ص 178 ما يلي:  
ويقرب من هذا قولهم: كل مأخوذ متروك. وقد ورد في شعر لأبي العاصي غالب بن أمية (ق. 4 هـ) قال في رثاء القصر الأموي بقرطبة: (التكملة).

يا قصر كم قد حويت من ملك دارت عليه دوائر الفلك  
يا قصر من قد حويت من نعم عادت لقي في عوارض السكك  
ابن ما شئت جل متخذ يعود يوما بحال مترك.

- يضاف إلى شرح المثل رقم 536 عند الزجالي (2: 214) ما يلي:  
"فانتدب لهذا الشأن نصراني ماكر أشقر أزرق أنحس تقضي الفراسة أنه  
جامع للشر" الروض المعطار "مادة حصن الكرّس"

- يضاف إلى شرح المثل رقم 580 عند الزجالي (2: 22) ما يلي:  
ومثله بيت ورد في أساس البلاغة:

لا يمدّن إلى سرّي يداً      وإلى ما شاء مني فليمد  
والسرّ: الفرّج

- في 4 ص 148 س 1 وص 14: الصواب: الراوية.
- وفي ص 356 ص 6: الصواب: لما التاح النهار؟ أي لما لاح وبدأ  
وظهر. وفي س 16: الصواب: ما دائم، أي لا يدوم.
- يزداد في آخر شرح المثل رقم 286 ج 4 ما يلي: "وفي إحكام  
صنعة الكلام (ق. 6 هـ) ورد البيت التالي:
- فجلبنا بزنا نحوه      وغلاء السعر جلاب

- أوردت في ج 4 ص 235 خبر المصاحف التي كتبها السلطان أبو  
الحسن ووجهها إلى الحرمين والقدس الشريف وقد نشرت وزارة الأوقاف في  
المغرب بالتصوير جزأين من مصحف القدس.

- يضاف إلى ما كتب حول مدينة البنية في ج 4، ص 151 س 4 ما  
يلي:

- ورجع (بمعني السلطان يعقوب بن عبد الحق) إلى الجزيرة من  
غزاته ونظر في اختطاط مدينة بفرضة الحجاز من العدو لتزول عسكره منتبذاً  
عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العساكر وجفائهم وتخير لها مكاناً لصق

الجزيرة فأوعز ببناء المدينة جوارها المشهورة بالبنية وجعل ذلك لنظر من وثق به " العبر 7 : 399.

- وفي ص 374 ج 4 سقط بعد السطر الأخير ما يلي: "فورم وهلك لليال قرية عفا الله عنه لثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين، وبعث أولياؤه بالخبر إلى ابنه بمعسكره".

- وفي ص 355 منه س 9: الصواب : كيف أن. وفي آخر س 16: الصواب : ولكن.

- وفي ج 5 ص 113 يضاف إلى شرح البيتين الثاني والثالث ما يلي:

- وقريب من هذا قول البحري:

والليل في لون الغراب كأنه      هو في حلوكته وإن لم ينبع  
حتى تبدي الفجر من جنباته      كالماء ينبع من خلال الطحلب

وقول بعضهم:

وناظر مقلة فيها بياض      يدافع حقه أبداً بشك  
رآه الصير في فقال هذا      عيار من لجين في محك

- وفي ص 356 س 5: الصواب : فيه.

- وفي ص 13 ج 5 س 16 يزداد بعد كلمة المعركة ما يلي: الكبرى التي. وفي ص 382 س 16 يقرأ ما يلي: يمثل ضرباً من الزمالة الأكاديمية ونموذجاً.

- لم استقص كل ما قيل في أبي الحسن المبريني فما فاتني على سبيل المثال رسالة ابن الجياب في العزاء بالسلطان أبي الحسن.



- ومما يتعلق بأبي الحسن أيضا ما يلي:

"وحكي أن السلطان أبا الحسن المريني سبَّ عبد المهيمن الحضرمي بمجلس كتابه. فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره وقال: هذا هو الجامع بيني وبينك. ثم إن السلطان أبا الحسن ندم وأفضل عليه وخجل مما صدر منه وأحسن إليه".

نفح الطيب 5 : 468.

"وحكي أن القاضي المليلي وأبا محمد عبد المهيمن الحضرمي صاحب العلامة للسلطان أبي الحسن حضرا مجلس السلطان فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرازق فقال المليلي: جمع من الفنون كذا حتى وضع يده علي أبي محمد عبد المهيمن وقال مخاطبا السلطان: ويكتب لك أحسن من ذا. فوضع عبد المهيمن يده على المليلي وقال: نعم يا مولاي ويقضي لك أحسن من ذا". المصدر نفسه.

- فاتني أن أشير إلى أن مجونية ابن الأزرق في أطعمة أهل الأندلس ترجمت إلى الإسبانية.

- بعد طبع هذا العمل ظهر بحث حول قصيدة البونية للباحث الجزائري محمد مواق.

- وأنبه في الأخير إلى ما يمكن أن يكون قد وقع من خطأ فاتني تصحيحه.

ابن قزمان هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان القرطبي<sup>(1)</sup> عاش في عصر المرابطين، وله أزجال في مدح بعض أمرائهم<sup>(2)</sup> ورجال دولتهم<sup>(3)</sup>، وصفه ابن سعيد بأنه إمام الزجالين على الإطلاق<sup>(4)</sup>، وقال إنه رأى أزجاله المدونة ببغداد أكثر مما رآها بحواضر المغرب<sup>(5)</sup> ولعلنا نجد مصداق هذا القول في كون النسخة الوحيدة من ديوان ابن قزمان كتبت في مدينة صفد بفلسطين في القرن السابع<sup>(6)</sup> الهجري.

ذكر الحجاري أن ابن قزمان «كان في أول شأنه مشغولا بالنظم المغرب فرأى نفسه تقصر عن شعراء عصره كابن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لا يمازجه فيها أحد منهم فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس»<sup>(7)</sup>.

ونص ابن سعيد على أن الأزجال قيلت قبل ابن قزمان ولكن لم تظهر حلاها ولا انسبكت معانيها ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه<sup>(8)</sup>.

ويبدو أن البيئة الأدبية الجديدة في عصر المرابطين كانت من أسباب ازدهار فن الزجل فقد كان عدد من أمراء المرابطين وولاتهم وقضاتهم

1- ترجم له من القدماء كابن سعيد في المغرب وابن الأبار في تحفة القادم وابن الخطيب في الإحاطة والصفدي في الوافي بالوفيات وكتبت فيه دراسات عديدة وأطروحات معظمها بلغات أجنبية ونشر ديوانه أول مرة بالتصوير في برلين سنة 1896 ثم ظهر مطبوعا بحروف لاتينية بعناية نيكل سنة 1933 وطبعه بنفس الطريقة مع تقديم وتعليق إميليو غرسية غومس سنة 1972 ونشره بعد ذلك كورينتي في طبعتين إحداهما بمدريد سنة 1980 والأخرى بالقاهرة سنة 1995.

2- مثل علي بن يوسف بن تاشفين وولده تاشفين والوزير بن عمر اللمتوني.

3- مثل بني حمدين والقاضي ابن الحاج والقاضي ابن أضحى وغيرهم.

4- المقتطف : 263

5- نفح الطيب 7 : 15

6- هي التي نشرها بالتصوير جونزبورج

7- المغرب 1 : 100.

8- المقتطف : 263.

يستطرفون الزجل ويتجاوبون معه بعكس ما كان عليه الحال لدى ملوك الطوائف الذين كانوا من حماة الشعر الفصيح. ولعل ألفاظ الزجل ومعانيه ومواضيعه المستمدة من الحياة اليومية أكسبته حيوية وجاذبية وأعطته قبولاً وقرباً من عامة الأندلسيين وخاصتهم أيضاً ومن الملاحظ أن جل ممدوحى ابن قزمان هم من القضاة والفقهاء الذين كانت أمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم فعظم أمرهم وانصرفت وجوه الناس إليهم فكثر لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم<sup>(1)</sup>.

إن ديوان ابن قزمان يقدم صورة حية لحياته وعصره ففيه أصداء الحياة اليومية كما كانت تتردد في البيوت والشوارع والأسواق وهو يعبر عن هموم العيش كالمسكن والطعام واللباس ومتطلبات المناسبات مثل كبش الأضحية وكسوة العيد وغير ذلك<sup>(2)</sup> ويعتبر هذا الديوان وثيقة قيمة جدا للعامة الأندلسية في وقته ؛ وقد عني بدراسته عدد كبير من المستشرقين وغيرهم وكان لي نصيب في الكشف عما اشتمل عليه من أمثال عامية<sup>(3)</sup>.

وبدا لنا الآن أن نفتتح هذا القسم الثاني من الأزجال بزجل من أزجال هذا الزجال الكبير وهو الذي سماه الأستاذ إميليو غرسية غومس زجل الزلاقة. وقد اخترناه لعلاقته بالمحور العام لأزجال هذا المجموع التي يدور معظمها حول الأحداث والوقائع؛ ومعركة الزلاقة التي عرض لها ابن قزمان في هذا الزجل تحدث عنها بتفصيل عدد من المؤرخين وخصها الباحث المستعرب الفرنسي Vincent Lagardier بكتاب شامل سماه : Le Vendredi de Zallaque أي جمعة الزلاقة، ويقصد اليوم الذي وقعت فيه

1- المعجب : 17

2- انظر الفصل الواسع الذي خصصه استاذنا المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهواني في كتابه الرائد الزجل في الأندلس

3- نوه بذلك صديقنا العالم اللغوي الكبير الأستاذ ف كورينت في مقدمة تحقيقه للطبعة المصرية من الديوان ص : 7 وفي خلال صفحات هذه الطبعة.

وهو يوم الجمعة (أو يوم العروبة) 15 رجب سنة 479هـ/1086م. وقد سبق أن قال في هذه الواقعة عدد من أهل الشعر الفصيح كابن وهبون وابن عباد وابن حمديس وغيرهم، يقول ابن وهبون في مدح يوسف بن تاشفين حليف المعتمد وبطل الزلافة :

فثَارَ إِلَى الطَّعَانِ حَلِيفٌ صَدَقَ تَثُورُ بِهِ الْحَفِيزَةُ وَالذَّمَامُ  
نَمِي فِي حَمِيرٍ وَنَمَتَكَ لَحْمٌ وَتَلَكَ وَشَانِجٌ فِيهَا التَّحَامُ  
فِيُوسُفُ يَوْسُفُ إِذْ أَنْتَ مِنْهُ كِيَامِنَ لَا وَهَى لَكَمَا نِظَامُ  
نَهَجْتَ لَسِيلَهُ نَهْجًا فَوَافَى وَفِي آذِيهِ الطَّامِسَى عُرَامُ  
فَهِيلَ بِهِ كَثِيبُ الْكُفْرِ هَيْلًا وَكُلَّ رَفِيعَةٍ مِنْهُ رُكَامُ  
وَصَارُوا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَرْضًا كَأَنَّ وَهَادَهَا مِنْهُمْ أَكَامُ  
عَدِيدٌ لَا يَشَارِفُهُ حِسَابٌ وَلَا يَحْوِي جَمَاعَتَهُ زَمَامُ  
تَأَلَّفَتِ الْوُحُوشُ عَلَيْهِ شَتَى فَمَا نَقَصَ الشَّرَابُ وَلَا الطَّعَامُ  
وَيَقُولُ فِي الْأَدْفُونَشِ الَّذِي فَرَّ لَمَّا رَأَى جَيْشَهُ قَدْ أَبِيدَ عَنْ آخِرِهِ :

فَايْنِ الْعُجْبُ يَا أَدْفُونَشُ هَلَا تَجَنَّبْتَ الْمَشِيخَةَ يَا غُلَامُ  
سَتَسْأَلُكَ النِّسَاءُ وَلَا رِجَالٌ فَتُخْبِرُ مَا وَرَاءَكَ يَا عَصَامُ  
أَقَمْتَ لَدَى الْوُغَى سَوْقًا فَخَذُهَا مَنَاجِزَةً، وَهُونٌ مَا تُسَامُ  
فَبَانَ شَتَّى اللَّجَيْنِ فَثَمَّ سَامٌ وَإِنْ شَتَّى النَّضَارِ فَثَمَّ حَامُ  
رَأَيْتَ الضَّرْبَ تَصْلِيْبًا فَصَلَّبُ فُأَنْتَ عَلَى صَلِيْبِكَ لَا تُلَامُ



ويقول ساخرا من فراره ليلا :

سَيَعْبُدُ بَعْدَهَا الظُّلَمَاءَ لَمَّا أُتِيحَ لَهُ بِجَانِبِهَا اكْتِمَامُ  
نَضَا أَدْرَاعِهِ وَاجْتِنَابَ لَيْلًا يَوَدُّ لَوْ أَنَّ طَوْلَ اللَّيْلِ عَامٌ  
وَلَا يَنْفَكُ كَالْخُفَّاشِ يُغْضِي إِذَا مَالَمَ يَبَاسِرُهُ الظُّلَامُ<sup>1</sup>

والمعتمد بن عباد الذي وقف في الزلاقة موقف الأبطال له قصيدة يذكر فيها يوم الزلاقة ويشيد بثبات يوسف بن تاشفين فيه منها :

وَيَوْمَ الْعُرُوبَةِ ذُدَّتْ الْعِدَا نَصْرَتَ الْهُدَى وَأَيَّتَ الْفَرَارَا  
ثَبَّتَ هُنَاكَ وَإِنَّ الْقُلُوبَ بَ بَيْنَ الضَّلُوعِ لَتَأْتِيَ الْقَرَارَا  
وَلَوْلَاكَ يَا يَوْسُفَ الْمُتَّقِي رَأَيْنَا الْجَزِيرَةَ لِلْكَفْرِ دَارَا

ومما جاء في آخرها :

سَتَلْقَى فِعَالِكَ يَوْمَ الْحَسَا بِرِ تَنْثُرُ بِالْمِسْكِ مِنْكَ انْتِشَارَا  
وَلِلشُّهْدَاءِ ثَنَاءٌ عَلَيْكَ بِحُسْنِ مَقَامِكَ ذَاكَ النَّهَارَا<sup>2</sup>

وممن ذكر الزلاقة في شعره ابن حمديس الذي يقول من قصيدة طويلة :

وَمَعْتَرِكِ تَلَقَّى الْفُنْشُ فِيهِ غَرِيماً مُهْلِكاً نَفْسَ الْغَرِيمِ  
تَسْتَرُ بِالظُّلَامِ وَفَرَّ خَوْفاً يَرُوعُ شَقَّ سَامِعَتِي ظَلِيمِ  
وَذَاقَ بِيُوسُفَ ذِي الْبَاسِ بَوْساً فَمَرَّرَ عِنْدَهُ حُلُوَ النَّعِيمِ  
وَقَدْ نَهَشَتْهُ حَيَّاتُ الْعَوَالِي سَلَوَا لَيْلَ السَّلِيمِ عَنِ السَّلِيمِ<sup>3</sup>

1. الدخيرة 1/2 س : 247 - 248 ونضا أذراعه : خلع دروعه

2. خريده القصر

3. ديوانه 335 - 438 تحقيق د. إحسان عباس والسليم اللديغ وفي المثل : بات بليلة سليم.

ويبدو أن الزجالين الذين كانوا في تلك الحقبة نظموا أزجالاً في هذه الواقعة ولكن لم يصل إلينا منها إلا زجل ابن قزمان وأبيات من زجل نظن أنه قيل في الزلافة لمن اسمه أبو الحسن علي بن محمد الشاطبي، وقد حفظ لنا صفي الدين الحلي في كتابه العاقل الحالي مطلع الزجل وأبياتاً منه نسوقها حسب ترتيب ورودها في صفحات الكتاب المذكور، جاء في ص : 29 : «وكقول أبي الحسن علي بن محمد الشاطبي في مطلع زجل :

المسرّاتُ كثيره والأفراحُ    اهنا نَحْتَجُ نَصْرَفُ الأمداحُ

وجاء في ص : 34 : وكقول أبي الحسن الشاطبي في الزجل الذي تقدم ذكر مطلعته يصف حال العدو يوم الغزاة :

ورجاعتُ عليه جنودُ وبالُ    ومال النّحسُ ماعو كِفُ ما مالُ  
لَمْ تُنَجِّهِ وَصِيّةُ القُردِ نالُ    ولَ فَادَتْ نصيحةُ النّصّاحُ

وقردنال هي cardinal وجاء في ص : 41 : وكقول علي بن محمد الشاطبي في الزجل نفسه يصف الغزاة :

لَمَّا انضَمَّتِ الصُّفوفُ للصُّفوفُ    ضَمُّ إعجابو والقَدَرُ للوقوفُ  
وكيَزَعَمَ بأنْ يراك معسوفُ    ومع الشّمسِ لِسَ يضي مصباحُ

وجاء في ص : 52 . وكقول أبي الحسن علي بن محمد الشاطبي في أقفال من الزجل نفسه :

جَنّا صارتْ بلادك الأندلوسُ    ووجوه أهلها بحال الشُّموسُ  
لِسَ شَيّ ما يشكون ما عاشو بوس    قد عطاهم من الخطوب السّراحُ

وجاء في ص 77 وللاستاذ أبي الحسن علي بن محمد الشاطبي في الزجل المتقدم ذكره يقول في بيت في وصف الغزاة :

أَيِّ مَقَامٍ كَانَ أَقْلُ ذَاكَ الْمَقَامِ رَوَّاهُ الرُّومُ عَجَائِبًا لَا تُرَامُ  
سَيُوفًا تَبْرِي الْعِظَامَ الْعِظَامُ وَخِيولًا لَا تُبَارِيهَا الْأَرْيَاحُ

- وفي وصف ص 79 - 80 «ووجدت من ذلك للأستاذ أبي الحسن الشاطبي في أغصان بيت من هذا الزجل يقول في صفة الحرب :

كُلَّمَا رَأَى السُّيُوفَ إِلَيْهِ تَنْجَبَذُ صَاحٌ وَيَشْكُو وَثَمَ لَمْ يَرْتَعِدْ  
يَنْبَحُ الْكَلْبُ إِذَا يَرَى لِلْأَسَدِ وَالْأَسَدُ لَسٌ يَهْزُو ذَاكَ النَّبَاحُ

أما أبو الحسن هذا فلا يوجد له ذكر في غير كتاب العاقل الحالي ولا يعرف له غير هذا الزجل، وفي المترجمين الأندلسيين من أهل ذلك العصر من إسمهم أبو الحسن علي بن محمد الشاطبي ولكن لا ينسب إليهم شيء من هذا القبيل وأقربهم في نظرنا هو أبو الحسن علي بن محمد الشاطبي نزيل فاس الملقب بالطشتلير.

وثمة تشابه بين هذا الزجل - على نقصانه - وزجل ابن قزمان الآتي، يقول الشاطبي :

أَيِّ مَقَامٍ كَانَ أَقْلُ لِي ذَاكَ الْمَقَامِ رَوَّاهُ فِيهِ الرُّومُ عَجَائِبًا لَا تُرَامُ

ويقول ابن قزمان :

أَيُّ نَهَارٍ كَانَ حَشْدٌ إِلَيْهِ الْوَرَى وَجَرَى لِلنَّصَارَى فِيهِ مَا جَرَى

ويقول الشاطبي في وصف حال ألفونسو :

ورجاعت عليه جنود وبال ومال النحاس ماع كف ما مال

لم تنجيه وصية القردنال ولا فادت نصيحة النصاح

ويقول ابن قزمان فيه كذلك :

صارت المحنة ماع أيما صار ومشى بينهم وهو قد حار

فخرج من غدير إلى تيار ومشى من فلوك إلى زمهير

ويلتقي الزجلان أخيراً في وصف حال الأندلس بعد الزلافة ففي زجل الشاطبي :

جنه صارت بلاد الأندلوس ووجوه أهلها بحال الشُّموس

لس شي ما يشتكو ما عاشو بوس قد عطاهم من الخطوب السراح

وفي زجل ابن قزمان :

لم تكون الجزيرة مسكونه إلا بالله وسعد لمتونه

عش كثير لا تعب ولا مونه هذا هو الصفا بلا تكدير

صنع الله لكل صنعا جميل ولطيب الحيا وجدنا سبيل

فنحن في نعمه وظلا ظليل كل شكراً طويل عليه قصير

وأما زجل الزلافة - كما سماه غ. غريث - فقد قاله ابن قزمان في ذكرى

هذه المعركة ١١١١ وقعت قبل أن يولد، وجاء تذكره إياها في

سياق مدح أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين واستقباله - فيما

يبدو - أبا جعفر ابن حمدين لتوايته قضاء قرطبة ويشتمل هذا الزجل



الذي هو من أطول أزجال ابن قزمان على مدح علي بن يوسف تاشفين ومدح والده وذكر معركة الزلاقة ومدح أبي جعفر ابن حمدين وذكر ولائه لأمر المسلمين وأهليته للثقة التي وضعت فيه مع الإشارة إلى خصومه وينتهي الزجل بالترحم على أخيه أبي القاسم أحمد ابن حمدين، ومن الواضح أن ثناء ابن قزمان على أبي جعفر ابن حمدين وترحمه على أخيه ومدحه لبني حمدين عامة كان بسبب كرمهم وحسن تصرفهم كما أن صورة المرابطين في هذا الزجل هي الصورة المنصفة التي نجدها عند عدد من المؤرخين وأما وصف الزلاقة فهو من وحي الذاكرة الشعبية والمرويات المتداولة بين الناس، يومئذ.

هذا بإيجاز بعض ما يتعلق بموضوع هذا الزجل وأما ما يخص الشكل فإنه - حسب كورينتي - مشطر ساذج عروضه من الخفيف المحذوف التفعيلة الثالثة (فاعلات مستفعلن فاعلن) وأما غ. غومث فإنه يذهب فيه وفي غيره إلى نفي علاقته بعروض الخليل وفيما يلي نص الزجل :

مِثْلَ ابْنِ تَاشَفِينٍ<sup>(١)</sup> يُقَالُ لَهُ أَمِيرٌ  
وَالْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِ عَادَتِ تَصِيرِ

1. بَارَكَ اللَّهُ فِي (أَهْلٍ)<sup>(٢)</sup> ذَا الْأَيَّامِ

تَجِيْ أَعْوَامٌ إِذَا مَضَتْ أَعْوَامٌ  
وَجَعَلَهُمْ سَلَاطِينَ الْإِسْلَامِ  
وَنَصَرَهُمْ كَمَا هُوَ نَعْمَ النَّصِيرُ

2. يَعْجِبُونِي بِالْحَقِّ شَيْئًا عَجِيبٌ

وَتَنَاهُمْ فِي فَمٍ كُلِّ خَطِيبٍ  
وَأَنَا يَدٌ<sup>(٣)</sup> فِي الْمَوَدَّةِ رَغِيبٌ  
وَنَحِبٌ الَّذِي نَحِبُ كَثِيرٌ

3. ذَا هُوَ سُلْطَانٌ كَمَا يُقَالُ سُلْطَانٌ

أَنْ يُحْكَمَ بِالسُّنَنِ وَالْقُرْآنِ  
وَذَكََا لَسْ نَفْسٌ عَلَيْهِ شَيْطَانٌ<sup>(٤)</sup>  
يَنْتَلَفُ عِنْدَهُ الذَّكََا وَيَحِيرُ

1- المقصود به أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين.

2- زيادة في طبعة كورينتي والمقصود بهم المرابطون وفي طبعة غومس : في هذا.

3- يد : أيضا

4- أي ذكا. لا يخطر ببال الشيطان أو لا ينافس فيه، وقد تكون لس يقس عليه أي لا يقاس عليه

4. صَاحِبَ الْعِدْوَةِ صَاحِبَ الْأَنْدَلُسِ<sup>١</sup>

لَا يَجْبَرُ وَلَا هُوَ وَجْهُهُ عَبُوسٌ  
تَسْتَفِيثُ بِهِ وَتَجْذِبُ الْبُرْنُسُ<sup>٢</sup>  
وَفَرَّ الْوَاسِطَةَ وَدَعَ السَّفِيرَ<sup>٣</sup>

5. ثُمَّ فِيهِ مِنْ فِطْنٍ وَصِدْقٍ ظُنُونٌ

أَنْ يَقُولَ لَكَ يَكُونُ كَذَا وَيَكُونُ  
وَكَلَامُهُ رَطَبٌ بِحَالِ الْقُطُونِ<sup>٤</sup>  
بِمَعَانِي مِثْلَ الْحَدِيدِ الذَّكِيرِ<sup>٥</sup>

6. يَا وَلَدَ الْأَمِيرِ (أَبُو) يَعْقُوبُ<sup>٦</sup>

حَبَّكَ اللَّهُ فَمَنْ أَتَى<sup>٧</sup> مَحْبُوبٌ  
كَمْ ذَا تَعَفُّو إِذَا عَمِلَ لَكَ ذُنُوبٌ  
وَأَتَ لَا شَكَّ عَلَى الْعُقُوبَةِ قَدِيرٌ!

7. مَا فِي عِلْمِي وَمَا سَمِعْتُهُ نَقُولُ

نَذْرِي أَنَّكَ نَصَرْتَ دِينَ الرَّسُولِ  
وَرَبَطْتَهُ وَكَانَ بَعْدَ مَحْلُولِ  
حَتَّى لَسَ كَانَ بَقِيَ لِي غَيْرُ يَسِيرٍ<sup>٨</sup>

١- لعدوة ضفة الوادي أو البحر وأطلقها الأندلسيون على المغرب وصاحب العدوتين أو صاحب البرين لقب ملوك المغرب في عهدي المرابطين والموحدين.

٢- هذه قراءة كوريسي، وهي قراءة جيدة وفي المخطوطة ردا ع السفير والمعنى أن أمير المسلمين كان سهل الحجاب يصل إليه الناس بدون واسطة

٣- الحديد الذكير أو حديد ذكير هو الذي يسمى هند acier

٤- كنية أمير المسلمين يوسف بن تاشفين

٥- أي فممه أنت.

٦- يعني أن البرنس ماركوا الإسلام في الأندلس بعد أن انحلت عروته وكان على وشك الضياع

8. رَجَعَ اللَّهُ مَنْ جَاهَدَ الْكُفَّارَ<sup>1</sup>  
وَالْكُوكَبَ عَرَضَ لَهُمْ بِالنَّهَارِ<sup>2</sup>  
بِعَسْكَرٍ جَرَّارٍ وَرَأَى جَرَّارَ  
وَسَيْوِفًا تَقْطَعُ وُروسًا تَطِيرُ
9. أَيُّ نَهَارٍ كَانَ حُشِدَ إِلَيْهِ الْوَرَى  
وَجَرَى لِلنَّصَارَى فِيهِ مَا جَرَى<sup>3</sup>  
فِي خُصِي وَلَدِي<sup>4</sup> كُنْتُ أَنَا لَمْ نَرَى  
إِنَّمَا أَخْبَرَنِي بِالْقِصَّةِ خَيْرُ
10. أَيُّ خُمَارًا لَطِيفٌ وَلَعْبًا خَبِيثٌ  
الْقِتَالُ سَاكِتٌ وَالْحَدِيدُ يَسْتَغِيثُ  
لَا تَكَرَّرْ عَلَيَّ هَذَا الْحَدِيثُ  
فَأَنِّي ذَا اللَّيْلَةِ كُنْتُ فِي السَّرِيرِ<sup>5</sup>
11. صَبَّاحَ الْجُمُعَةِ قَامُوا وَقَتِ الصَّبَّاحِ<sup>6</sup>  
جَمَعُوا فِيهِ بَيْنَ اللَّحْمِ وَالرَّوْحِ  
بَكَرَ الْمَوْتُ إِلَى ذِيكَ الْأَرْوَاحِ  
عَلَيَّ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بَكِيرُ

1. يقول في ممدوحه إن الله ردَّ إلينا في شخصك والدك الذي جاهد الكفار في وقعة الزلاقة  
2. هذا مثل أصبه عند الميداني رأى الكواكب ظهراً يضرب عند اشتداد الأمر وهو شائع في البلاد العربية. أنظر ابن شنب رقم 1967 وابن سودة 243 و291  
3. أي ياله من نهار، ويقصد به يوم معركة الزلاقة، وهو يوم الجمعة 15 رجب سنة 479 هـ 1086 م  
وقد وصف المؤرخون ما جرى للنصارى في الزلاقة بتفصيل انظر (وفيات الأعيان) و (الروض المعطار)  
4. ولدي والذي أي أنه لم يكن ولد بعد في وقت الزلاقة ولذلك فهو لم يشهدها وإنما نقل خبرها عن عارف بها  
5. هذا من أسبوت سر قزمان الهزلي وأدائه العامي والمقصود أن أخبار الزلاقة فيها هول ورعب وفزع  
6. أخذ اس فرسان يسرد وقائع الزلاقة، وذكر المؤرخون أنه كان هناك اتفاق على أن تكون المجازة يوم السبت لأن يوم الجمعة يوم عيد المسلمين ولكن الادفونش Al Fonso VI غدر ومكر فبكر إلى القتال يوم الجمعة. وقوله . ذلك الأرواح أي تلك الأرواح.



12. وَرَأَيْتُهُ بِالرَّأْيِ وَاللَّمْطِي<sup>١</sup>  
يَجْرِي مِنْ مَشْرِفِي إِلَى خَطِي<sup>٢</sup>  
أَشُّ يُطَلَّبُ مِنَ الطُّعْنِ يَعْطِي<sup>٣</sup>  
لَسٌ يَقِيلُ شَفَرَتَهُ وَلَا يَسْتَدِيرُ<sup>٤</sup>

13. وَتَرَى عَلِجًا قَدْ طُعِنَ لَاغِيرُ<sup>٥</sup>  
رُوحٌ يُخْرِجُ لَسٌ ثُمَّ إِلَّا خَيْرُ<sup>٦</sup>  
وَهُوَ هَابِطٌ عَلَى ضَنَاوَةٍ<sup>٧</sup> سِيرُ<sup>٨</sup>  
لَجَهَنَّمَ مَضَى وَيَيْسُ الْمَصِيرُ

14. حَبْدًا النَّفْسُ فِي اللَّيَانِ حَبْدٌ<sup>٩</sup>،  
طَالِبَ الشَّرِّ مَعْنًا شَرُّ وَجَدٌ<sup>١٠</sup>  
نَرَى الْإِسْلَامَ هَبُوطُ<sup>١١</sup> أَسَدٌ فِي أَسَدٍ<sup>١٢</sup>  
وَالنَّصَارَى خَنْزِيرٌ وَرَأَى خَنْزِيرٌ

15. صَارَتِ الْمِجَنَّةُ مَاعٌ أَيَّمَا صَارَ<sup>١٣</sup>  
وَمَشَى بَيْنَهُمْ وَهُوَ قَدْ حَارَ<sup>١٤</sup>

١- هكذا في طبعة كورينت وفي طبعة غ غومث ورأيت (بين) الرايات واللمطي واللمطي قال بعضهم إنها نسبة إلى لمطة وهي بلدة في السوس الأقصى فيها كانت تصنع الدرق اللمطية، وقال آخرون أنها نسبة إلى اللمط وهو حيوان من جلده تتخذ الدرق اللمطية ومشرفي سيف منسوب إلى بد يدعى مشارف وخطي : رمح منسوب إلى بلد اسمه الخط.

٢- هكذا في طبعة كورينت وفي طبعة غ غومث : لس تقل شهو تو ولا يستدير.

٣- هكذا في طبعة كورينت وفي طبعة غ غ : تخرج وقال كورينت إن الروح في اللهجة الأندلسية مذكورة

قلت : هي في اللهجة المغربية مؤنثة يقال : خرجت روحو، طلعت روحو

٤- في الأصل : طناوة، وقرأها كورينت ضناوة، وعند غ غومس طيارة.

٥- في الأصل جيد النفس فالليان جيد. وتصرف غ غ فكتبها كما يلي من حير النفس بالحيار حثد

أما الموجود هنا فهو قراءة كورينت.

٦- كأنه مثل وهو من طلب شراً وجده

٧- لإسلام : المسلمون

فَخَرَجَ مِنْ غَدِيرٍ إِلَى تَيَّارٍ  
وَمَضَى مِنْ فُلُوكَ<sup>١</sup> إِلَى زَمْهَرِيرٍ

16. لَمْ تَكُنِ الْجَزِيرُ<sup>٢</sup> مَسْكُونَةً  
إِلَّا بِاللَّهِ وَسَعْدَ لِمَتُونُهُ<sup>٣</sup>  
عِشْ كَثِيرٌ لَا تَعَبٌ وَلَا مُؤَنَةٌ  
هَذَا هُوَ الصَّفَا بِإِلَاءِ تَكْدِيرٍ

17. صَنَعَ اللَّهُ لِلْكَلِّ صَنَعًا جَمِيلًا  
وَلَطِيبَ الْحَيَا وَجَدْنَا سَبِيلًا  
فَنَحْنُ فِي نِعْمَةٍ وَظِلًّا ظَلِيلًا  
كُلُّ شُكْرًا طَوِيلٌ عَلَيْهِ قَصِيرٌ

18. دَوْلٌ هِيَ مِنْ ذَهَبٍ بِفَخْرِهِ بَنَى<sup>٤</sup>  
وَبَاعَ الْمَالَ وَأَشْتَرَى الثَّنَا  
وَيَحْبُوكَ الْأَنْدَلُوسُ<sup>٥</sup> وَأَنَا  
مَا أَظُنُّ أَنَّ يَخِيبُ فَيْكَ التَّقْدِيرُ

19. الَّذِي حُبُّهُ فَيْكَ أَشَدُّ وَأَشَدُّ  
نَعَمْ نَعَمْ أَتَمَّ أَطَمَّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ

---

١- عند غ.غ. : شلوك.. والزجال يتحدث عن الادفونش وكيف ضاقت به السبيل

٢- الجزيرة : الجزيرة أي الأندلس.

٣- لمتونة : إحدى قبائل صنهاجة ومنها يوسف بن تاسفين وقومه ويصف ابن قرمان في هذا والذي بعده كيف أصبحت الأندلس تنعم بالأمن والرخاء بعد دخول المرابطين.

٤- في المخطوط : دل فخر بنا وقراها غ.غ. داراً لو هي من ذهب فخر بني وقد اعتمدت ما عند كورينتي والمعنى أن الممدوح بنى دولته بالإنفاق وفيه إشارة إلى الذهب الذي دخل مع المرابطين ومنه سكت العملة المسماة Maravedi

٥- الأندلوس : أي أهل الأندلس.

هُوَ ابْنُ حَمْدِينَ الْحُلُوْ كَالشَّهْدِ  
الشَّرِيفُ الْكَبِيرُ ابْنُ الْكَبِيرِ<sup>1</sup>

20. الَّذِي هُوَ عَلَى الْمَكَارِمِ حَرِيصٌ  
وَيَرَى غَالِي الْمَدَائِحِ رَخِيسٌ  
فَلَوْ أَنَّ الْكَرَامَ<sup>2</sup> يُكُونُوا قَمِيصٌ  
كَانَ هُمْ عَاتِقٌ وَكَانَ هُوَ التَّدْوِيرُ<sup>3</sup>

21. مَاعُ غُرَّةٍ يَعَشَقُهَا بَدْرُ التَّمَامِ  
وَأَصَابِعُ يَسِيرُوا بِهَا<sup>4</sup> الْغَمَامُ  
وَجَلَالُهُ يَمْتَدُّ<sup>5</sup> فِيهَا الْكَلَامُ  
وَفَضَائِلُهُ يَطُولُ فِيهَا التَّفْسِيرُ

22. وَوَقَارًا يُوَقِّرُهُ الْوَقَارُ  
وَمَوَاهِبٌ كَمَا جَرَتْ أَنْهَارُ  
وَالشَّرَفُ<sup>6</sup> الَّذِي عَلَيْهِ الْمَدَارُ  
أَلْغَنِي دُونَ ذِيكَ الْبِضَاعَةَ فَقِيرُ

1- انتقل ابن قزمان إلى مدح ابن حمدين وهو من أسرة قرطبية تولى بعض أعلامها قضاء الجماعة وخدموا دولة المرابطين والممدوح هنا هو أبو جعفر حمدين الذي ولي قضاء قرطبة مرتين ثم صارت إليه رئاستها بعد المرابطين.

2- في المخطوط وطبعه غ غ الكرم يكون والمثبت هنا قراءة كورينت وهي صحيحة

3- في طبعة غ غ كان غير عاتق وكان هو التدوير وفي طبعة كورينت كان هو، والصواب هم ولعل تشبيه ابن قزمان بنظر إلى المثل العربي حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق والتدوير من مصطلحات الخياطة

4- عند غ.غ. : يسير والمعنى أنه كريم ويده مبسوبة.

5- يمتد : يطول

6- المقصود بالشرف هنا شرف الأصل أي النبيل، وقد أوهمني التقارب اللفظي بين هذا البيت والمثل الأندلسي زيتون الشرف كلما زاد وقر زاد فقر فظننت أن الشرف في البيت هو الجهة المشهورة بالزيتون في ضواحي إشبيلية فليراجع وليصحح.

23. شَرَفَ الدَّوْلَةَ سَيِّدَ الْغَزْلَانِ  
الَّذِي هُوَ شَرَفٌ خَبَرٌ وَعَيَانٌ  
وَرَجُلُ الرِّجَالِ وَفَخْرَ الزَّمَانِ<sup>1</sup>

وشباب البلد وزين العشير

24. وَلَمَّا كَانَ مُحِبٌ فِيكَ وَوَدُودٌ  
انْفَرَدَ بِالْمَشِيِّ إِلَيْكَ وَالْقُصُودُ  
فَلَقَى مِنْكَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَعْهُودُ  
مِنْ مَبْرَةٍ وَمِنْ مَحَلٍّ أَثِيرٍ<sup>2</sup>

25. وَأَخَذْتُمْ جَمِيعَ فِي أَشْيَا  
مِمَّا يَصْلَحُ لِلدِّينِ وَلِلدُّنْيَا  
وَتَرَوْا عَزَمًا فِيهِ (لَنَا) الْحَيَا<sup>3</sup>  
مَا بَعْدَ قَدْ فُطِنَ لَذَا التَّدِيرِ

26. أَتَ هُوَ جَعْفَرُ الَّذِي عَنْكَ يُقَالُ  
وَمَا يُسْمَعُ يَرَى عَلَى كُلِّ حَالٍ  
وَقَدْ أَجْمَعْتَ مِنْ عَلِيٍّ وَخَصَالَ  
مَا لَا يُشَبَّهُ وَلَا يُجَدُّ لُ نَظِيرٍ<sup>4</sup>

---

1- في المخطوطة : رجولا رجال فخر. وعند غ. غ. : ورجو الرجال.  
2- يبدو أن الحديث عن أمير المسلمين علي بن يوسف ورحلة ابن حمدين إلى مراکش للقائه وما لقي هذا من حظوة وعناية.  
3- وتروا قراءة غ غومس، وفي طبع كوربيت وراوا، والباقي قراعه أيضا، ولا بأس به والحياء = الحياة  
4- جعفر هذا إما اختصار كنية الممدوح أبي جعفر أو تشبيه له بجعفر البرمكي وانظر ترجمة هذا الممدوح واسمه حمدين في التكملة والحلة السيرا، وبغية المتمس والمن بالإمامة ونظم الجمان وأعمال الاعلام



27. قَدْ سَبَقَتْ الْكَرَامَ وَأَهْلَ الْبَلَدِ  
بِتَقَدُّمٍ جَاوَزَتْ فِيهِ كُلَّ حَدٍّ  
فَمَتَى مَا نَقِيسُ عُلَاكَ مَعَ أَحَدٍ  
فَقَدْ أَقْرَنْتُ الْفِضَّ لِلْقَزْدِيرِ<sup>1</sup>
28. مَشَى ذَكَرَكَ عَلَى الْمَدَائِنِ وَطَاشَ  
مَنْ يَقُولُ إِنَّ عِنْدَ غَيْرِكَ يِعَاشُ  
فَهُوَ أَخْذَلُ فِي ذَا الْكَلَامِ مَنْ نَعَشَ،  
وَهُوَ أَكْذَبُ فِي الْحَدِيثِ مَنْ أَسِيرَ<sup>2</sup>
29. الْحَسُودُ الَّذِي يَرَاهُ يَنْطَبِقُ،  
قُلْ أَعُوذُ . نَقُولُ . بَرَبُ الْفَلَقِ  
النَّبِيُّ قَالَ السَّحَرُ وَالْعَيْنُ حَقٌّ  
كُلُّ خِيَّاطٍ يُشَقُّ فِي التَّدْوِيرِ<sup>3</sup>
30. كَيُّرُومٌ أَنْ يَكُونَ بِحَالِكَ زَيْنٌ  
وَيِنَاهُضُكَ يَدٌ غَيْرُ مَرَّتَيْنِ  
فِي أَذْرَعِيهِ كَيْفَ جَرَّ الْإِثْنَيْنِ  
عَلَى شَرْطٍ أَنْ يَمُوتَ مِنَ التَّفْجِيرِ<sup>4</sup>

1- عند غ. غ. : في تقدم وعند كورينت : بتقدم، وحد وردت عند غ. غ. : أحد وآخر البيت يشبه أن يكون مثلاً

2- في آخر هذا البيت مثلاًن هما أخذل من نعش وأكذب من أسير. أنظر الميداني 2 : 169  
3- ينطبق : يموت كمدأ، وفي هذا المقطع اقتباس آية وحديث وآخر البيت كأنه من أمثال الخياطين، وهو يشبه قولهم : في العقدة يحصل النجار. انظر على سبيل المثال ابن شنب رقم 1250.  
وقد قرأه غ غ وكل خياط بها يشق فالتدوير والتدوير هو تفصيل جناحي القميص وغيره وإتقانه صعب.  
4- كيروم : من كان يروم، يد : أيضاً، في أذرعيه : في ذراعيه.

31. زُرْتُ أَمِيرَكَ وَجِيتَ بِكُلِّ سُرُورٍ

وَبِهِ أَشْيَا كَمَا تَرَى وَأُمُورٍ  
مَنْ يَسَامَحُ وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ غَيُورٍ  
فَلِذَا الْجَنْسُ مِنْ قَضِيَّةٍ يَغِيرُ<sup>(1)</sup>

32. مَا وَعَدَكَ الْعُلَى سَتَبْلُغُ إِلَيْهِ

وَالَّذِي زُرْتَهُ رَأَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ  
وَالْعَدُوَّ الَّذِي بَغَى عَلَيْهِ،  
لَا غَنَى يَزِمُّ أَحَلَّى مِنْ ذَا الزَّمِيرِ<sup>(2)</sup>

33. بَالِلٌ بِاللَّهِ وَأَشْ يَقْلَقُ الْإِنْسَانَ

لَيْتَ بَعْدَ النَّأْيِ، (لَا) يَكُونُ، لَا كَانَ!  
دَعَوَ نَعْمَلُ وَنَجْمَعُ الْإِخْوَانَ،  
أَلْنَهَارَ الَّذِي يَجِي (يُنَا الْبَشِيرِ)<sup>(3)</sup>

34. وَتَرَانِي فِي هَمٍّ وَأَيَّ أَنْفَاسٍ

نَمْشِي رَاكِبٌ فِي زَحَمٍ بَيْنَ النَّاسِ  
وَفَوَايِدٍ وَدَارٍ مِنَ الْأَحْبَاسِ  
وَنَلْبَسُ لَكَ الْحَيْطَانَ بِالْجِيرِ<sup>(4)</sup>

1- هذا البيت يوضح أن ما قبله هو في الحديث عن زيارة ابن حمدين إلى مراکش للقاء أمير المسلمين، وفيه إشارة إلى غيرة جنس ابن حمدين من الفقهاء وغيرهم وحسد لهم على حظوته لدى أمير المسلمين وكلمة الجنس وردت في المخطوطة : الجيش

2- يفهم من هذا البيت أن أمير المسلمين وعد الممدوح بخطة القضاء، ويذكر ابن الأبار أنه ولي قضاء بلده بعد اغتيال ابن الحاج سنة 529 هـ ثم صرف بابي القاسم ابن رشد والد الحفيد سنة 532 هـ ولما استعفى هذا أعفى وأعيد حمدين إلى القضاء والمعنى أنه يقيم مذبة يدعو إليها إخوانه احتفالاً بتعيين الممدوح قاضياً  
3- عند غ. غ. بالله يالله. وعنده أيضاً. لو كان نعمل دعوا تجمع الإخوان وآخر هذا البيت غير موجود في المخطوطة وطبعة غ. غ. وتتمته هنا من ترميم كورينت.

4- يعني أنه سيستفيد من ولاية الممدوح فيحصل على مركوب ودار من نور الأحباس يبيضها بالجير وعلى فوائد أخرى.

35. لَمْ نَفَكِّرْ فِي ذَا الْحَدِيثِ الْجَدِيدِ  
إِلَّا نَسْمَعُ بِأَذْنِي فَالَا رَشِيدٍ  
مِنْ «سَعَادَةٍ» وَ«مَرِّ بَعْدَ سَعِيدٍ»  
و«مَوْفَقٍ» وَ«جِي بَعْدَ تَيْسِيرٍ»<sup>(1)</sup>

36. رَحْمَةُ اللَّهِ كَثِيرٌ عَلَيَّ مِنْ مَضَى  
عَلَى أَبُو الْقَاسِمِ الزُّكِّي الرُّضِّي  
حَاكِمَ الْمُسْلِمِينَ وَقَاضِيَ الْقَضَا  
فَنَهَاراً فَقَدْ نَهَاراً عَسِيرٌ

37. كَمْ ذَا أَقَامَ مِنْ فِي الْجَزِيرَةِ مَقَامٌ  
وَوَجَدْنَاهُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ  
وَإِذَا التَّفُّ لِلنَّوَازِلِ ظِلَامٌ  
قَامَ لُ فِيهِ رَايَ مِثْلَ السَّرَاجِ الْمُنِيرِ<sup>(3)</sup>

38. وَالْغَرِيبُ فِيهِ لَمْ قَطُّ يَكُونْ بِهِ بُوسٌ  
وَلَا جَا نَصْرَانِي إِلَى الْأَنْدَلُوسِ،  
وَلَا قَامُوا الْخَيْلَ مَتَاعِ السُّوسِ،  
وَلَا كَانَ فِي الْمَرِي رَايَا دَبِيرِ<sup>(4)</sup>

1. يدل هذا على ما كان لذلك اللقاء من أثر عند الأندلسيين.

2. أبو القاسم أحمد بن محمد ابن حمدين قاضي القضاة وهو أخو أبي جعفر ابن حمدين وترجمته في الصنة لابن بشكوال ج 1 ص 81 ولابن قزمان في أبي القاسم أزجال في مدحه وراثته منها الزجل رقم 79 والزجل رقم 83 وقد كانت وفاته سنة 521 وراثه ابن قزمان بزجل أوله :

البكا واجب وصبرنا أنفع إن من قد مات لم يمد لبرجع

3. نجد مصداق هذا البيت في قول ابن بشكوال في ترجمة المذكور «وكان نافذا في أحكامه جزلا في أفعاله».

4. يعني أن العهد الذي كان فيه أبو القاسم قاضي القضاة نعمت فيه الأندلس بالأمان ولم تظهر فيه فتنة بخلاف ما ظهر بعده كدعوة المهدي بن تومرت والتفريط في مدينة المرية بسبب ما سماه ابن قزمان بالراي الديبر وهو الراي الفاسد والاختلاف والانانية وكلها أدت إلى استسلام المرية للحملة الصليبية التي حاصرتها من جميع الجهات سنة 542هـ 1147م.

39. طَبَعَ الْإِنْسَانُ كَيْخَتَبَ فَالْحَيْنُ  
فَكَانَهُ قَدْ كَانَ صَحْبُهُ سَنِينَ  
مُنْذُ لَمْ تَحْكُمُوا بَنِي حَمْدِينَ  
وَقَعَ الْحِسُّ وَالذَّكَاءُ فِي الْبِيرِ

40. دُمْتَ مَسْرُورٌ مُبْلَغَ الْأَمَالِ  
وَتَرَى جَاءَ وَعِزٌّ فِي إِقْبَالِ  
مَا اسْتَحَالَ الظَّلَامُ وَلَا حَ الْهَادِلِ  
وَمَا قَلَسِنْ فَقِيهِ وَعَمِّمْ وَزِيرِ



(1) قال ابن الأبار في التكملة «وكان أبو الحسين بن سراج يقول - على ما كان بينه وبين بني حمدين من البعد والتنافس - لا تزال قرطبة دار عصمة ونعمة ما ملك أزمته أحد من بني حمدين»  
(2) قلسن لبس القلنسوة وعم لبس العمامة وقد كان رجال الأندلس وذوو الهيئات من طبقات أهل الخدمة يلبسون القلانس الطوال المرقشة إلى أن كان عبد الرحمن ولد المنصور بن أبي عامر فأمرهم بالانتقال عنها إلى العمام وأصبح هذا ظاهرا بعد دخول المرابطين وهم أصحاب عمائم. انظر خبر التعميم في البيان المغرب لابن عذاري 3 48



# زجل ثلاثة أشياء لمدغليس



مدغليس لقب اشتهر به هذا الزجال، يقول صفى الدين الحلّي في كتابه العاقل الحالي : «وهذا اسم مركب من كلمتين أصله : مضع اللّيس، جمع ليسة وهي ليقة الداوة، وذلك أنه كان صغيرا بالمكتب يمضغ ليقته فسمي بذلك، ولسان المغاربة والمصريين يدلون الضاد دالا فأطلق عليه هذا الإسم وعرف به وكنيته في ديوانه أبو عبدالله بن الحاج عرف بمدغليس<sup>(1)</sup>» ومما تمثل به الأندلسيون والمغاربة قولهم : مدغ اللّيس خداع بالبطن<sup>(2)</sup>، ونلاحظ أن كنية أبي عبد الله تطلق على من اسمه محمد ولكن ابن سعيد سماه في المغرب بأحمد بن الحاج المعروف بمدغليس، وقد صنّفه في شعراء مدينة المرية<sup>(3)</sup>، والزجال نفسه يشير إلى هذا في مطلع زجل له إذ يقول :

كُلُّ أَحَدٍ مَحْبُوبٌ مَاعُو      وَأَنَا لِسُ مَاعِي مَحْبُوبٌ

كَيْفَ تُضِي وَدَّ يَاشُ فِي عَيْنِي      وَأَنَا فِي الْمَرِيَّةِ مَنُشُوبٌ

وكنّت وقفت على نص ليس بين يدي الآن فيه قطعة زجلية لبعضهم يهجو فيها الأندلسيين بسرقة أزجال مدغليس المغربي، ومهما يكن فإنه عاش في ظل السادة الموحدين وعمالهم وهو يجيء من حيث الترتيب الزمني بعد ابن قزمان ويعتبر خليفة له فقد عاش - كما قلنا - في العصر الموحي الأول وله أزجال في مدح بعض السادة الموحدين وعمالهم، وكان النقاد الأندلسيون يقولون:

1- العاقل الحالي : 13

2- أمثال العوام في الأندلس (الزجالي رقم 1548)

3- المغرب 2 : 214.

4- العاقل الحالي : 38.

ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت إلى المعنى ومدغليس للفظ<sup>(1)</sup>».

وقد بدأ مدغليس كابن قزمان بالشعر المعرب «ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه<sup>(2)</sup>» وكان يعارض بعض أزجال ابن قزمان كما في زجله الذي مطلعته :

لقد لقلبي حرص والحاح في عشق الملاح

ففي آخره يذكر مطلع زجل ابن قزمان الذي عارضه قائلا :

أهديت هذا الدر وهذا المرجان لسيد الملوك الأمير عثمان  
عروض ذاك الذي لابن قزمان «الجنة لو عطيناها هي الراح

وعشق الملاح»<sup>(3)</sup>

وهذا الزجل الذي عارضه هو الذي يحمل رقم 62 في ديوان ابن قزمان. أما الأمير عثمان الممدوح في هذا الزجل فهو السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المومن الذي كان واليا على غرناطة، وترجمته في الإحاطة وأخباره في البيان المعرب وغيره.

ولمدغليس ديوان زجل يعد اليوم مفقودا وقد كان معروفا في الأندلس والمغرب ووصل إلى المشرق وكان لدى صفي الدين الحلي نسخة منه

---

1- نفح الطيب 3 : 385.

2- نفسه.

3- العاقل الحالي : 14.

واقْتَبَسَ مِنْهُ نَمَازِجٌ وَأَمْثَلَةٌ عَدِيدَةٌ<sup>1</sup> وَكَانَتْ أَزْجَالُ مَدْغَلِيسٍ مَرْوِيَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ فِي الْقَرْنِ الْتَاسِعِ الْهَجْرِيِّ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِ الْفَقِيهِ عَمْرِو الزَّجَالِ الْمَالِقِيِّ فِي نَوْنِيَّتِهِ الشَّهِيرَةِ :

أَلَا فَاجْزَنِي يَا إِمَامَ بَكْلٍ مَا

رَوَيْتَ لِمَدْغَلِيسٍ أَوْلَايْنِ قَرْزَمَانَ<sup>(2)</sup>

وَيَسْتَفَادُ مِنَ النَّمَاذِجِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْحَلِيُّ أَنَّ مَوْضُوعَاتِ مَدْغَلِيسٍ كَمَوْضُوعَاتِ ابْنِ قَرْزَمَانَ تَشْتَمِلُ عَلَى مَدَائِحَ وَغَزَلِيَّاتٍ وَخَمْرِيَّاتٍ وَمِنْ مَمْدُوحِيهِ السَّيِّدُ أَبُو يَحْيَى أَخُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ وَوَالِي قَرْطَبَةَ<sup>(3)</sup> وَالسَّيِّدُ أَبُو سَعِيدٍ عُثْمَانُ وَالِي غَرْنَاطَةَ<sup>(4)</sup> وَالسَّيِّدُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ<sup>(5)</sup> وَمَدْحٌ أَيْضًا بَعْضُ عَمَالِ الْمُوَحِّدِينَ وَكُتَابُهُمْ كَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ صَنَادِيدٍ<sup>(6)</sup>.

وَتَمَّةُ شَيْءٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي الطَّرِيقَةِ بَيْنَ مَدْغَلِيسٍ وَابْنِ قَرْزَمَانَ، فَقَدْ مَالَ مَدْغَلِيسٌ إِلَى النِّظْمِ فِيمَا سَمِيَ بِالْقَصَائِدِ الزَّجَلِيَّةِ، وَهِيَ قَصَائِدُ تَنْظُمِ

---

1- انظر فهرس العاقل الحالي . 16

2 نفح الطيب 5 : 44.

3 العاقل الحالي : 17, 19.

4 نفسه : 14

5 نفسه : 1

6 نفسه : 15 - 16.

وفق البحور الخيلية وتلتزم بالقافية الواحدة فهي « كالفريض لا تغايره  
بغير اللحن واللفظ العامي<sup>(1)</sup> ».

كما أنه حاكي شيئاً ما شعراء القريض كابي تمام وغيره وذلك باستعمال  
بعض المحسنات البلاغية<sup>(2)</sup>.

وقد علل أستاذنا المرحوم الأهواني هذا بأن مدغليس عاش في  
ظل السادة الموحدين الذين كانوا أكثر ثقافة ومعرفة باللغة  
العربية وحماية للشعروالأدب من المرابطين، ولهذا جاءت أزجال مدغليس  
قريبة من الشعر الفصيح<sup>(3)</sup> ولسنا ندري هل عرض في أزجاله إلى  
بعض الأحداث التي وقعت في العصر الموحي الأول الذي عاش  
فيه ولاسيما وقعة الأرك التي أربت على وقعة الزلاقة كما قال بعضهم  
فقد « كانت غزوة الزلاقة مقسومة الثقل مكدره الصفو، وجاءت  
هذه الواقعة هنية الموقع عامة، مسرة كأكلة جائع أو شربة عاطش  
فأنست كل فتح بالأندلس تقدمها<sup>(4)</sup> »، وقد قال يعقوب المنصور بطل  
الأرك : « الفتح أعظم من الإطناب في وصفه<sup>(5)</sup> » وأمر أن يوجز الإخبار  
فيه بغاية الإيجاز وأن يطوى بساط الشعر حوله<sup>(6)</sup>.

---

1. العاقل الحالي : 14.

2. الزجل في الأندلس : 107

3. نفسه.

4. البيان المغرب - قسم الموحدين : 221.

5. نفسه.

6. نفسه.

قال ابن عذاري : «ولم يحفظ عن الشعراء فيه مقال إلا الكاتب الأريب الشاعر المجيد أبو العباس الجراوي فإنه قال فأحسن، ولم تصل إليه<sup>(1)</sup>» ولكن هذا يخالف ما نجده عند عبد الواحد المراكشي الذي يقول : «ولما رجع من غزوته العظمى المتقدم ذكرها في سنة 591 جلس للوفود في قبة من تلك القباب مشرفة على النهر الأعظم وأذن فدخلوا عليه على طبقاتهم ومراتبهم وأنشده الشعراء فممن أنشده في ذلك اليوم صديق لي من أهل مرسية اسمه علي بن حزمون<sup>(2)</sup>» وقد أثبت عبد الواحد قصيدة ابن حزمون بتمامها كما سمعها وقرأها عليه وهي تقع في 40 بيتا من بحر الخبب :

حيثك معطرة النفس      نفحاتُ الفتح باندلس

وأورد ابن عذاري من قصيدة الجراوي المشار إليها 19 بيتا<sup>(3)</sup> وهي في بعض المصادر 33 بيتا<sup>(4)</sup> ومطلعها :

هو الفتحُ أعيا وصفهُ النظم والنثرا      وعمتْ جميعَ المسلمينَ بهِ البُشرى

1- البيان المغرب - قسم الموحدين - : 221.

2- المعجب : 293.

3- البيان المغرب - قسم الموحدين : 222.

4- مختارات يظن أنها من الحماسة البياسية.



ومعاني القصيدتين وصورهما تشبيهة بمعاني وصور الشعر الذي قيل في  
الزلاقة، يقول الجراوي في قتلى معركة الأرك :

ألف غدت مأهولة بهم الفاد وأمست خلاء منهم دورهم قفرا  
ودارت رحي الهيجا عليهم فاصبحوا هشيما طحينا في مهب الصبا يذرى  
يطير بأشلاء لهم كل قشع فما شنت من نسر غدا بطنه قبرا

ويقول ابن حزمون :

لأقيت جموعهم فغدوا فرصاً في قبضة مفتبرس  
جاءوك تضيق الأرض بهم عدداً لم يحص ولم يقس

وهذا كقول ابن وهبون في قتلى معركة الزلاقة :

عديد لا يشارفه حساب ولا يحوي جماعته زمام  
تألفت الوحوش عليه شتى فما نقص الشراب ولا الطعام

ويقول الجراوي في الفونسو الثامن وفراره :

لقد أورد الأدفونش شيعته الردى وساقهم جهلا إلى البطشة الكبرى  
حكى فعل إبليس بأصحابه الألى تبرأ منهم حين أوردتهم بدرا  
أطارته شدات تولى أمامها شريدا وأنسته التعاظم والكبرا  
رأى الموت للأبطال حوله ينتقي فطار إلى أقصى مصارعه ذعرا  
وقد أوردته الموت طعنة ثائر وإن لم يفارق من شقاوته العمرا

ويقول ابن حزمون فيه :

نظر الملك الأعلى فرأى ملكاً كالطور بنور الله كسي  
فمضى لم يُلَوَّ على أحد ورمى بالدرع وبالترس

وهذا كقول ابن حمديس في الفونسو السادس وفراره :

ومعترك تلقى الفنش فيه غريما مهلكا نفس الغريم  
تستر بالظلام وفر خوفا بروع شق سامعتي ظليم  
وقد نهشته حيات العوالي سلوا ليل السليم عن السليم

ومن المعروف أن هذه المعاني توجد عند شعراء أندلسيين آخرين وهي  
معان طرقها الشعراء القدماء قبل هؤلاء.

ولسنا ندري هل قال مدغليس شيئا في واقعة الأرك أم لا ومن المعروف  
أن له أمداحا في السادة الموحدين إخوة يعقوب المنصور وأعمامه وله  
أمداح في أبي عبد الله ابن صناديد كبير أهل الأندلس وهذا هو الذي  
استشاره المنصور في الخطة التي تتبع في معركة الأرك وأخذ برأيه ولا  
شك أن مدائح مدغليس في ابن صناديد التي لم تصل إلينا تشتمل على  
شيء من هذا، وهو في بعض مدائحه الباقية يشيد بشجاعته وبطولته  
فيقول من قصيدة زجلية :

الرفيع الماجد الحر الشريف الشجاع الفارس الليث البطل

وقد قال صفى الدين الحلي إن لمدغليس زجلا يصف فيه حال غزاة ولكنه  
لم يورد منه إلا مطلعاه وهو :

أي مُصاب اتفق على الإسلام بيض الروم وسود الأيام  
مثل ذا الرزء ليس يطرأ فالقلوب من جراحو لس تبرأ  
وما نعجب منو إلا كف أجرا يقدم الموت على ذاك الاقدام

ولعل هذا من زجل قيل في كارثة العقاب سنة 609 هـ ولو وصل إلينا هذا  
الزجل لكان مناسبا للمحور العام في هذه المختارات وبما أنه مفقود  
فسنختار من أزجال مدغليس زجلا عنوانه : ثلاثة أشياء. وهو زجل يتغنى

فيه مدغليس بجمار الطبيعة، وهو الموضوع الذي أكثر فيه شعراء  
الأندلس وحاكاهم في ذلك شعراء الزجل والملحون فاستعملوا الصور  
المعهودة لدى شعراء الطبيعة فمن ذلك أنهم يقابلون بين بكاء الغمام  
وضحك الأزهار ويشبهون التواء الجداول بالتواء الثعابين والغصنين  
المتشايكين بالحببيين المتعانقين ورقة النسيم بنحول العاشق إلى غير  
ذلك من الصور التي نجد عددا منها في هذا الزجل الذي يعتبر من أشهر  
أزجال مدغليس فقد ذكره ابن سعيد في المغرب وأورد بعضه صفي  
الدين الحلي في العاقل الحالي وأثبتته ابن مبارك شاه في السفينة،  
ووضعنا له عنوان ثلاثة أشياء التي بدئ بها وهي أشياء تمثل ذوقا  
حضاريا يوجد في الأشعار العباسية والفارسية والأندلسية، ومما ينسب  
إلى أبي نواس قوله :

أربعة مذهب لـ كل غم وحزن  
الماء والقهوة والـ بستان والوجه الحسن

والمراد بالقهوة هنا قهوة أبي نواس لا قهوة أبي الفضل حسب عبارة  
شهيرة لزكي مبارك، وقد حذف غيره هذه الرابعة فأصبح العدد ثلاثة كما  
في هذا البيت الشائع بين الناس :

ثلاثة تجلو عن المرء الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن

وقد يختلف المعداد كما في زجل مدغليس فالثلاثة عنده هي النسيم  
الليل والخضرة والنضرة والطير المغرد :

ثلاث اشيا فالبساتين لس تجد في كل موضع  
النسيم والخضر والطير شم واتنزه واسمع

ويبدو أنه كان مولعا باستعمال هذا العدد فهو يقول في قصيدة زجلية

يمدح بها ابن صناديد :

وجهه البدر وأيامُ السرورِ وإيديه الرزق والسيف والأجل

لثلاث أشياء هو كفّو اليمين للعطايا والمنايا والقبل

وقد استعمل مدغليس في البيت الثاني من المطلع السابق ما يسمى عند أهل البديع باللف والنشر المرتب وهذا من مظاهر الصنعة التي عرف بها مدغليس المشبه بأبي تمام، ومن مظاهرها أيضا في هذا الزجل تشبيه الساقية بالسيف المجرد وماء الغدير عندما يهب عليه الريح بالمدرع وقد نظر في هذا إلى الشاعر الذي يقول :

صنع الريح من الماء زرد أيّ درع لقتال لوجمـد

وكذلك تشبيه الأغصان في تأودها وتمايلها بالسكران المترنح أو الراقصة الملتوية وتشبيه شمس العشي في اصفرارها بوجه العاشق المصفرّ في لحظة الوداع، وهي كلها معان مطروقة في الشعر المعرب والشعر الملحون وإنما يكون الاختلاف في الأسلوب والصياغة وننتقل بعد هذا التقديم الموجز إلى نص الزجل.

## ثلاثة أشياء

ثَلَاثَ أَشْيَاءَ فَالْبَسَاتِينُ لَسَ تَجْدُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ  
النَّسِيمُ وَالْخُضْرُ وَالطَّيْرُ شَمِ وَاتَّنَزَّهْ وَاسْمَعْ

قُمْ تَرَى النَّسِيمَ يُولُولُ \* \* \* وَالطُّيُورُ عَلَيْهِ تَغَرَّدُ  
وَالثَّمَارُ تَنْثُرُ جَوَاهِرُ \* \* \* فِي بَسَاطٍ مِنْ الزُّمَرْدُ  
وَبَوْسَطِ<sup>(١)</sup> الْمَرْجِ الْأَخْضَرِ \* \* \* سَاقِيَا<sup>(٢)</sup> كَالسَّيْفِ الْمَجَرَّدِ  
شَبَّهْتُ بِالسَّيْفِ<sup>(٣)</sup> لَمَّا شَفْتُ<sup>(٤)</sup> الْغَدِيرَ مُدْرَعًا<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

وَرَذَاذَا دَقَّ يَنْزِلُ \* \* \* وَشُعَاعُ الشَّمْسِ يَضْرِبُ  
فَتَرَى الْوَاحِدَ يَفْضُضُ \* \* \* وَتَرَى الْآخِرَ يَذْهَبُ  
وَالنَّبَاتُ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ \* \* \* وَالْغُصُونُ تَرْقُصُ وَتَطْرِبُ  
وَتُرِيدُ تَجِي إِلَيْنَا \* \* \* ثُمَّ تَسْتَحْيِي وَتَرْجَعُ<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

وَجَوَارٌ<sup>(٧)</sup> بِحَالِ حُورِ الْعَيْنِ \* \* \* فِي رِيَاضٍ تُشَبِّهُ لِحْنًا  
وَعَشِيَّةٌ<sup>(٨)</sup> قَصِيرُ \* \* \* تَنْظُرُ<sup>(٨)</sup> الْخُلْعَا تُجَنَّا

١. في السفينة العاطل الحالي : وفي وسط.
٢. في المغرب : سقي، وفي السفينة : وادٍ وفي العاطل الحالي : وادي.
٣. في العاطل الحالي : للسيف.
٤. في العاطل الحالي : شقت.
٥. في السفينة : أي سيف نزهة للأبصار والغدير يمشي مدرع
٦. هذا الدور من قوله : ورذاذ غير موجود في السفينة.
٧. في العاطل الحالي والسفينة : وملاح.
٨. في العاطل الحالي : وعشيرة.
٨. في العاطل الحالي : تنظروا وفي السفينة : هي للخلاص فتنا.



لَسْ نُرِيدُ نَفَارِقُوهَا      وَهِيَ تَحْمِلُ طَاقًا عَنَّا  
وَكَاَنَّ<sup>(١)</sup> الشَّمْسُ فِيهَا      وَجْهَ عَاشِقٍ إِذَا يودَعُ

\* \* \*

اسْتَمِعْ<sup>(٢)</sup> أُمُّ الْحَسَنِ كَيْفَ      تَلْهِمُكَ إِلَى الْخَلَاعِ<sup>(٣)</sup>  
بَنَفْسِهِ يَبْرُدُ الْأَشْيَاحَ      لِلْمَجْنُونِ وَاللَّرْقَاعِ<sup>(٤)</sup>  
غَرِدَتْ مِنْ غَدُوِّ اللَّيْلِ      وَمَا كَرَّرَتْ صِنَاعًا<sup>(٥)</sup>  
يَسْمَعُ الْخَلِيعُ غِنَاهَا      وَيَحْسُ قَلْبَ يَخْلَعِ<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

وَالْقَطِيعُ<sup>(٧)</sup> لَمَّا سَمِعَهَا      تَتَغَنَّى هُوَ بِقَبْقُ  
قَلْبَهَا اسْكُتْ كَيْفَ تَصْدَعُ      أَنَا أَطْبَعُ مِنْكَ وَارْشِقُ  
لَمْ زَادْ فِي الْقَوْلِ عَلَيْهَا      قَالَتْ لَوْ بِسْكَ تَمْخَرِقُ  
أَنَا<sup>(٨)</sup> نَفْتِي بَيْنَ جَمِيعُوا      أَنْتَ أَحْلَى وَهِيَ أَطْبَعُ

\* \* \*

فَغَضِبَ<sup>(٩)</sup> وَقَالَ نَشَبَهُ      لِمَغَنِّيَاتِ الْأَغْصَانِ<sup>(١٢)</sup>  
وَأَنَا فِي الْأُكُفِ نَحْبَسُ      وَقُبِّلَ كُلُّ سُلْطَانِ<sup>(١٣)</sup>  
ثُمَّ نَسَقِي كُلَّ مُشْرِفٍ<sup>(١٤)</sup>      مَا عُرِفَ لَوْ قَطُّ نُقْصَانِ  
وَلَا جَارَ عَلَى رَعِيهِ      وَلاحَقَهُمْ يَضِيعُ

١. في العاقل الحالي والسفينة : فكان.

٢. في السفينة : واستمع : وأم الحسن : طائر مغرد معروف.

٣. الخلاع = الخلاعة

٤. للرقاعا = والرقاعة.

٥. صناعة = صناعة. وهي ما يسمى اليوم في موسيقى الآلة : صنعة وجمعها صنايع.

٦. يخلع = ينخلع.

٧. القطيع = قنينة طويلة العنق يكون فيها الخمر

٨. البقبة : صوت القنينة عند إفراغها

٩. قلها : قال لها أي أن الطبع قال لام الحسن ومعلبيس جرى في الدورين الأخيرين حوارا بينهما.

١٠. تجدر إلى أن هذين الدورين لا يوجدان إلا في السفينة

١١. أطبع : أملح، وارشق : القطيع طويل ورشيق

١٢. بسك تمخرق : في ألف ليلة وليلة : بسك تنهزأ بي. والمعنى. كفى مخرقة.

١٣. أي الزجال

١٤. يعني أن القطيع لم يرض بالحكم.

١٥. يعني أنه رشيق القد.

١٦. المشرف : المكلف بجمع الكلف المنحرف

ونشير بعد هذا إلى أننا نجد فيما وصل إلينا من أزجال مدغليس ضربين من الزجل : الضرب الأول هو ما يسمى بالقصائد الزجلية وهي كالقريض المعروف تنظم على البحور الخليلية ولا تختلف عن القريض إلا في عدم الإعراب واستعمال الألفاظ العامية، وقد ذكر صفي الدين الحلي الذي كان بيده ديوان مدغليس أنه يشتمل على ثلاث عشرة قصيدة على أوزان العرب في بحور المديد والرمل والخفيف والمتقارب ومخلع البسيط وغيرها، ونمثل لها هنا بقصيدة في بحر المديد تشتمل على 28 بيتا وهي من قصائده الزجلية التي قالها في مدح أبي عبد الله ابن صناديد أحد قادة الأندلسيين في عهد الموحدين، وأولها :

مَضَى عَنِّي مَنْ نَحَبُو وَودَعْ	ولهيب الشوق في قلبي قد أودعْ
لَوْ رِيتْ كَفْ كُنْ نَشِيَّاعُو بِالْعَيْنِ	وم ندري أن روعي نشيع
مَنْ فِطَاعَةُ ذَا الصَّبْرِ كُنْتُ نَعَجَبْ	حتى ريت أن الفراق منو أفضعْ
لَسْ نَشْكُ أَنْو حَمَلْ قَلْبِي مَاعُو	فايش ذا في صدي يضرب ويوجعْ
لَا صَبْرُ عَنُو وَلَا نَوْمُ وَلَا عِيشْ	ولا محبوب قل لي حيله ترجعْ
كِيَجِي المَوْتُ عِنْدِي لَوْجَا إِلِيَا	أنا ياقوم لس لي في العيش مطمعْ
سَعْدَاتْ هِي حَتَّى فِي العُشْقِ يَاقُومْ	قيس وغيلان ذكرهم لس يسمعْ
وَعَلَى مَاتْ حَلُو فَمَكْ أَحَلِّي	وعلى مات رفيع عينيك أرفعْ
تِهْ وَاتَدَلِّلْ وَاعْمَلْ مُرَادَكْ	أنت أملح أهلن الدنيا أجمعْ
وَأَبُو عبد الله ابن صناديد	أفضل الدنيا وأسود وأرفعْ
يَلْتَقِي الأَمْدَاحُ بِوَجْهَهَا مَسَامَحْ	وملا ياسر وكفا لا تمنعْ

وجميع هذه القصائد الزجلية لمدغليس مفتتحة - كالقصائد التقليدية - بمقدمات غزلية وبعدها يقع التخلص إلى المديح وقد ذكرنا فيما تقدم أسماء الممدوحين.

أما النوع الثاني فهو يشبه الموشح من حيث إنه يتألف من أغصان وأقفال، وذلك مثل زجل ثلاثة أشياء الذي أ ثبتناه أنفاً ومثل الزجل التالي :

ما اسودَّ هو ذا قلبي وما أظلمو الله يسأل عنو من يظلمو

\* \* \*

عشق بلاد شوري عيّن غزال  
شهل عليه أجفان بحال نبال  
وهو قليل الدرب بالقتال  
يارب كن ماعو وسلّمو

عيني الذي ولد هذي الحروب \* وقلبي قد اسعف ولم يتوب  
فداعو ذابكي وذا يذوب أو تخلط الاثنين وتقسمو

يقلّي من نعشق طول النهار ولس يقول باطل ولا خمار  
دراعي يوجعني في ذا السوار لو أن يكون أضيّق كان تخرمو

\* \* \*

إلى متى يا ستي ذالمطال  
لس بالله في هذا الشح ما يقال  
دارك ملا مترع من الوصال  
وكل من فداك لس ترحمو

\* \* \*

ذَا كُلَّ لَسٍّ تَشْفَقُ عَلَى بَشَرٍ  
مَنْ قَسَوُ هُوَ مَحْشَى ذَاكَ الصَّدْرُ  
حَتَّى نَهَيْدَاتِكَ مِثْلَ الْحَجَرِ  
مَنْ الَّذِي دَاخِلٌ اتَّعَلَّمُوا

ومن هذا النوع كذلك ما ذكره ابن خلدون، فقد قال إن مدغليس كان سابق حلبته وأنه وقعت له العجائب في طريقته فمن ذلك قوله في زجله المشهور :

ورذاذ دق<sup>1</sup> ينزل وشعاع الشمس يضرب  
فترى الواحد يفَضُّض وترى الآخر يذَهَبُ  
والنَّباتُ يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب  
وتريد تجي إلينا ثم تستحي وتهرب

ومن محاسن أزجاله :

لاح الضيا والنجوم حيارا فقم بنا ننزع الكسل  
شُرَيْبٌ<sup>2</sup> ممزوجا من قراعا<sup>3</sup> أحلى هي عندي من العسل

\* \* \*

يامن يلمني كما تقلد قلدك الله بما تقول  
تقول بأن للذنوب مولد وأنه يفسد العقول<sup>4</sup>  
لأرض الحجاز موريكن لك أرشد اش ساقك معي لذا الفضول

\* \* \*

1- دق : دقيق ورقيق؛ يقال : الليمون الدق أي الدقيق الصغير.

2- شريت = شريبه، تصغير شربة.

3- قراعا : قرعة أي إناء يكون فيه شراب.

4- حوار بين فقيه وخليع. وفي أزجال ابن قزمان ما يشبه هذا. انظر الزجل رقم 148. وعبارة النية أبغ من العمل مما يدور على اللسان وهي من الأحاديث المروية.

مُرَّ أَنْتَ لِلْحَجِّ وَالزِّيَارَا      وَدَعْنِي فِي الشَّرْبِ مِنْهُمْ<sup>١</sup>  
مَنْ لَسَ لَوْ قُدْرُهُ وَلَا اسْتَطَاعَا      النَّيِّهَ أَبْلَغَ مِنَ الْعَمَلِ<sup>٢</sup>

وقد اشتهر هذا الزجل وعارضه محمد بن عبد العظيم الوادي أشي  
بزجل أورد منه ابن خلدون ما يلي :

حَلَّ الْمُجُونُ يَا أَهْلَ الشُّطَارَا      مُذْ حَلَّتِ الشَّمْسُ بِالْحَمَلِ<sup>٣</sup>  
جَدَّدُوا كُلَّ يَوْمٍ خَالَعَا      لَا تَجْعَلُوا اسْمَهَا يُمَلُّ

إِلَيْهَا خَتَخَلَعُوا فِي شَيْلٍ      عَلَيَّ هِيَ خُضُورَةٌ ذَاكَ النَّبَاتُ<sup>٤</sup>  
وَحَلَّ بَغْدَادُ وَأَخْبَارَ النَّيْلِ      أَحْسَنُ هِيَ عِنْدِي ذِيكَ الْجِهَاتُ<sup>٥</sup>  
وَطَافِيهَا أَصْلَحَ مِنْ أَرْبَعِينَ مِيلَ      إِنْ مَرَّتِ الرِّيحُ عَلَيْهِ وَجَاتُ

\* \* \*

لَمْ يَلْتَقِ لِلْغُبَارِ أَمَارَا      وَلَا بِمِقْدَارِ مَا يَكْتَحَلُ<sup>٦</sup>  
وَكَيْفَ وَلَشَ فِيهِ مَوْضِعُ رِقَاعَا      إِلَّا وَيَسْرَحُ فِيهِ النَّحْلُ

١- له ترجمة في الاحاطة 3 : 88 والكتيبة الكامنة : 99  
٢- عند حول الشمس بالحمل يكون اعتدال الليل والنهار وذلك أفضل فصول السنة. قال أبو نواس  
وحاكاه في قوله صاحب هذا الزجل وغيره :  
أما ترى الشمس حلت الحملاد      وقام وزن الزمان فاعتدلا





# زحل القيسي في مصر مدينة المريّة

موضوع هذا الزجل يشبه موضوع ملعبة الكفيف فهو يسجل فشل حملة عسكرية وإخفاق حصار بري وبحري، وذلك أنه في سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩م) اجتمع فرناند الرابع ملك قشتالة وخايمي الثاني ملك أراغون وقررا القيام بحملة مشتركة لمحاصرة الجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وسبتة والمرية، وكانت في الواقع حملة صليبية كما جاء في قصيدة للشاعر المغربي أبي علي بن تدرارت الذي يقول :

أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَنْبَاءُ نَفَرٍ تَضَافَرَتْ طَوَائِفُهُ كُلُّ يَجْدٍ مُسَارِعَا  
فَسَبْعَةُ أَمْلَأكِ لَهَا السَّبَبُ ثَامِنٌ قَدْ احْتَفَلُوا إِذْ مَلَكَوا الْغَزْمَ تَاسِعَا  
وَقَدْ أَجْلَبُوا مِنْ خَيْلِهِمْ وَرَجَالِهِمْ فَمَا إِنْ وَنَا شَيْخًا وَكَهْلًا وَيَافِعَا  
يَرُومُونَ إِطْفَاءً لِدِينِ مُحَمَّدٍ وَهِيَهَاتَ لَا يَنْفَكُ يَسْطَعُ لَأَمْعَا

وكان هدفهم منع وصول بني مرين لنصرة إخوانهم المسلمين في الأندلس، وقد بدأ ملك قشتالة بمحاصرة الجزيرة وجبل طارق، وقام بعده ملك أراغون بحصار المرية، وهذا الحصار هو الذي يتحدث عنه صاحب الزجل.

كان حصار المرية في أيام شاء الله أن تكون - كما يقول ابن الخطيب «أيام نحس مستمر شملت المسلمين فيها الأزمة وأحاط بهم الذعروكلب العدو»<sup>٢</sup> وكان السلطان النصري أبو الجيوش سيء الحظ وكان السلطان المريني منشغلا بفتن داخلية ولم تكن العلاقات بين بني نصر وبني مرين على مايرام، ولذلك كان دفاع الله عن المومنين من أهل المرية وصبرهم وصمودهم أمام عدو كثير العدد والعدة هو الذي أنقذ المرية وأهلها من

١. من قصيدة وردت مع غيرها في الموضوع لهذا الشاعر في مذكرات ابن الملاح السرد الحزينة صديقنا الأستاذ دوبريمار (عندي مرقونة)

٢. اللوحة البدرية : 70

خطر داهم، كما كان للمجاهدين من بني مرين المرابطين بغرناطة دور حاسم تحدث عنه ابن خلدون قال : «وعقد ابن الأحمر لعثمان بن أبي العلاء زعيم الأعياص على عسكر بعثه مدداً لأهل المرية فلقية جمع من النصاري كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عثمان واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية وألح بمغاداتهم ومراوحتهم إلى أن رغبوا إليه في السلم وأفرج عن البلد»<sup>(1)</sup>.

دام هذا الحصار ستة أشهر تقريبا حاول فيها النصاري دخول المرية بكل الوجوه، واستعملوا جميع الوسائل والحيل كالألات والسهل والسهل والأبراج الخشبية والمسارب تحت الأرض والمجانيق الراجمة بالأحجار الهائلة فباء جميع ذلك بالفشل الذريع.

وقد كتب في هذا الحصار أكثر من واحد من أهل ذلك العصر، منهم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغافقي المعروف بابن الفحام قال ابن القاضي في ترجمته : «وله جزء في تاريخ حصار الطاغية البرجلوني للمرية»<sup>(2)</sup> وقال في ترجمة أبي جعفر أحمد بن قاسم الجذامي المعروف بابن البغيل : «وله تاريخ حسن في حصار البرجلوني لمدينة المرية»<sup>(3)</sup> وقد أورد في ترجمة بعضهم بعد ذكر سنة وفاته 709هـ نبذة تاريخية في حصار المرية تفتح بمايلي : «وفي هذه السنة يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الأول منها»<sup>(4)</sup> إلى آخره ولالعلاقة لهذه النبذة بصاحب الترجمة وهو مصري إسكندري

1- العبر 7: 518 ومعنى استلحمهم بالغ في قتلهم

2- درة الحجال 1: 131

3- نفسه 1: 134

4- نفسه 1: 138

إلا مجرد الاتفاق بين تاريخ وفاته وتاريخ الحصار، وهو سبق قلم نبيه عليه ابن القاضي في ترجمة شعيب بن أحمد قائد المرية (ج 3 ص 316) قال : «وما تقدم من ذكر حصار المرية في باب الألف هنا محل ذكره إلا أن القلم وقع به هنالك».

وقد تكون هذه النبذة التاريخية التي وضعت في غير محلها لأحد المترجمين السابقين وهما معاً من المرية، وننبه إلى أن ابن القاضي يعتمد في تراجم أعلام المرية على ابن خاتمة مؤلف كتاب مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية. وهو مفقود<sup>1</sup> ومهما يكن من أمر فإن كاتب النبذة<sup>2</sup> هو من أهل المرية وحضر وقائعها ودونها يوماً فيوماً محدداً مواضع المواجهات وأعداد المهاجمين، وما أتوا به من عدة، كما يذكر أسماء المدافعين، ويصف صبرهم واستماتتهم وهو يلتقي مع صاحب الزجل في عدد من العناصر كتاريخ الواقعة، وضخامة الأسطول، وصبر المجاهدين وثباتهم، وما حصل من لطف الله بالمسلمين، وما لقيه النصارى المهاجمون من سوء المصير حيث عمهم الجوع والوباء، والفرق بين صاحب النبذة التاريخية وبين صاحب الزجل أن الأول كان يعيش في دار الإسلام بالمرية أما الثاني فقد كان مدجناً بدار الكفر يعيش تحت الذمة في مملكة أرغون وقد عبر عن فرح المسلمين المدجنين بنجاة إخوانهم المسلمين في

---

1- كان موجوداً في العهد السعودي وقد ذكر المقرئ في نفح الطيب (1 : 163) أنه كان يملك نسخة من نونية لمرية في مجلد ضخيم وتركها مع جملة كتبه في المغرب لما رحل إلى المغرب.  
2- تقع هذه النبذة في الجزء الأول من درة الحجال من ص 138 إلى ص 148 وقد نشرها مع ترجمتها إلى الفرنسية المستعرب علوش في مجلة هسبريس سنة 1933.

المرية وذلك بتوجههم إلى المساجد لرفع أكف الدعاء بأن يحفظهم الله من انتقام أعدائهم.

وناضم الزجل هذا يدعى محمد القيسي، هكذا ورد اسمه في آخر زجله، وكذلك في كتاب له عنوانه «كتاب مفتاح الدين في المجادلة بين النصارى والمسلمين»، والزجل والكتاب يوجدان في المخطوط رقم 1557 بالمكتبة الوطنية بالجزائر، وقد كُتِبَتْ مقالات حول هذا المخطوط<sup>(1)</sup> وحول مخطوط آخر له علاقة به يوجد في المكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم 4944<sup>(2)</sup>، ويستفاد منهما أن محمد القيسي كان من علماء جامع الزيتونة في تونس وأنه وقع في أسر الأرغونيين وحمل إلى لاردة حيث عاش في ربض المدجنين وهناك نظم زجله بمناسبة حصار المرية عام 709هـ (1309) وألف كتابه فيما وقع بينه وبين القسيسين من مجادلات، ومما جاء فيه قوله باكيا سوء حظه : «ورماني بين حزب الشيطان، في دار الكفر والطغيان، أخدم على النصارى الاسبان، والقسيسين والرهبان، في المذلة والهوان، حتى سلبوني عقلي، وصيروني لا أملك قياد قلبي، وما أحسب إلا أنني أنظر إلى قبوري، قبل انقضاء عمري».

---

1- أنظر بحث الأستاذين P.S. KONIKGSVELD - G.A. WIEGERS في مجلة AL-QANTARA 1994 ومنه نقلت النصوص الموجودة في هذا التقديم وهي مكتوبة بالحرف اللاتيني.  
2- أنظر العدد 15 من مجلة الأكاديمية وهو عدد خاص بالمورسكيين في المغرب، ولا سيما بحث الأستاذ عبد العزيز شهبز

وكلام هذا القيسي هنا يذكرنا بشعر قيسي آخر جاء بعده في القرن التاسع الهجري وكان أسيراً في أبدة وشكا في شعره من خدمة القسيسين والرهبان أيضاً. ومما جاء في إحدى قصائده في شكوى الأسر :

فحصلتُ في الأسر الذي أدواؤه لرهينهِ من أعظم الأدواء  
أجني مذلتَهُ وضيق قيوده بعدَ اجتناء العزة القساء  
ما بينَ قوم كافرين تلونوا في كفرهم كتلونُ الحرباء  
لا يرحمون موحداً في أرضهم إن جاءهم يشكو بخطبِ عناء  
ما إن أرى منهم سوى من قلبه من قسوة كالصخرة الصماء  
أصلُ الصباح مع المساء لديهم في الخدمة المعهودة الإعياء

ويقول في قصيدة أخرى :

واحسرتي بعد اشتغالي بالعلو م ودرسيها وتلاوة القرآن  
أمسي وأصبحُ خادماً متصرفاً لعبادة الأصنام والأوثان  
إن لم أكنُ بالحفر مُشتغلاً أكنُ بالهدم مُشتغلاً مع البنيان  
والكنسُ في يوم الجلوس صناعتي والرشُّ يتبعه مدى الأحيان  
وبغسلِ أقدار الكلاب تحرفني في أكثر الأوقات والأزمان  
فثيابهم أدراؤها مفسولة بيدي، وثوبي الدهر بالأدران

لقد طال أسر صاحب الزجل في لاردة وأصبح كما يقول : « لساني عجمي ،  
قد خانني جناني ، وكثرت أحزاني ، وأسلمني خاطري ، وبان عني ناظري ،

1- انظر كتابي : البسطى آخر شعراء الأندلس : 29.  
2 نفسه : 30.



واستعجم مني باطني وظاهري، فلا نقوم بجواب، ولا نعرف من كتاب، وحق لمن أسرته الروم، وكابد المشقة والهموم، أن يكلّ لسانه، ويضعف بيانه، ويذهب تبيانه» ولطول أسره ومقامه بين المدجنين صار له أهل وأولاد : «ثم إن الله بفضل له لما ابتلاني زادني العيال، وأسكنني الدجال» يعني مع المدجنين، وقد كان يطمع في الخلاص : «إذا سخط الله على عبد رماه في أرض الشرك، فإذا عفا عنه ولطف به الألفاف الخفية استنقذه وخلصه» ولهذا نجده في زجله يعبر عن ضيقه بالسكني في أرض الدجن ويتوجه إلى اله سائلا أن يخرج منه صحيحا سالما :

قَدْ عَيَّيْتُ سَكْنِي الدَّجَالَ  
رَبِّ أَخْرِجْنِي فِي حَالٍ  
حَسَنٍ وَمَعْتَدَالٍ  
فإِنِّي مَطْرُوحٌ مَهِينٌ  
بَيْنَ ظُهُورِ الْكَافِرِينَ

ويبدو أن القيسي هذا لم يكن زجالا محترفا ولعله لم يرُوعنه إلا هذا الزجل الذي ولّده فرحه بهزيمة أعداء المسلمين وتشفيه من غيظه عليهم بسبب ما كان يعانيه في الأسر والدجن. والزجل كما سنرى «يتألف من إحدى وخمسين مقطوعة تتألف كل واحدة منها من غصن ذي ثلاثة أجزاء على قافية واحدة ثم قفل ذي جزئين على وزن المطلع وقافيته» ولغة الزجل سهلة واضحة تكثر فيها الألفاظ الفصيحة لأن ناظم الزجل كان من أهل الفقه والعلم، وقد كان المستعرب ليفي بروفنسال نشر هذا الزجل مع ترجمة فرنسية في مجلة الأندلس منذ أزيد من ستين سنة ونظرا لطول المدة رأينا أن نعيد نشره مع هذه المجموعة من الأزجال القديمة، ونعرّزه بالترجمة الفرنسية وبالنبذة التاريخية التي سبقت الإشارة إليها. وفيما يلي نص الزجل :

كُنْ فِي عَوْنِ الْمُسْلِمِينَ  
يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ

\* \* \*

1. أَنْتَ هُوَ فَرْدٌ صَدَدٌ  
لَمْ يَكُنْ قَبْلَكَ أَحَدٌ  
لَا رِضَاً<sup>1</sup> خَيْرُ الْعِبَادِ  
هُوَ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ  
أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مُعِينُ

\* \* \*

2. فَعَسَى تَبَعَتْ لَهُمْ  
أَنْ يَشُدَّ أَرْزَهُمْ  
مِنْ دُعَا<sup>2</sup> نَبِيِّهِمْ  
وَدُعَاءِ الصَّالِحِينَ  
لَا يُرَدُّ<sup>3</sup> خَائِبِينَ

\* \* \*

3. أَهْلِكَ يَا رَبَّ الْعَدُوِّ  
لَا تَبْلُغْ مَقْصَدُوا<sup>4</sup>

---

1- لا رتضا هكذا في الاصل، وهي من فعل ارتضى، ويفهم من السياق أن الشاعر يوسل إلى الله تعالى بنبيه محمد عليه السلام، وعليه فقوله : لا رتضا خير العباد معناه لإرضاء خير العباد  
2- من دعا أي بدعاء  
3- لا يرد : لا يردون  
4- أي لا تبلغه مقصوده.

قَدْ تَرَى مَا يَعْبُدُوا<sup>1</sup>  
هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ  
رَبِّ رُدَّهُمْ خَائِبِينَ

\* \* \*

4. أَبُو مَرْءٍ<sup>2</sup> قَالَ لَهُمْ  
وَسَعُّوا فِي أَرْضِكُمْ  
أَلَمْ يَكُونُوا مِثْلَكُمْ<sup>3</sup>  
مَنْ قُتِلَ فِي الْأَوَّلِينَ  
بِسُيُوفِ بَنِي مَرَيْنَ<sup>4</sup>

\* \* \*

5. يَقِينُوا وَهُمْ جُلُوسٌ  
أَنْ يَأْخُذُوا لِلْأَنْدَلُوسِ  
ثُمَّ يَقْتُلُوا النَّفُوسَ  
الَّذِي هُمْ قَاعِدِينَ  
مِنْ هَذَا الْمُدَجَّنِينَ<sup>5</sup>

\* \* \*

6. سَوَّلَتْ نَفُوسُهُمْ  
عَلَى قَدَرٍ عَقُولَهُمْ

1. أي ما يعبدون ويريد أن يقول : إنهم يعبدون الصليب.

2. كنية إبليس.

3. يقصد النصارى الذين قتلوا في المواجهات مع بني مرين

4. إشارة إلى جهاد بني مرين في الأندلس وبفاعهم عنها ولاسيما في عهد يعقوب بن عبد الحق

5. يقنوا ايقتلوا. الأندلوس الأندلس، الذي الذين، يقتلوا يقتلون وفحوى القول أن الشيطان حرض النصارى على قتال المسلمين والهجوم على أرضهم، من هذا المدجنين أي من هؤلاء المدجنين والمدجنون هم مسلمو الأندلس الذين كتب عليهم أن يعيشوا تحت حكم النصارى ويسمون عندهم Mudejures.

وَزَمَرَ فِي بُوقِهِمْ  
نَفَخُ ابْلِيسَ اللَّعِينِ  
بِخَبَرِ الْأَوَّلِينَ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

7. وَالنَّصَارَى يَذْكُرُوا  
بِالدِّجَالِ انْتَصِرُوا  
حَوْلُوا هَذَا الْفَرُّ  
وَتَكُونُوا مَعزُوزِينَ  
مِثْلَ الْمُغَطَّسِينَ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

8. قَالُوا أَهْلَ الْأَرْدَا  
اصْبِرُوا عَلَى الرَّدَا  
مِنَ الْيَوْمِ إِلَى غَدَا  
يَفْتَحُ الرَّبُّ الْمُعِينُ  
وَيُغْلِي الْكَافِرِينَ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

١. لعل المعنى إن إبليس حرضهم وذكرهم بما فعل الأولون من المسلمين (أو بما فعل أسلافهم) من استيلائهم على الأندلس.

٢. يذكروا يذكرون. بالدجال أي بأهل الدجن. حولوا هذا الفرر أي أفلبوه ظهرا لبطن والمقصود غيروا دينكم. وتكونوا تكونون. والمغطسون : هم الذين دسروا أو تنصروا من المسلمين. والزجال يشير إلى عزم النصارى على تنصير من عندهم من المسلمين وبغرض المغريات عليهم وقد ورد ما يقرب من كلام القيسي هذا في كتابه مفتاح الدين وذلك قوله شاكيا : «وأنا نبعت إلى صاحب برنقال وإلى الفرسان والرجال وإلى صاحب قشتالة وإلى صاحب أرغون وتتعاون الجميع على هؤلاء القوم حتى نخرج الإفرييين واليهود والمسلمين ثم نبعثهم إلى أرض المسلمين يأخذونها فتكون الأرض لنا».

٣. الأرداء أهل الأردية وهم الفقهاء ولعل المعنى أن هؤلاء نصحو المدجنين الذين كانوا يدعون إلى التنصر بأن يصبروا على الامتحان فمضى أن يأتي الفرج.

9. حِينَ أَتَتْ سَبْعَ مَائِهِ

ثُمَّ تَسَعُ عَادِيَهُ

جُومِي أَبْعَثْ نَادِيَهُ

مَنْ يَكُنْ لِي مُعِينٌ

لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ<sup>(1)</sup>

\* \* \*

10. كَرَمٌ نَعْطَى فِي كِرَاهٍ

ثُمَّ دَارٌ بِحِذَاهُ

وَيَكُونُ عِنْدِي فِي جَاهٍ

لَا سَلَفٌ لِلْأَخْدِينَ

وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ<sup>(2)</sup>

\* \* \*

11. أَجْلَبَ الْخَلْقَ وَالْعُدَدَ

مَا لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدٌ

ثُمَّ أَرْمَى فِي الْبِلَادِ

يَغْرَمُوا الْمُرْفَهِينَ

وَجَمِيعَ الْمُتَوِينِ<sup>(3)</sup>

\* \* \*

1- ذكر تاريخ الحادثة وهو 709 للهجرة، وجومي JAIME والمقصود خايمي II ملك أراغون، وأبعث يبعث، ونائبه أي مناديه، ومن يكن . من يكون أي الذي.

2- كرم = كرمة أي حديقة أو جنة والمعنى أن جومي قال أنه يعطى من يشارك في الحملة داراً وحديقة على سبيل التمسك لا على سبيل السلف ويكون ملحوظاً عنده ومتاع ومتاعه، وإلى حين أي إلى وفاته. وقد اقتبسها الزجال من قوله تعالى «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين».

3- أجلب أجلب، أرمى أرمى أي أنه وزع رجاله لجمع نفقات الحملة من الأغنياء الأقياء والمترفين.

12. تَرَكَ أَرْضُ خَاوِيَهْ  
الْجِبَالِ وَالْأَوْطِيَاهْ  
مِنْ جِرْنَةِ لِمَرْسِيَهْ  
كُلُّ مَنْ يَحْمِلُ سِكِينَ  
أَوْ يُطِيقُ عَلَى أَنْيْنِ<sup>1</sup>

\* \* \*  
13. بِالصَّلِيبِ فَأَكْتَفَهُمْ  
يَزْعَمُوا أَنَّ رَبَّهُمْ  
بِهِ [قَدْ] أَمَرَهُمْ  
كَذَبُوا الْمَلْعُونِينَ  
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>2</sup>

\* \* \*  
14. لَبَسُوا لَكَ السَّالِحْ  
النَّصَارَى الْقِيَاحْ  
مَنْ لَا فِي وَجْهِ فَلَاحْ  
كَثَرَتُهُمْ مَغَطُّسِينَ<sup>3</sup>  
وَالْيَهُودَ الْكَاذِبِينَ  
\* \* \*

1- أي أن خايمي جند كل قادر على حمل السلاح وغير قادر وترك أرضه سهولا وجبالا خالية وجرة Gerona وفي مدينة معروفة وكانت مهمة في ممكة أراغون أما مرسية فقد استولى عليها الأراغونيون وأرض : أرضه، والأوطياه جمع وطا وهو السهل.

2- فأكثفهم : في أكتافهم، يزعمون : يزعمون، كذبوا الملعونين (على لغة أكلوني البراغيث وهي كثيرة في العامية) أي كذب الملعونون والمعنى أنهم كانوا يحمون الصليب على أكتافهم كما أمرهم ربهم حسب زعمهم  
3- يعني أن هذه الحملة كانت تتألف من النصاري واليهود والمتنصرين وهم الأكثر وقد عبر عنهم بالمغطسين وقد دخلت هذه الكلمة إلى الإسبانية AL MOGATACE وجاء في مفتاح الدين «وتحالفوا بينهم وجعلوا الصليب على أكتافهم ألا يخرجوا عن رأيهم حتى يخرجوا المسلمين ويعطسوا المدجلين،



15. الْمُنْجَمُ قَالَ لَهُمْ  
قَدْ تَقَهَّرَ نَجْمُكُمْ  
هَذَا هُوَ الْمَرِيخُ لَكُمْ  
وَالْبَرْجِيسُ لِلْمُسْلِمِينَ  
هُمْ يَكُونُوا ظَافِرِينَ<sup>1</sup>

\* \* \*

16. الْمَرِيَّةُ أَتَوْا لَهَا  
طَمَعُوا فِي أَخْذِهَا  
لِقِتَالِ أَهْلِهَا  
هُمْ [بِه] مُسَمِّينَ  
لِدَهْوَرِ الدَّاهِرِينَ<sup>2</sup>

\* \* \*

17. تُرِيدُ أَنْ تَسْمَعَ خَبَرَ  
لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ الْبَحْرَ  
بِالْقَطَائِعِ قَدْ عَمَرَ  
قُلْتُ رَبِّي أَنْتَ مُعِينُ  
عُصْبَةُ الْمُوَحِّدِينَ<sup>3</sup>

\* \* \*

1- كان المنجمون من لوازم البلاطات وقبل الخروج إلى أي حركة عسكرية يقوم المنجم بالنظر في الطالع، ويقول الزجال هنا إن المنجم أخبر هؤلاء الصليبيين بأن الطالع ليس في صالحهم وأنه في صالح المسلمين والبرجيس : هو المريخ، ويكونوا : يكونون.

2- مسممين هكذا قرأها وكتبها وترجمها بروفنسال. وأظن أنها مسممين أي مصممين والمعنى أنهم كانوا مصممين على أخذ المربة، والمعروف أنه سبق لهم أن هاجموها وحاصروها في حملة صليبية ودخلوها سنة 42-5م ثم استردها بعد ذلك الموحدون بقيادة الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد المومن.

3- البحر بفتح الحاء. نطق عامي مستوع عندنا. القطائع المراكب الحربية وعصبة هكذا شكلها بروفنسال وأحسن منها في الوزن عصابة

18. أَقْبِلُوا أَهْلَ بَرْتُقَالٍ

بَيْنَ رُكْبَانٍ وَرَجَالٍ

مَا لَا يُحْصَى لَهُ مِثَالٌ

وَرَجَالٌ مُسَلِّحِينَ<sup>1</sup>

\* \* \*

19. وَأَهْلَ قَشْتَالَهْ كَذَاكَ

أَجْمَعُوا عَلَى الْهَادِكِ

قَطَعُوا إِلَى السَّكَاكِ

لِلْجَزِيرَةِ قَاصِدِينَ

نَزَلُوا حَقًّا يَقِينِ<sup>2</sup>

\* \* \*

20. ثُمَّ دَارَتْ الْخِيُولُ

فِي الْوَعَرِ وَفِي السُّهُولِ

وَكَلَامٌ فِيهِمْ يَطُولُ

إِنَّ صَبْرَ الْمُسْلِمِينَ

لَا يَصِفُهُ الْوَاصِفِينَ<sup>3</sup>

\* \* \*

---

1. أقبلوا أهل : أقبل أهل، ويرتقال هم البرتقال.

2. قشتالة كانت من الممالك النصرانية التي تألفت منها إسبانيا ! السكاك : السكك أي الطرق، والجزيرة هي الجزيرة الخضراء.

3. قوله : وكلام فيهم يطول، هو الذي تروحه المزرح في الملحق لاتي وهو له لا يصفه الوصفين ي لا يصفه الوصفون

21. اللَّهُ أَوْزَارًا<sup>(1)</sup> قُدْرَتَهُ

ثُمَّ أَرْسَلَ رَحْمَتَهُ

لِلنَّبِيِّ وَأُمَّتِهِ

بِالْقُلُوبِ الْمُطْمَئِنِّينَ

كَنْ لَهُمْ رَبٌّ مُعِينٌ

\* \* \*

22. صَبَرُوا عَلَى الْجِهَادِ<sup>(2)</sup>

اسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ أَعْدَادُ

ضَمَّهُمْ رَبُّ الْعِيَادِ

وَذَنُوبُهُمْ مَغْفُورِينَ

وَجَسُومُهُمْ طَاهَرِينَ

\* \* \*

23. أَيُّ رَجَالٍ وَأَشْدَّ الرِّجَالِ

عَوَّلُوا عَلَى الْقِتَالِ

وَيَرْوَعُوا لِلنَّبَالِ

لِلطَّعَانِ هُمْ صَابِرِينَ

لَمْ يُوَلُّوا مُدْبِرِينَ<sup>(3)</sup>

1. أوزى ويقال أيضا وزى أي أظهر في العامية، والمطمئنين - المطمئنين.

2. في هذا المقطع والذي بعده يشيد هذا الزجال بشجاعة المجاهدين المسلمين وصبرهم واستشهادهم

3. أي رجال - يعني أنهم رجال وأي رجال، يروغوا - يروغون أي ينحرفون ويتحاشون ولم يولوا مدبرين أي لم يفروا، والزجال يستعمل العبارات الفرانية ففي القرآن الكريم «إذ ولوا مدبرين» «ثم وليتم مدبرين» «ومن يولهم يومئذ نبره».

24. ثَبَّتْ أَقْدَامَهُمْ  
وَرَأَى اللَّهُ صَبْرَهُمْ  
وَعَلِمَ قُلُوبَهُمْ  
أَنَّهُمْ صَابِرِينَ  
وَقُلُوبُهُمْ مُخْلِصِينَ<sup>(1)</sup>

\* \* \*  
25. اللَّهُ أَوْراً<sup>(2)</sup> مُعْجِزاً  
عَلَى يَدِ هَوَلا الغُزَا  
قَاتَلُوا مِنْهُمْ أَجْزاً  
مَنْ جُمُوعِ الْكَافِرِينَ  
وَاقْهَرُوهُمْ مُحْصَرِينَ

\* \* \*  
26. ثُمَّ جَاهُمْ<sup>(3)</sup> الْوَبَا  
لِلنَّصَارَى الْمَذْنِبَا  
لِلْقِيَاطِينَ وَالْخَبَا  
لِلنَّقُوسِ تَسْمَعُ طَنِينَ  
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ قَرِينُ  
\* \* \*

1. صاحب هذا الزجل فقيه حافظ للقرآن الكريم ولهذا استعمل بعض الالفاظ القرآنية الواردة في آيات الجهاد وهو هنا يشير إلى قوله تعالى في سورة الفتح «فعلّم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً»  
2. أورا أي أظهر، معجزة معجزة والغزا الغزاة أي المجاهدون وقد كان هذا اللقب يطلق على المجاهدين من بني مرين المرابطين بالأندلس في عهد بني الأحمر ومنهم عثمان بن أبي العلاء شيخ الغزاة وصاحب المواقف البطولية ومنها تصدي هذا الحصار على المرية وكسره له، وقد توفي سنة 730هـ. وقوله : واقهروهم محصرين أي قهروهم رغم أنهم كانوا محاصرين.  
3. جاهم جاهم، الوبا أي الطاعون . المذبأ المذبون والقياطين جمع قيطون، والخبأ الخباء للنقوس : للناقوس، وقرين : معناها نفس وصاحب، وقد ترجمها بروفنسال بأحد الأعيان.

27. وَأَتَاهُمُ الْغَلَادُ  
وَالْتَشَّتْ وَالْبَلَادُ  
بِالْقَمَلِ رُؤُسُهُمْ مَلَأَ<sup>(1)</sup>  
كُنْ تَرَاهُمْ مَذْبُولِينَ  
وَرُؤُسُهُمْ مَحْلُوقِينَ

\* \* \*

28. يَتَوَجَّوْهُ مِثْلَ الْقُرُودِ  
النَّصَارَى وَالْيَهُودُ  
غَيْرَ اللَّهِ الْخُدُودُ  
فِي التُّرَابِ هُمْ مُطْرَحِينَ  
وَنَفُوسُهُمْ هَالِكِينَ<sup>(2)</sup>

\* \* \*

29. وَالشَّتَا لَيْلٌ وَنَهَارُ  
وَالْبَرَاعِثُ تَنْتَثِرُ  
مِثْلَ قَوْمٍ فِي الْأَسْرِ  
هَذَا هُوَ زَجْرًا مُبِينُ  
عِبْرَةٍ فِيهِ لِلْآخِرِينَ<sup>(3)</sup>

\* \* \*

1- ملا : ملأى، مذبولين : ضعاف يبدو عليهم الذبول.

2- تكرر ذكر اليهود في هذا الزجل إلى جانب النصارى، ويفهم منه أنهم، أصبحوا مع النصارى حربا على المسلمين، وقوله : مطرحين أي مطروحين.

3- في النبذة التاريخية التي ستأتي أن الله «أرسل الريح الغربية مدة شهرين فمُنعت أجفانهم (سفنهم) من السير وقطعت عنهم المير حتى عمهم الجوع». وفي الشطر الأخير يستمد الزجال من محفوظه القرآني ويشير إلى الآية الكريمة : «فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين».

30. لَمْ يَعْمَهُمْ<sup>١</sup> طَبِيبٌ  
مِنْ نَتْنِهِمْ أُصِيبُوا  
بِعَوَاهِمٍ مِثْلَ الْكَادِبِ  
وَتَرَاهُمْ خَائِضِينَ  
مِنْ أَمَالِهِمْ قَانُطِينَ

\* \* \*

31. وَأَرْسَلَ اللَّهُ الذُّبَابَ  
نَزَلَتْ عَلَى الْجَرَّابِ<sup>٢</sup>  
مِثْلَ صَبٍّ أَوْ سَحَابٍ  
كَانُوا يَحْكُوا مُهْطَعِينَ  
لِجَسُومِهِمْ سَالِحِينَ

\* \* \*

32. ثُمَّ إِنَّ الْعُلَمَاءَ<sup>٣</sup>  
صَارُوا مِثْلَ الْجُدَمَاءِ  
عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ رَمَا  
زَجْرَهُ فِي الْمَذْنُبِينَ  
وَأَنََّّهُمُ الْخَاطِئِينَ

\* \* \*

---

١- لم يعمهم طبيب لعل المعنى أن عدد الأطباء كان قليلا فلم يباشروا جميع المرضى.  
٢- الجراب الجرب صب أو سحاب يقصد المطر الشديد وقرأ بروفنسال صب وترجمها بالضباب والغيم، ومهطعين : مسرعين.  
٣- العلماء يقصد به رهبانهم الجذما المعروف في العامية الأندلسية والمغربية مجدام وجمعه مجادم، ولعل الزجال قاس الجذماء على العلماء ومقصوده أن الرهبان صاروا كالمبتلين بالجذام



33. قَالُوا نَرْمُوا<sup>(1)</sup> فِي الْبَحْرِ

كُلُّ مَنْ يَعْمَلْ ضَرَرٌ

وَيُؤْخَذُوا فِي الْأَسْرِ

النِّسَاءَ وَالْمُذْنِبِينَ

نَحْنُ بِهِمْ مَأْخُودِينَ

\* \* \*

34. عَمَّرُوا بِهِمْ جَفَانَ<sup>(2)</sup>

وَأَرْسَلُوهُمْ لِمَكَانٍ

أَنْ يَكُونَ لَهُمْ حِصَانٌ

خَرَجُوا لِلْمُسْلِمِينَ

أَخَذُوهُمْ مَأْسُورِينَ

\* \* \*

35. لَوْ تَرَأَ أَهْلَ الدِّجَالِ<sup>(3)</sup>

حِينَ آتَا هَذَا الْمَالَ

يَسْمَعُوا إِلَى السُّوَالِ

بِرُؤُسِهِمْ مَا يَلِينُ

وَقُلُوبُهُمْ فَارِحِينَ

\* \* \*

1. نرمو: نرمي في الأسر في البحر، في البحر، ومعنى هذا القسم أن رهبان الحملة لما رأوا ما حل بهم عرفوا أنه عقاب من الله لهم على تعديهم فقرروا أن يكفروا عن ذلك بالتضحية بالنساء وأهل الذنوب وذلك إما بالقائهم في البحر أو برميهم إلى بلاد المسلمين فيؤخذون أسرى، ومثل هذا العمل كان معروفا عند النصارى في القرون الوسطى.

2. جفان: أجفان جمع جفن وهي المراكب البحرية حصان : حصن.

3. أهل الدجال أي أهل الدجن أو المدجنون وقوله حين أتى هذا المال يعني حين جاء الخبر إلى المدجنين بما آل أمر أصحاب الحملة من وقوعهم في الأسر فرحوا في سرهم، والسؤال السائلون، برؤوسهم ما يلين أي يميلون رؤوسهم للاستماع.

36. لِلَّهِ هُمْ يَقْصِدُوا  
 فِي الْمَسَاجِدِ يَعْبُدُوا  
 أَنْ لَا يَنْتَقِمَ عَدُوُّ  
 عَلَى أَرْضِ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَأَنْ يَكُونُوا مَحْفُوظِينَ<sup>1</sup>

\* \* \*  
 37. ثُمَّ جَاءَهُمُ الْخَبَرُ  
 بِأَنْ قَدْ حَلَّ الدَّمَارُ<sup>2</sup>  
 بِأَرْضِ قَشْتَالٍ وَصَرَ  
 عِبْرَةً لِلْسَّائِلِينَ  
 عَلَى يَدِ الْمُسْلِمِينَ

\* \* \*  
 38. سَمِعُوا الْمَخَازِي ذَاكَ  
 بِدِمَاهِهِمْ تَسْفَكَ  
 يَقِينُوا ثُمَّ بِالْهَلَاكِ  
 ثُمَّ وَلَوْ مُدْبِرِينَ  
 لِدِيَارِهِمْ هَارِبِينَ  
 \* \* \*

---

1- يقصلوا : يقصدون. يعبدوا : يعبدون  
 2- دمر المصار وصر و صار والإشارة إلى الهزائم التي لحقت خلال حصارهم طارق الخضر . و هلاك  
 ملكهم سنة 712هـ (العبرة 7 : 518 - 519) وقشتال = قشتالة (Castilla).  
 3 المخازي : البلايا، ذاك : هذه وقوله : ثم ولوا مدبرين مأخوذ من الآية : وضائق عليكم الأرض بما  
 رحبت ثم وليتم مدبرين.

39. فِي الْخَوَايِمِ<sup>١</sup> أَطْلَقُوا

النَّيْرَانَ وَأَحْرَقُوا

قَوْمَ لِقَوْمٍ أَغْرَقُوا

فِي الْبَحْرِ يَأْسَامِعِينَ<sup>٢</sup>

كُلٌّ مِّنْ لَّا لَهُ مُعِينٌ

\* \* \*

40. جَوْمِي<sup>٣</sup> أَرْسَلُ رُسُلَهُ

مَاصِبٍ يَرْجِعُ لَهُ

بِالَّذِي أَقِيلَ لَهُ

خَيْلٌ خَلَاءَ حَارِيَيْنَ<sup>٤</sup>

وَطَلَعَ لِلْبَحْرَيْنِ<sup>٥</sup>

\* \* \*

41. قَالَ لَهُمْ قَوْمُوا أَقْلِعُوا<sup>٦</sup>

مِنْ كَلَامِي أَسْمَعُوا

خَيْلُ الْإِسْلَامِ دَفَعُوا

نَحُونَا هُمْ قَاطِعِينَ<sup>٧</sup>

وَأَلَيْنَا قَاصِدِينَ<sup>٨</sup>

\* \* \*

١ في الخوايم أي في البدن ويقول صاحب النبتة التاريخية : ووسقوا أثقالهم في المراكب وما عجزوا عنه أصروا فيه النيران. وفي سهم طائف بعد ذلك ضاقت عليهم الأجفان فقاموا تحت الذمة.

٢ جوسى : خايمي : Jaime يرجع : يرجعون. أقل له : قيل له. وقوله خيلوا إلخ أي أنه ترك فرسانه يحاربون وصعد إلى مراكبه.

٣ اقلعوا : انشروا القلاع، دفعوا : اقبلوا مهاجمين.

42. لَوْ تَرَأَ حِينَ رَجَعُوا

لِلْحَوَانِيتِ<sup>١</sup> يَقْطَعُوا

بِالسَّعَى هُمْ يَرْجِعُوا

كُلُّ صَوْتٍ بِأَنِينٍ :

ارْحَمُوا يَا مُحْسِنِينَ

\* \* \*

43. وَالْثِيَابُ مُمَزَّقَةٌ

وَالْعَيْنَانِ مُخَرَّقَةٌ

وَالْوُجُوهُ مُطَرَّقَةٌ<sup>٢</sup>

بِسَوَادٍ مِثْلَ طِينٍ

قَدْ عَلَا فَوْقَ الْجَبِينِ

\* \* \*

44. مَنْ رَجَعَ لِأَهْلِهِ

رَجَسَهُ<sup>٣</sup> لِقَاؤُهُ

وَأَعْلِمَ جِيرَانُهُ

بِالْمَرَضِ هُمْ مَهْلَكِينَ

فِي الطُّرُوقِ هُمْ مَطْرُوحِينَ

\* \* \*

١- للحوانيت يقضوا عليها التي تسمى بالبيوت في النبذة التاريخية وترجمها بروفنسال بم يلي يمزقون خيامهم بالسعي بالسؤل والاستجداء، يرجعوا يرجعون أي يردون. ارحموا يا محسنين من عبارات المتسولين  
٢- العينان عذن الفرس الذي يمسك به، والمقصود أنهم رجعوا وأعنة خيلهم ممزقة وقوله ولوجوه مطرقة أي كالنعل المرقعة، ولعله يشير إلى الحديث الوارد في كتب الفتن وفيه «كان وجوههم المجان المخرقة»  
٣- رجسه : رجسوه أي اعتبروه رجسا وتحاشوه، في الطروق : في الطرق، ومطروحين : منبوذين.

45. مَنْ دَنَا مِنْهُمْ نَدَمٌ  
أَوْ مَرَضٌ أَوْ سَقَمٌ  
وَلَحِقَهُ الْحِمَامُ  
لَمْ يَعْمَهُمْ دَفِينٌ<sup>(1)</sup>  
فِي الْكَنَائِسِ مُقْبَرِينَ

\* \* \*

46. لَوْ تَرَأَ مَا فَعَلُوا  
فِي لَقْنَتِ<sup>(2)</sup> حِينَ نَزَلُوا  
قَوْمٌ لِقَوْمٍ قَتَلُوا  
هَذَا فِعْلٌ مَنْ لَا لَهُ دِينَ  
وَعِبْرَةٌ لِلنَّاطِرِينَ

\* \* \*

47. مَنْ لَا أَقْبَلَ بِحَثِيثِ<sup>(3)</sup>  
حَيٍّ أُرْمَا يَسْتَغِيثُ  
وَدُمُوعُ كَالرُّيْثِ  
قَبُورُ جُبٍّ بَانِيِينَ  
اسْكُنُوهُ الظَّالِمِينَ

\* \* \*

1. الحمام : الموت. دفين : دفن، مقبرين مدفونين.

2. لقنت Alicante مدينة معروفة في شرق الأندلس.

3. بحثيث : بسرعة. أرمأ رمي وألقي ودموع ودموعه. كالرثيث كالمطر. دوزي 509 نقلا عن Voc وفيه الرثات، وهي هنا بالإمالة.

48. في لَقَنْتِ الْكُبْرَا<sup>(1)</sup>

جُبَّهَا صَارَ مَقْبَرَا

لِعِظَامِ الْكَفَرَا

اقْبَرُوهُمْ مَقْهُورِينَ

وَهُمْ أَحْيَا رَاغِبِينَ

\* \* \*

49. تَعْلَمُ يَا رَبُّ أَنَّهُ

لَمْ نُنِّمْ نَصْفَهُ<sup>(2)</sup>

كَمْ عَسَى أَنْ نَصْفَهُ

لَوْ يَقُولُوا الْقَائِلِينَ

لَمْ يَتِمَّ بَعْدَ حِينٍ

\* \* \*

50. قَدْ عَيَّيْتُ سَكْنَى الدَّجَالِ<sup>(3)</sup>

رَبِّ أَخْرَجْنِي فِي حَالٍ

حَسَنٍ وَمُعْتَدَالٍ

فَإِنِّي مَطْرُوحٌ مَهِينٌ

بَيْنَ ظُهُورِ الْكَافِرِينَ

\* \* \*

1. يفهم منه أن ثمة لقنت الكبرى ولقنت الصغرى، وهذا في معجم البلدان لياقوت : لقنت : بفتح أوله وثانيه وسكون النون وتاء متناه حصنان من أعمال لاردة بالاندلس لقنت الكبرى ولقنت الصغرى وكل واحدة تنظر إلى صاحبتهما والجب البئر وهو في الإسبانية Algibe.  
2. لم يتم نصفه يعني أنه لم يتم نصف الكلام على الواقعة.  
3. الدجال الدجل الدجن، وقد تقدم شرحه ومعتدال ومعتدل ومطروح مهين مطرح مهان. وبين ظهور الكافرين أي بين ظهورهم بفتح الراء وظهورانيهم بفتح النون.



51. صَدَقَ الْقَيْسِيُّ وَقَالَ

وَرَغَبَ لَذِي الْجَلَالِ

عَسَى يَقْبَلَ لَهُ سُؤَالُ

مَنْ دُعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مُعِينُ

لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ<sup>١</sup>

---

١- ختم القيسي زجله على طريقة أهل الزجل والملحون بالإعراب عن شهرته



## ترجمة فرنسية لزجل القيسي

\*سبق للمستعرب ل بروفنسال نشر زجل لقيسي مشفوعا بترجمته إلى الفرنسية في مجلة الأندلس وقد رأينا إعادة نشر هذه الترجمة التي قدم زمنها لأرتباطها بالنص العربي وللزيادة في الإفادة والإيضاح.

Sois en aide aux Musulmans - ô Dieu des deux mondes!

1. C'est Toi qui es Un, Éternel. - Il n'y a eu avant Toi personne -pour agréer le meilleur de Tes esclaves : - lui, Muhammad, qui les a assurés - que Tu leur accorderais Ton assistance!

2. Et sans doute leur enverras. Tu - quelqu'un qui leur servira de soutien! - D'avoir invoqué le Prophète ~ et d'avoir invoque les saints, - ils ne se trouveront pas repoussés, déçus!

3. Fais périr, mon Dieu, l'ennemi! - Ne lui fais point gagner son but! - Tu vois bien ce qu'ils adorent, - ces mécréants : - Mon Dieu, repousse-les et rends vains leurs efforts!

4. Le démon leur a dit : - «Étendez-vous sur votre territoire ! y - N'étaient-ils pas leurs pareils - ceux qui ont péri, parmi leurs aînés, - par les sabres des Mérinidés?

5. Ils ont acquis la certitude, alors qu'ils étaient réunis, - qu ils s'empareraient d'al-Andalus, - puis qu'ils tueraient les créatures - qui sont réduites à une attitude passive - parmi ces Mudéjares (que nous sommes)!

6. Une inspiration diabolique les a pris - à la mesure de leurs intelligences; - et a retenti dans leurs trompes - le souffle de Satan le maudit - pour leur rappeler les exploits de leurs ancêtres.

7. Et les Chrétiens répétaient alors - aux Mudéjares : «Devenez Chrétiens! - Changez (pour d'autres accoutrements) ces pelisses (qui vous distinguent). - Alors, vous serez entourés d'égards/—tout comme le sont les baptises (Almogataces).»

8. Les gens aux réponses sensées dirent (aux Mudéjares): - «Supportez avec constance vos maux! - D'aujourd'hui à demain, - l'aide divine peut vous délivrer - et anéantir les impies!»

9. Lorsque vint l'année 700 - et que s'y ajoutèrent neuf autres années - Jaime (jawmy) envoya son héraut proclamer : - «Qui voudra venir à mon aide - pour combattre les Musulmans,

10. Je lui donnerai une vigne pour prix de son louage - et aussi une maison à côté ! - il sera auprès de moi l'objet d'estime! - Ceux qui recevront mon cadeau n'en jouiront pas à titre de prêt - et sa possession leur sera garantie pour l'avenir! »

11. Il fit venir troupes et approvisionnements, - trop nombreux pour pouvoir être dénombrés. - Puis ses hommes se déversèrent sur le pays, - pour exiger des impositions des personnes à l'aise - et de tous les gens riches.

12. Il laissa un territoire vide (d'hommes) - dans les montagnes comme dans les plaines - depuis Gérone jusqu'à Murcie. - Il ne resta personne qui fût en état de porter un coutelas - ou fût capable de proférer la moindre plainte.

13. (Ils se mirent en route), avec la croix sur leurs épaules; - ils prétendaient que leur Dieu - leur avait ordonné d'en faire ainsi : - c'était mensonge de ces maudits - à l'égard du Maître des Mondes!

14. Ils revêtirent donc leurs armes - ces Chrétiens méchants, - aux visages marqués par la malchance! - La plupart étaient des Almogataces - et il y avait aussi des Juifs menteurs.

15. L'astrologue leur avait dit: - «Votre horoscope est défavorable! - Vous êtes sous le signe de Mars - et les Musulmans sous celui de Jupiter : - c'est eux qui seront vainqueurs!»

16. A Almería, ils s'en vinrent; — ils convoitèrent de la prendre, - en livrant combat à ses habitants : - ce qui eût été pour eux une gloire - inscrite aux siècles de l'éternité !

17. Veux-tu en écouter l'histoire? - Lorsque je vis que la mer

- s'était emplie de galères, — je dis : « Mon Dieu, c'est Toi qui aideras  
- le parti des Unitaires! »

18. Vinrent les gens du Portugal, - tant cavaliers que fantassins, - en un nombre incalculable - avec des chevaux couverts de housses de mailles - et des hommes en armes.

19. Et de même les gens de Castille - s'en vinrent tous à leur perte, - parcourant les chemins - en direction d'Algeciras. - Ils établirent leur camp, bien sûrs (de leur victoire).

20. Puis les cavaliers ennemis firent des tours - dans les régions accidentées et plates du pays. - Il serait trop long de le raconter. - Quant à la fermeté dont les Musulmans firent preuve, - personne ne pourrait la décrire !

21. Allah montra Sa puissance, - puis envoya Sa miséri- corde - au Prophète et à Son peuple : - les cœurs étaient satisfaits. - Sois - leur en aide, ô mon Dieu!

22. Ils combattirent pour la foi avec constance! - Nombre d'entre eux périrent en martyrs : - le Dieu des créatures les rassembla, - absous de leurs péchés, - leurs corps-en état de pureté!

23. Ah! quels hommes! Ah! oui! quels hommes! - Ils se préparèrent au combat. - Ils se détournaient pour éviter les

flèches; - ils tenaient bon sous les coups des lances; - ils ne reculaient pas, en tournant le dos à l'ennemi!

24. Ils se maintenaient sur place. - Allah vit leur fer mété -et remplit leurs cœurs de la conviction - qu'ils étaient des guerriers pleins de constance - et que leurs cœurs étaient sincères!

25. Allah donna le spectacle d'un miracle - en la personne de ces guerriers. - Ils tuèrent des troupes d'ennemis -. parmi les bandes des incroyants - et forcèrent les autres à s'enfermer assiégés.

26. Puis leur arriva la peste - aux Chrétiens, gens dépêché, - dans leurs tentes et leurs pavillons. - On entendait les cloches tinter - quand parmi eux mourait un notable.

27. Puis leur arrivèrent le renchérissement des vivres, - et la désertion, et les calamités. - De poux, leurs têtes devinrent pleines! - Si tu les avais vus amaigris par leurs privations - et leurs têtes rases !

28. Leurs faces semblaient celles de singes, - les Chrétiens tout comme les Juifs! - Allah couvrit de rides leurs visages. - Ils gisaient sur le sol, - pendant que la mort faisait son œuvre !

29. La pluie, nuit et Jour, faisait rage - et les puces S'éparpillaient, - telle une famille réduite en captivité. - C'était là un signe clair de la colère divine, - un avertissement pour ceux qui viendront plus tard!

30. Pas de médecin pour les soigner tous - Ils furent victimes de leur puanteur, - parmi leurs hurlements tels des chiens. - Tu aurais pu les voir alors en proie à la terreur, - désespérant d'obtenir le résultat qu'ils avaient escompté !

31. Allah envoya dans leur camp des nuées de mouches - qui se jetèrent sur les galeux, - telles la brume ou un nuage ! - Ils hérissaient, pleins d'effroi, - après avoir gratté leurs corps jusqu'au sang.

32. Puis, il arriva que leurs clercs — devinrent pareils à des lépreux. - Ils surent qu'Allah avait lancé -Sa colère contre les pécheurs - et qu'ils étaient dans l'erreur.



33. Ils dirent : «Lançons sur la mer - tous ceux quicommettent du mal, - et ils seront réduits en captivité. - Car (si nous gardons avec nous) les femmes et ceux qui ont péché, -nous serons pris en même temps qu'eux !»

34. Ils en remplirent des bateaux - et les envoyèrent à certain endroit - qui pourrait leur servir d'asile. - Mais les Musulmans sortirent - et les firent prisonniers !

35. Si tu avais vu les Mudéjares - quand cette nouvelle leur parvint ! - Ils écoutaient les réponses aux questions, - leurs têtes penchées, - leurs cœurs joyeux !

36. Ils dirigèrent leurs prières vers Allah, - dans les mosquées, dévotement, - pour que l'ennemi ne se vengeât point - contre le territoire des Croyants - et qu'ils fussent eux-mêmes à l'abri de ses méfaits.

37. Puis leur parvint la nouvelle — que la dévastation s'était exercée - sur le territoire de la Castille et que celui-ci était devenu - une leçon pour ceux qui questionnent, - par les mains des Musulmans,

38. Les Chrétiens, en apprenant ces calamités, - avec le sang des leurs répandu - furent alors sûrs de leur perte, - et ils battirent bientôt en retraite, - prenant la fuite vers leurs demeures.

39. Dans leurs tentes fut mis - le feu et elles furent incendiées. Groupe par groupe, ce fut la noyade - dans la mer, ô vous qui m'entendez, - de tous ceux qui n'avaient aucune assistance !

40. Jaime envoya ses messagers — mais ne patienta pas Jusqu'à leur retour, -à cause de ce qui lui fut dit. -Il laissa ses cavaliers au combat - et monta vers les matelots.

41. Il leur dit : «Debout, mettez à la voile ! - A mes paroles, obéissez ! - Les cavaliers de l'Islam s'avancent - dans notre direction, tout droit - et arrivent, vers nous !»

42. Si tu avais pu voir leur retour ! - Leurs tentes ils les mettaient en pièces. - Avec peine, ils battaient en retraite ; - chaque voix proférait ce gémissement: -« Pitié pour nous, vous qui avez bon cœur !»

43. Leurs vêtements étaient en lambeaux, - les brides de leurs chevaux en pièces, -leurs visages tout bariolés-d'une noirceur pareille à de la boue - qui les eût recouverts jusqu'au dessus du front !

44. ceux qui revinrent dans leur famille - la contaminèrent à leur contact, - et leurs voisins s'en rendirent compte. - (Les autres) succombèrent (en route) à la maladie - et ils gisaient sur les chemins.

45. ceux qui s'approchèrent d'eux eurent à le regretter - ils tombèrent malades ou prirent un mal chronique - et la mort les atteignit bientôt. - Les lieux de sépulture ne furent plus suffisants pour contenir leurs cadavres, - dans les églises on les enterra !

46. Si tu avais vu ce qu'ils firent- à Alicante, quand ils s'y installèrent : - ce fut une tuerie réciproque, -action de gens sans religion, - signe pour les observateurs !

47. Celui qui ne s'éloigna pas en toute hâte - vivant fut précipité malgré ses supplications, - et ses larmes coulaient comme la pluie !.- Ils bâtirent une voûte sur une citerne -et en firent la demeure des criminels.

48. A Alicante la grande - le château d'eau devint un sépulcre - pour les ossements des mécréants. - Ils les y en terrèrent par force, - encore en vie et suppliants !

49. Tu sais, mon Dieu, que - je n'ai pas terminé la Moitié de mon poème. -Combien aurais-je pu encore y raconter de choses ! -Si d'autres compositeurs voulaient parler à ce sujet, - ils ne termineraient leur composition qu'après bien du temps .

50. Je suis las de résider ici, comme Mudéjar! - Mon Dieu, fais-moi quitter ce pays, en condition - bonne et en temps propice ! - Car je suis ici au rebut, et méprisé - en plein milieu des mécréants.

51. Voilà ce que, sincère, a dit al-Qays\_, -en suppliant Celui qui possède la gloire, - peut-être agréera-t-Il sa demande, - qui est l'invocation des Croyants : - «Qu'Allah vienne en assistance - à l'ensemble des Musulmans !.





# حصار المرية\*

709 هـ - 1309 م

---

\* رأينا من المفيد نشر هذا النص هنا لعلاقته بزجل القيسي المذكور آنفا.

## حصار المرية<sup>(1)</sup>

709 هـ - 1309 م

«وفي هذه السنة في يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الأول منها بموافقة شهر غشت من الشهور العجمية في أول دولة أبي الجيوش<sup>(2)</sup> حاصر البرشلوني<sup>(3)</sup> المرية وقائد أبي الجيوش عليها القائد أبو مدين شعيب بن شعيب<sup>(4)</sup> وعلى البحر القائد أبو الحسن علي الرنداحي<sup>(5)</sup>.

والبرجلوني<sup>(6)</sup> المذكور طاغية أرغون خذله الله وصل عشية يوم الإثنين ثاني الشهر المذكور إلى طرف الفنت<sup>(7)</sup> من ساحل المرية الشرقي في ثلاثمائة قطعة بين صغار وكبار حربية وسفرية فحط هناك وبات في أجفانه<sup>(8)</sup> فلما كان من الغد يوم الثلاثاء أنزل الخيل والعدد والأزواد بتلك المواضع من طرف الفنت إلى الموضع المعروف ببركة الصفر<sup>(9)</sup>، وانتشر الفرسان والرجال بفحص المرية وخارجها، وفي الحين أمر القائد أبو مدين بهدم ما قارب الأسوار من المباني بخارج البلد، فهدمت، وسويت

1- راجع تقديمنا لزجل القيسي الذي مر أنفا وقد ترجم هذا النص إلى الفرنسية إ. س. علوش ونشره في مجلة هسبريس 1933 كما ترجمه إلى الإسبانية ك. س. البرنت وضمنه في الجزء الثاني من كتبه إسبانيا المسلمة.

2- هو أبو الجيوش نصر بن محمد رابع ملوك بني الأحمر خلع أخاه محمد الثالث وتقدم مكانه عام 708 ولكنه أصر بعد ذلك وأجبر على الإقامة بوادي آش إلى أن توفي عام 722 هـ وترجمته في الإحاطة واللحة البدرية وغيرهما.

3- هو خايمي الثاني ملك أرغون (1291م - 1327م).

4- هو شعيب بن أحمد بن شعيب أبو مدين. ترجم له ابن القاضي في درة الحجال ولم يزد على قوله : قائد المرية وهو الذي نزل عليه البرشلوني وقت ولايته عليها سنة 709 هـ. وهو من أسرة كانت مشهورة في المرية تولى أفرادها القضاء والخطابة والإمامة ولقيادة. انظر تراجمهم في درة الحجال 1 : 127، 2 : 62، 3 : 73 وانظر أيضا الإحاطة 2 : 440 - 441.

5- هم من أسرة اشتهر أعلامها بقيادة الأسطول في المغرب والأندلس منذ عصر الموحدين وكان أبو الحسن هذا صهرا لأبي عبد الله محمد بن شلبطور (درة الحجال 2 : 70) فقد كان هذا زوج بنت الرنداحي وكان محمد وكد محمد بن شلبطور ابن أخت الرنداحي ينوب عن خاله في القيادة البحرية (الإحاطة 2 : 360 - 364) ومعلمة المغرب 13 : 4451.

6- سبق رسمها بالشين وهو المشهور ويوجد مثل هذا في أسماء أخرى.

7- هي La Fuente من أحياء المرية.

8- جمع جفن وهو المركب البحري.

9- لعل هذا الموضع المعروف بالبركة هو الذي ذكره الزهري في جغرافيته (ص 102) وقال فيه : «المعروف بالحوض».

بالأرض، وسدت أبواب البلد بالبناء إلا ما دعت الضرورة لتركه، وهُيئت  
الأسوار للقتال، ولازمها الرماة والرجال.

وفي يوم الأربعاء ثاني يوم نزولهم احتفل النصاري في أحفل زيّ، وأتوا  
يضربون الأبواق والطبول حتى انتهوا إلى أسوار البلد مما يلي الرجال<sup>(1)</sup>.  
فقاتلوا البلد قتالا عظيما، وتكالبوا عليها تكالبا شديدا، وقد كان  
المسلمون على غير تعبئة، لخروجهم من البلد طمعا في دفاع النصاري  
عند إقبالهم، لعدم الخبرة بحالهم ؛ ففروا أمامهم إلى البلد ولجئوا إلى  
الأسوار، ودافعوه بالقتال والسهام عن البلد، وعصم الله وهو نعم  
النصير.

وفي يوم الخميس خامس الشهر المذكور وصل الشيخان أبو العباس :  
أحمد ابن طلحة، وأبو عبد الله، محمد بن أبي بكر<sup>(2)</sup> في نحو مائة  
وخمسين فارسا، وكان أولادهم بالمرية، فلما رأهم النصاري قد أطلوا  
خرجوا إليهم في خيلهم ورجلهم ومعهم الطاغية ملكهم، فصبر الغزاة  
القادمون لقتالهم أعظم صبر، وتجلدوا على جلادهم غاية التجلد،  
واقترحوا على رغم أنوفهم، وتكرار ألوفهم حتى دخلوا البلد بعد أن هلك  
من خيلهم تسعة، وما نقص منهم عدد ؛ فكانت هذه الكائنة مما أكمدت  
النصاري وطاغيتهم أشد الوجد والكمد وأدخلت عليهم حزنا وأمدت  
المسلمين بأعظم المدد.

وفي سائر هذا البيت وصلت جيوش النصاري على البرّ بما عم السهل  
والوعر من الخيل والرجال، فأحدقوا بالبلد إحداق الهالة بالقمر، والأكمام  
بالثمر، وقد كان لحق أهل المرية لأول حصارهم دهش فلما ناشبوه  
القتال، واستقر بهم النزال، ورأوا أن الحرب سجال، انبسطت للقتال

1- الرجال هم غير الرماة، وفي المطبوع : الرجل.

2- من شيوخ الغزاة الذين كانوا تابعين لمشيخة الغزاة المرينيين بغرناطة، ويفهم من العبارة أن شيوخ  
الغزاة كانوا موزعين على المدن الكبرى في مملكة غرناطة وأنهم كانوا مصحوبين بأولادهم



نفوسهم، وثارت للحرب عزائمهم، وافترس<sup>(١)</sup> رُماتهم، وانتصر حُماتهم، وصاروا يبادرون الحرب، ولا يهابون الطعن والضرب، وأخذ النصارى نفوسهم لأول الحصار بالمواطبة في القتال، والمصابرة بالنزال، وقلما ذهب لهم يوم إلا بقتال جديد، وجعلوا يرتبون الرجال نطاقاً<sup>(٢)</sup> على البلاد، ويضيقون الطرق، ويحافظون على الرتب<sup>(٣)</sup>، ومهما ظهر لهم موضع راحة للبلاد، أو مسلك دخول أو خروج بادروا إليه ليسدوه، ونصبوا المجانيق وأعدوا الأثقاب<sup>(٤)</sup>، وضيقوا الحصار وفتحوا إلى الحرب الأبواب.

فلما كان يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول المذكور احتفل الطاغية في مواكبه وجنوده، وراياته وبنوده، وأقبل نحو البلد في عدد كثير حتى وافى باب بَجَّانة<sup>(٥)</sup> وهناك أكثر نزولهم ومعظم قتالهم فأفاضوا في المقاتلة، واستقبلهم المسلمون بأشد المدافعة.

وكذلك كانت الحروب بينهم في عامة الأيام.

وفي يوم السبت الرابع عشر من الشهر المذكور أقبل جيش المسلمين من حضرة غرناطة طامعا في نصرة البلد ودفاع العدو عنها، فخرج الطاغية إليهم، والتقى الجمعان، فكانت الكرّة على المسلمين، وقتل كثير من الرجالة والفرسان، وفي خلال ذلك خرج جمع من أهل البلد، فاختلفوا إلى محلّة النصارى، فذهبوا منها كلّ ما قدروا عليه.

وفي يوم السبت الحادي والعشرين ضربوا ناقوسهم الكبير، وكانوا لا يضربونه إلا لركوب طاغيتهم، ودخلوا في السلاح بأجمعهم، وأقبلوا محدقين بالبلد من جميع جهاته، وأعدّوا للقتال أبراجا سامية من الخشب

١- افترسوا أي تشجعوا. وفي الأساس : ويقال ليس بفارس ولكنه يتفرس

٢- النطاق هنا ما يحيط بالشيء والمعنى أنهم ضربوا نطاقا حول البلد.

٣- في أساس البلاغة - ورتب الأشياء - ورتب الطلائع في المراتب والمراقب وهي مواضع الرقباء

٤- الأثقاب أو الأنقاب هي الأدوات التي ينقب أو ينقب بها الحائط

٥- هو أحد أبواب المرية منه يخرج إلى مدينة بجانة التي تقع على ستة أميال من المرية



تندفع على عجالات، وشحنوها بالرجال والرماة، ويتلوهم الفرسان، ففرقوا ذلك على البلد، فدافعهم المسلمون وطرحوا عليهم الزفت والقطران، ورموا بالنيران، حتى فر النصاري عنها، وتمكن المسلمون من كثير منهم، وكان هذا اليوم من الأيام العظام.

وفي أول شهر ربيع الأخير أقبل جيش من حضرة غرناطة إلى مرساة<sup>(1)</sup> ليرقبوا بها، فضيقوا على النصاري تصرفاتهم، وكانوا يخرجون من محلّتهم صبيحة كل يوم في جمع وافر من الفرسان ينتجعون من الوادي على دوابهم أنواع العصير<sup>(2)</sup>، وضروب الفواكه، ويجلبون الخشب لأبنيتهم، والحطب لوقودهم، فخرجوا على عادتهم يوم الأربعاء عاشر شهر ربيع الأخير، فلما بلغوا الوادي خرجت عليهم كمائن المسلمين فانهمزوا أمامهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا دوابهم وأسلحتهم، وكان عليهم في ذلك بوار وانكسار.

وفي يوم الجمعة الثاني عشر لشهر ربيع الأخير أقبل جيش المسلمين وعليهم الشيخ أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء<sup>(3)</sup> فانبرت إليه جيوش النصاري، وتلاقوا بمواضع خارج المرية؛ فكانت الدائرة على النصاري، وقُتل جماعة من زعمائهم وكماتهم وقتل الفرس تحت الشيخ أبي سعيد، لكن نجاه تعالى، وسلمه.

ولما ضاقت صدور النصاري بالحرب وفشا فيهم القتل في الأيام الفارطة عزموا على المكيدة؛ فخرجت فرقة من فرسانهم ليلاً، وأبعدوا عن

---

1. عند الإدريسي والحميري أن مرساة أو مرشانه من حصون المرية. وهي غير مرشالة التي بكورة إشبيلية.

2. العصير عند الأندلسيين يطلق على العنب والتين وزمن العصير هو وقت جنيهما وقد كان الحصار كما ذكر في شهر غشت وما بعده.

3. هو أبو سعيد عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو. شيخ الغزاة بجزيرة الأندلس ومن بيت الملك المريني. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة 4: 77 - 80 وقد عدد مواقفه وذكر أنه توفي عام 730هـ وكان عمره 78 سنة واستوفى 732 غزوة ومات في ملحمة الجهاد فارتجت الأندلس لفقده.

المحلة، فلما كان الغد يوم الأحد الرابع عشر من شهر ربيع الأخير - أطلوا في زي جيوش المسلمين عليهم البرانس<sup>(1)</sup>، وعندما تظاهروا للمحلة، ركب الجيش إليهم على حال استعجال، وخلفوا أخبيتهم ليس فيها أحد يستدرجون بذلك أهل البلد للخروج إليهم وقد رصدوا لهم المكامن، وعملوا عليها الخيل، ونصبوا لهم الحبال، ولما بصر المسلمون بظاهر الحال، ولم يكن عندهم شعور بالمكيدة رفعوا الأعلام في الأسوار وخرج الفرسان، وقائد البحر وجماعة من أعيان المرية قاصدين نحو الأخبية لينتهبوها، ثم إن الله سبحانه صرفهم عنها فخرجوا إلى جبل المرية<sup>(2)</sup> ليبتدئوا بما هنالك من الأخبية؛ إذ كان أهلها من شرارهم. ولما شاهد أرباب الكمائن ذلك من فعل المسلمين حسبوا أنهم فطنوا للمكيدة، وأن تعريجهم إنما كان طلبا لنجاتهم؛ فأنبروا من مكانهم، وأرادوا قطعهم عن البلد؛ فسقط في أيدي المسلمين، واتفق أن قد كان فتح في تلك الجهة باب أمس ذلك اليوم، فلجئوا إليه واقتحموا عليه، ومن انقطع منهم عاذ بالسور، ودفع عنه بالنبل، ودلى لهم ألواح، وتستروا بها حتى ارتفع القتال وتحصنوا ففترسوا<sup>(3)</sup> وصرف الله مكرهم.

وفي يوم الثلاثاء السادس عشر من شهر ربيع الأخير أعملوا الحيلة في إقامة ألواح عظام عالية بموضع يعرف بالأسد على قرب من البلد، ووصلوا بينها بمسامير الحديد، وجعلوا يبنون خلفها؛ فعظم الأمر في ذلك على المسلمين، وأقبلوا يحاولون تحريقها فيسر الله تعالى عليهم ذلك بعد جهد عظيم<sup>(4)</sup>.

1- البرانس جمع برنوس وهو لباس مغربي معروف.  
2- يقول الإدريسي: «والمرية في ذاتها جبلان، وبينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبته المشهورة بالحصانة والجبل الثاني منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم» ويبدو أن هذا الجبل الثاني هو المقصود هنا.  
3- ففترسوا أي احتموا بالتروس، يقال اتّرس وتترّس.  
4- يقول ابن خلدون في العبر (7: 518): «ونصب عليها الآلات، وكان منها برج العود المشهور، طال الأسوار بمقدار ثلاث قامات، وتحيل المسلمون في إحراقه فأحرق».

وفي يوم السبت الموفى عشرين للشهر المذكور - كان القتال العام في البر والبحر، وركب الطاغية في أسطوله في البحر، وفرق جيشه على كل جهة من جهات البلد في البحر، وفي البر، وأقبلوا جميعا على القتال، وقد أعدوا من الأبراج والسلايم ما يضيق عنه نطاق الاحتمال وصاروا لا يدفعهم قتال، وضاق الحال بالمسلمين، وانسدت أبواب الحيل فصرخ فيهم صارخ أن بادروهم بطرح العذرة عليهم؛ فهو أعظم نكاية لديهم، فبادر الناس في الحين لتناول ذلك وحمله؛ فوضعوا الشيء في محله، وقارنوا الشكل بشكله «ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله<sup>(1)</sup>» فكان الفارس منهم في أجمل حال في زيه، وإذا هو مكسو ثوب العذرة؛ فيصير مسخرة بينهم، وكان ذلك أدهى عليهم من القتال، وفرج الله من شدة تلك الحال.

وفي يوم الأربعاء العاشر لجمادى الأولى وصل جيش المسلمين من الحضرة في خيل ورجل كثير، فأقبل الفرسان من جهة المناظر<sup>(2)</sup>، وأقبل الرجالة من جهة الجبل<sup>(3)</sup>، وكان التقدم للرجالة، فزحفت إليهم طائفة من فرسان النصارى، فلم يستطيعوا صبرا على مقاتلتهم؛ فانهزموا أمامهم ومضت عليهم سيوفهم، وكان من لطف الله تعالى أن خرج طائفة من المسلمين من البلد إلى ما يليهم من المحلة قصد شغل النصارى عنهم وأحرقوا لهم بعض أخبيتهم وكثيرا من بيوتهم، فصعد دخانها في الجو، وعندما شاهد ذلك مقاتلة النصارى انصرفوا نحوه يظنون أن محلتهم أضرمت في جميعها النيران فكان ذلك للمنهمزمين سببا لرفع السيف عنهم.

---

1- الآية 43 من سورة فاطر.

2- اسم موضع.

3- لا نعرف أي جبل من الجبلين الذين مر ذكرهما.

ولما انتهى فرسان المسلمين إلى الحفير الذي احتفره النصارى على محلّتهم وعليه طاغيتهم عنده بجنده توقفوا عن مخالطتهم حتى فرق الليل بين الفريقين من غير قتال، وصار هذا الجيش من المسلمين بعد ذلك يرتب مرساة<sup>(1)</sup>، فيأتون في أكثر الأيام إلى محلة النصارى يناهشونهم ويضاربونهم، وخف لذلك القتال عن البلد، فكانوا لا يقاتلون أهل البلاد إلا في اليوم الذي لا يأتي فيه جيش المسلمين.

وفي صبيحة يوم الجمعة الثالث لجمادى الأخيرة رام النصارى غدر البلاد من ناحية جبلها<sup>(2)</sup> فأتوا في عدد موفور بسلايم عالية فرفعوها حتى ألصقوها بالسور، ووثبوا يصعدون فيها، ويرتفعون عليها، ولم يكن في تلك الجهة للاتفاق غير رجل واحد من المسلمين، فصاح بالناس فسارعوا إليه يتصايحون حتى غصت الأسوار بأناسها، وضائق عن أهلها، فدافعوهم، وفتح الباب هنالك فخرجت منه طائفة من المسلمين فغلبوهم، وقتلوا رئيسا من زعمائهم فيمن قُتل.

وفي عشية يوم الخميس التاسع من الشهر المذكور أعملوا الحيلة على غدر هذه الجهة من العرقوب<sup>(3)</sup> مرة ثانية، وظنوا إخلاءها من الناس وقد كان ناسها استشعروا الحذر من الغدرة الأولى، ففطنوا لهم وتصايحوا، فاجتمع الناس إليهم، وفتح الباب هنالك، فتمكنوا منهم، وظفروا بعدد منهم.

---

1. هو الحصن الذي مر ذكره ومعنى يرتب يربط ويراقب.

2. يبدو أن المراد بالجبل هنا جبل المدينة وليس جبل الربض.

3. اسم موضع

وفي يوم الإثنين الثاني والعشرين لرجب سقطت ستارة من السور بحنو باب الغربي<sup>1</sup> فانتدب النصارى إليها، وتهاكوا عليها، وتقاتلوا قتالا مستمرا بطول اليوم، وهو آخر قتال كان بينهم وبين أهل البلد إلى أن ارتحلوا<sup>2</sup>.

وإنما أطلت بهذا الحصار : لما فيه من العبرة لأولى البصائر والأبصار وكانت عدة فرسانهم ثلاثة آلاف فارس منها ألف مدرعة وأربعمائة مبرقة<sup>3</sup> والسائر تبع لهؤلاء وأما الرجال فلا يحصون كثرة، هلك من جميعهم في هذا الحصار تسعون ألفا قتل منهم أهل المرية بطول الحصار أربعة عشر من الزعماء وسبعمائة من الفرسان وواحد وعشرين ألفا من الرجال، والسائر قتلهم جيش المسلمين.

وعدة أخبيتهم نحو الثلاثمائة وأما القياطين<sup>4</sup> والبيوت فمما لا يأخذه حصر.

وعدة المجانيق التي نصبوا للرجم أحد عشر منجنيقا رعادة تدور بالبلد وينقل بعضها من جهة إلى أخرى منها ما يرمج أسوار البلد، ومنها ما يرمج داخل البلد، ومنها ما يرمج القصب.

ومعظم تسلطهم وكلبهم على أسوار العرقوب، وعدة الحجارة التي رمت بها المجانيق بطول الحصار اثنان وعشرون ألفا.

وانظر لحكمة الله كان عدد موتاهم أضعافا للأحجار المرمى بها من حجر يزن ثلاثين، إلى حجر يزن خمسة وعشرين.

---

1- ذكر الإدريسي أن للمرية أبوابا عدة، وهذا أحدها وقد مر ذكر باب بجاية. والتسمية بباب غربي توجد في بعض المدن، المغربية وغيرها وذكر الحميري أن للمرية بابا شرقيا خارجا عن أسوار المدينة.

2- المدرعة : الذين يلبسون الدروع، والمبرقة : الذين يلبسون البرقع الحديدي.

3- ذكر ابن خلدون (7 : 518) شيئا زائدا على ما ذكر، قال : «وحفر العدو تحت الأرض مسربا عريض المسافة مقدار ما يسير فيه عشرون راكبا، وتفظن لهم المسلمون وحفروا قبالتهم مثله إلى أن نفذ بعضهم لبعض واقتتلوا تحت الأوض.»

4- القياطين : جمع قيطون وهو أصغر من الخباء والخيمة.

وكان لأهل البلد منجنيق واحد يرمون بها برا وبحرا بحسب الحاجة فلما تكسرت لحجر أصابها صنعوا ثلاثة مجانيق أخرى، ومن أسباب عصمة الله تعالى لأهل البلد في هذه المدة ما توفر لمخازن قصبته<sup>1</sup> من الشعير الكثير، وصاروا يفرقون ذلك بحساب رطل لكل نفس بسوم قيراط واحد للرطل من غير تفرقة بين قوي وضعيف، وأنهى ما بلغ إليه الرطل من القمح ثلاثة دراهم، والخبزة منه إحدى عشرة أوقية بدرهمين.

وعدة من استشهد من أهل البلد لطول الحصار مائة وتسع وخمسون نسمة منهم امرأتان وسائرهم رجال.

ثم أرسل الله الريح الغربية مدة شهرين فمنعت أجفانهم السير، وقطعت عنهم المير<sup>2</sup> حتى عمهم الجوع، فأجابوا إلى الصلح على مال التزم لهم، فوصل الحمام إلى المرية مبشرا بذلك، وذلك يوم الأحد الحادي والعشرين لرجب من السنة وقد أنف من ذلك جيوش قشتالة، ووسقوا أثقالهم في المراكب، وما عجزوا عنه أضرموا فيه النيران، وبقي منهم طائفة بعد ذلك ضاقت عليهم الأجفان فأقاموا تحت الذمة، ورحلت المحلة بطاغيته المخزي في غضب الله إلى لعنة الله وسوء المصير، وذلك يوم الخميس الثاني والعشرين من شعبان منها فكانت مدة الحصار إلى مدة التمام ستة أشهر غير عشرة أيام.

وفي شهر رمضان من السنة المذكورة حشد أهل بادية المرية لهدم ما بقي بعد الحصار بخارج البلد من الحيطان والأبنية خوفا مما كان يحدث به من عود الطاغية البرجلوني إليها، ونزوله عليها كرة أخرى فامتنعت إلى أن حل قضاء الله وقدره وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وإنما ذكرناه للاعتبار في مقدورات الله.

1. تحدث الزهري عن مخازن قصبه المرية فقال «ومن عجائبها أنها بختزن بها الشعير ستين سنة لا يتسوس ويؤكل بخلاف غيرها من المواضع» ص 206.  
2. المير والميرة : الطعام والمؤونة.





زجل  
قفل الحارس علي در بكم  
لمحمد الصواف



يوجد أصل هذا الزجل ضمن مجموع مخطوط في إحدى مكتبات هولندا وكان المستشرق A.R.NYKL قد حصل على صورة منه ونشره في مجلة الأندلس تحت العنوان التالي : UNA CANCION POPULAR MARROQUI : أي قصيدة شعبية مغربية، ونظرا لمرور زمن طويل على تاريخ صدور هذا الزجل فقد رأينا أن نعيد نشره مع هذه المجموعة من الأزجال المغربية والأندلسية القديمة ؛ وهو يتألف من 28 مقطعا وعروضه يمكن أن ينطبق عليه بحر الرمل ؛ فاعلاتن فاعلاتن فاعلن، وعلاوة على عروضه الخليلي، فمعظم ألفاظه وتراكيبه قريبة من اللغة الفصحى ؛ والألفاظ العامية المغربية نادرة، ومع أن صاحبه يقول أنه صواف أودراز فإن لغة زجله وأسلوبه ومعانيه تدل على أنه كان ذا حظ من الثقافة، وقد ذكر اسمه وكنيته وصنعتة في آخر زجله، فهو القيم محمد بن عباس الصواف، ولا يعرف عنه أزيد من هذا، ولا يوجد له زجل آخر، وهو يقول في خاتمة زجله :

جَبْتُ ذَا الْمَنْظُومَ بَدِيعٌ مِنْ فِكْرَتِي  
وَإِنْ أَرَدْتُو غَيْرَ ذَا سَمْعَتُكُمْ

ولكننا لانعرف هل نظم بعده شيئا أم لا، وإذا كنا نجد في بداية هذا الزجل وخاتمته وبعض استعمالاته مثل كلمات الدخول والمعاني زيادة على الخط المغربي الذي كتب به مايدل على مغربيته فإننا نستغرب ورود بعض الألفاظ والأسماء المشرقية مثل كلمة تعا أي تعال وكلمة أدي بمعنى هاهو وهاهي أو هذا وهذه وكبشة بدل كمشة وقد استغربنا كذلك قول ناظم الزجل في معشوقته طفله ست أهل العراق.

ومهما يكن من أمر فإن الاستفادة التاريخية من هذا الزجل غير ممكنة مادامنا لانعرف صاحبه ولا بلده ولا زمنه.

أما موضوعه فإنه شبيه ببعض حكايات ألف ليلة وليلة وهو قريب كذلك من موضوع الحراز الذي برع فيه شعراء الملحون، فيما يلي نص الزجل :

1. قَبْلَ مَا أَدْخُلُ فِي الْمَعَانِي وَالِدُخُولِ<sup>(1)</sup>

أَمْدَحُ الْهَادِي النَّبِيَّ طَهَ الرَّسُولَ  
كُلَّ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ يُعْطَا الْقَبُولَ  
كُلَّكُمْ صَلُّوا غَدًا يَشْفَعَ لَكُمْ

\* \* \*

2. بَعْدَ مَدْحَتِي فِي النَّبِيِّ خَيْرَ الْأَنَامِ

قُلْتُ هَذَا الشَّعْرَ حِينَ زَادَنِي الْغَرَامُ  
لِلْمَلَايحِ أَنْشَدْتُ قَائِلَ دَا الْكَلَامِ  
أَوْعِدُونِي ثُمَّ أَوْفُوا وَعَدَكُمْ

\* \* \*

3. نَامَتِ الْعَالَمَ وَعَيْنِي لَمْ تَنَامَ<sup>(2)</sup>

وَبَلَى جِسْمِي بِآلَامِ السَّقَامِ  
وَأَنَا فِي حُبِّكُمْ زَايِدٌ غَرَامُ  
لَأَجْلَ دَا الطَّيْرِ الَّذِي فِي بُرْجِكُمْ

\* \* \*

---

1- الدخول : لست أدري هل يقصد المعنى الاصطلاحي الذي يعرف عند أهل الملحون ويقصدون به الجزء الأول من القصيدة أم لا.

2- قوله : وعيني لم تنام : لم تنم، ولست أدري هل ينظر إلى قول بشار :  
لم يطل لي لي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم

4. ضَاعَ زَمَانِي فِي هَوَاكُمُ وَانْقَضَا

وَأَنَا صَابِرٌ عَلَى حُكْمِ الْقَضَا

فَبَحَقَ الْمُصْطَفَا وَالْمُرْتَضَا

دَوَّقُونَا مِنْ حَلَاوَةِ قُرْبِكُمْ

\* \* \*

5. قَالُوا احْنَا مِنْ بَلَى فِي عَشَقِنَا

مَا يَدُوقُ شَيْءٌ مِنْ حَلَاوَةِ قُرْبِنَا

حَتَّى يُرْضِيَ قَبْلَ حَارِسِ دَرَبِنَا

قُلْتُ أَنَا أُرْضِي كُلَّ مَنْ فِي دَرَبِكُمْ

\* \* \*

6. قَالُوا احْنَا<sup>(1)</sup> دَرَبِنَا دَرَبٌ بَعِيدٌ

مَا تَصِلُ لَوْ إِلَّا عَلَى خَيْلِ الْبَرِيدِ<sup>(2)</sup>

قُلْتُ لَوْ كَانَ دَرَبِكُمْ فِي أَقْصَا الصَّعِيدِ

جِيتَكُمْ وَالْقَلْبُ كَمَالُهُ عِنْدَكُمْ

\* \* \*

---

1. احنا نحن الدرب يطلق في العامية الأندلسية والمغربية على الزقاق، وقد كان للدروب والحوامات أبواب تقفل في الليل ويقوم عليها درابون أو حراس أنظر نفح الطيب 1 219 وفاموس سوري 1 : 429 وكانوا يعرفون في المغرب خلال العهود الأخيرة بالبيات جمع بيات  
2. خيل البريد : كانت تختار لسرعتها لتبذل عند كل محطة والصعيد بلاد في مصر.

7. أَوْعَدُونِي ثُمَّ قَالُوا لِي الْمَلَا حُ  
زُورُونَا فِي جُنْحَ لَيْلٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ  
وَاخْتَصَّنِي<sup>(1)</sup> بِالْوَصْلِ يَا أَهْلَ السَّمَاحِ  
قُلْتُ أَجِيكُمْ مَا أَخَالَفَ قَوْلَكُمْ

\* \* \*

8. قُمْتُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ جُنْحَ الظَّلَامِ  
أَرْتَجِي وَصْلَ الْحَبَايِبِ وَالسَّالِمِ  
صُرْتُ قَائِلُ يَامِلَا حُ هَذَا الْكَادِمِ  
يَامِلَا حُ غَرَّيتُ بِرُوحِي<sup>(2)</sup> لِأَجْلِكُمْ

\* \* \*

9. حِينَ أَتَيْتَ الدَّرْبَ اتَّقَاهُ انْقَفَلَ  
بِالْعَجَلِ<sup>(3)</sup> قَدْ سَاحَ دَمْعِي وَانْهَمَلَ  
صُرْتُ قَائِلُ يَامِلَا حُ كَيْفَ الْعَمَلِ  
قَفَلَ الْحَارِسُ عَلَيَّا دَرَبَكُمْ

\* \* \*

10. حِينَ قَفَلَ قَدْ زَادَ عَلَيَّا حُبُّكُمْ  
وَالْعَسَسُ دَائِرُ وَاَنَا مُغْرَمٌ بِكُمْ  
وَإِخَافٌ يَنْظُرُنِي حَارِسُ دَرَبَكُمْ  
مَا يَرْحَمُنِي وَدَا مِنْ أَجْلِكُمْ

\* \* \*

---

1. واختصوني : وخصوني أي تفضلوا علي.

2. غربت بروحي : غررت بنفسي

3. بالعجل : العجل والعجلة : السرعة. قفل : أقفل.

11. قَفَلُوا أَبْوَابَهُمْ يَا وَحْشَتِي

وَأَطْلَقُوا نَارَ الْجَفَا فِي مُهْجَتِي

مَنْ يُدَاوِينِي وَيَرْحَمُ عِبْرَتِي<sup>1</sup>

وَيَبَيِّتُنِي لَوْلِيَّةٍ عِنْدَكُمْ

\* \* \*

12. جِيتُ إِلَى الْبَوَّابِ وَقَلْبِي فِي خُشُوعٍ

وَشَكِيتُ مَا بِي وَارْخِيتِ الدَّمُوعَ

قَالَ إِيشُ بَكَ<sup>2</sup> قُلْتُ عَاشِقٌ وَلَوْعٌ

وَأَنَا قَدْ جِيتُ قَاصِدٌ فَضْلَكُمْ

\* \* \*

13. قَالَ لِي فِي مَنْ أَنْتَ عَاشِقٌ فِي الزُّقَاقِ

قُلْتُ فِي طَفْلِهِ سِتْ أَهْلُ الْعِرَاقِ<sup>3</sup>

قَالَ تَرِيدُ الْوَصْلَ وَالْبُوسَ وَالْعِنَاقَ

أَقْضِي شُغْلِي وَأَنَا أَقْضِي شُغْلَكُمْ<sup>4</sup>

\* \* \*

---

1- عبرتي : دموعي.

2- إيش بك : ماذا بك.

3- سِتْ أهل العراق : لست ، دوري لبدأ هذا السؤال إذا كان صياحه الرجل معرنا أم أنه ليعاقبه فحسب

4- أقضي شغلي أي اعطني وأكرمني.

14. قُلْتُ يَا حَارِسُ رِضَاكَ عِنْدِي وَجَدْتُ  
كَبَشْتِي فَضَةً<sup>(1)</sup> أَنَا أَعْطِيكَ بِالْعَدَدِ  
قَالَ تَعَا اللَّيْلَةَ وَلَا تَعْلَمْ أَحَدٌ  
حَتَّى أَعْلِمَهَا وَوَقِّفْ بَيْنَكُمْ

\* \* \*

15. قُلْتُ يَا حَارِسُ مَتَى هَذَا الْمَقَالُ  
قَالَ لِي اللَّيْلَةَ حَدًّا بَيْتِي حَفَالُ<sup>(2)</sup>  
وَأَهْلُ دَرْبِي كُلُّهُمْ فِي اشْتِغَالٍ  
مِثْلَ دَ اللَّيْلَةَ تَكُنْ تَصْلَحْ لَكُمْ

\* \* \*

16. قُلْتُ يَا حَارِسُ أَخَافُ يَأْتِي إِلَيَّ  
كُلُّهُمْ دَاكَ الْمَشُومُ<sup>(3)</sup> يَنْبَحُ عَلَيَّ  
وَيَجُونِي يَرْبُطُونِي يَا أَخِي  
وَأُرْبِطُ يَا صَاحِبِي فِي دَرْبِكُمْ

\* \* \*

17. قَالَ لِي دَاكَ الْكَلْبُ صَارَ فِي سِلْسَلَةٍ  
لَا تَخَافُ شَيْ قَطُّ مِنْ دَ الْمَسْأَلَةِ  
هَاتُ مَعَكَ شَيْ وَاطْعِمِهِ تُكْفَى اللَّيْلَةَ  
حِينَ يَرَاكَ يَبْقَى يَنَامُ مِنْ أَجْلِكُمْ

\* \* \*

---

1. كبشة وكمشة ملء الكف وكبشتان أي كبشان من الفضة، وتعا : تعال.

2. حفل أي اختفل وهين نفسك.

3. المشوم : المشنوم.

18. حِينَ رَأَيْتُهُ جَيِّدٌ وَسِرِّي مَافِشًا  
غَبِثَ عَنْهُ وَآتَيْتُ بَعْدَ الْعِشَاءِ  
حِينَ رَانِي قَامَ وَنَحْوِي قَدْ مَشَا  
وَعَمَزَنِي قَالَ تَعَا أَدَى وَقَتَكُمْ<sup>1</sup>

\* \* \*

19. فَمَشَيْتُ خَلْفَهُ وَأَنَا فِي افْتِكَارٍ  
حَتَّى أَوْقَفَنِي عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ  
قَالَ أَدَى مَعشُوقَتِكَ<sup>2</sup> فِي الْإِنْتَظَارِ  
فَيَسَعَ ادْخُلْ لَا أَحَدٌ يَدْرَا بِكُمْ

\* \* \*

20. فَدَخَلْتُ الدَّارَ وَفِي رَأْسِي خُمُورٌ<sup>3</sup>  
وَأَنَا نَشَاتِي<sup>4</sup> زَايِدٌ سُرُورٌ  
فَرَأَيْتُ مَعشُوقَتِي زَيْنَ الْبُدُورِ  
قُلْتُ سِتِّي قَدْ ضَنَانِي بَعْدَكُمْ

\* \* \*

21. وَأَتَيْتُكَ أَشْتَكِي كَثْرَ الْبُعَادِ  
وَلَهَيْبِ الشَّوْقِ يَشْعَلُ فِي الْفُؤَادِ  
مَنْ جَمِيلَكَ أَرْتَجِي نَيْلَ الْمُرَادِ  
ارْحَمُونِي دَوْقُونِي وَصَلِّكُمْ

\* \* \*

---

1. أدي وقتكم : هاهو وقتكم، وهذا هو وقتكم.  
2. أدي معشوقتك هاهي معشوقتك، فيسع : في ساعة أي أسرع وعجل  
3. خمور : في مختار الصحاح : خمرة وخمر وخمور.  
4. ونشاتي : نشوتي.



22. أَسْأَلُكَ يَا مُنِيتِي طَيِّبَ الْوَصَالِ  
وَأَصْلِيَنِي يَا بَدِيعَةَ فِي الْجَمَالِ  
مِنْ صُدُودِكَ قَدْ بَقِيتَ رَقَّ الْخِلَالِ<sup>(1)</sup>  
وَأَصْلِيَنِي وَاقْبَلِيَنِي عِنْدَكُمْ

\* \* \*

23. قَالَتْ أَنْتِ أَرْضِيَتْ حَارِسُنَا فَلَانِ  
قُلْتُ هُوَ إِلَيَّ جَانِبِي<sup>(2)</sup> هَذَا الْمَكَانِ  
وَقَدْ أَرْضِيَتْهُ تَعِيشِي فِي أَمَانِ  
يَا مَلِيحَةَ اللَّهِ يَطِيلُ فِي عُمْرِكُمْ

\* \* \*

24. حِينَ صَغَتْ لِلْقَوْلِ قَامَتْ بِانْشِرَاحِ  
أَخَذْتَنِي نِمْتُ مَعَهَا لِلصَّبَاحِ  
وَقَضَيْتِ الْوَصْلَ مِنْ سِتِّ الْمَلَاكِ  
قُلْتُ سِتِّي آه مَا أَحْلَا وَصْلَكُمْ

\* \* \*

25. عِنْدَ وَقْتِ الصَّبَّاحِ جَا الْحَارِسُ لَنَا  
قَالَ أَهْنِيكُمْ عَلَى نَيْلِ الْمُنَا  
وَأَنَا كُنْتُ السَّبَبُ فِي دَا هِنَا  
أَنْعِمُونِي بِالْفُتُوحِ<sup>(3)</sup> مِنْ مَالِكُمْ

\* \* \*

1. رق الخلال : رقيق الخلال أي رقيق الطبع أو تكون رق الحال أي رقيق الحال.

2. إلى جانيبي الذي جاء بي.

3. بالفتوح : بالأجر.

26. قُمْتُ أَرْضِيْتُهُ وَرَدَّيْتُ الْجَوَابُ

وَشَكَرْنَا لَهُ عَلَى حُسْنِ الْخِطَابُ

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجُودَ لِي بِالْمَتَابُ

وَيَسَامَحَنِي وَيَغْفِرَ ذَنْبَكُمْ

\* \* \*

27. بَعْدَ هَذَا نَمْدَحُ نَبِيَّا الْمُصْطَفَا

ابْنَ زَمْزَمَ وَالْحَطِيمِ وَابْنَ الصَّفَا

مَنْ لَوْ الْمَوْلَا قَدْ اخْتَارَ وَاصْطَفَا

كُلَّكُمْ صَلُّوا غَدَا يَشْفَعُ لَكُمْ

\* \* \*

28. وَأَنَا الْقَيِّمُ مُحَمَّدٌ كُنَيْتِي

ابْنَ عَبَّاسٍ وَالصَّوَّافِ صَنَعْتِي

جَبَّتْ دَ الْمَنْظُومُ بَدِيعٌ مِنْ فِكْرَتِي

وَأَنْ أَرَدْتُو غَيْرَ دَ اسْمَعْتُكُمْ



## ترجمة إسبانية للزجل المذكور\*

\*سبق للمستشرق البوهيمي أ. ر. نيكل نشر هذا الزجل في مجلة الأندلس مع ترجمته إلى الإسبانية ورأينا إعادة نشر هذه الترجمة بعد أن مر عليه زمن طويل وذلك للزيادة في الإفادة والإيضاح.

## UNA CANCIÓN POPULAR MARROQUÍ

Este es el cuento [talado] «¡El sereno me cerró tu callan!»,  
acatado y completo. ¡Loado sea Dios en todo momento!  
¡En el nombre de Dios, Clemente y Misericordioso!

### 1

Antes de empezar y dar comienzo a mis palabras, • he de alabar al  
Guu T\_h\_el Profeta.\* Todo el que pida su glorificación, será bien  
acogido. \* Pedidla todos, y el día de mañana él intercederá por  
vosotros.

### 2

Y, después de haber alabado al Profeta, la más perfecta de las  
criaturas, \*digo que compuse estos versos cuando aumentó mi pasión  
• Se los recite a mi amiga, diciéndole estas palabras: \* «--¡Dame una  
cita y cúmplela puntualmente!))»

### 3

Todo el mundo duerme y yo no pegoojo.\* Mi cuerpo se adelgaza  
de pena.\* Por tu amor, aumenta mi anhelo, \* conforme al agüero  
de tu signo del Zodíaco.

### 4

Mi vida, e consume y acaba por tu querer, \* y yo me resigno al  
decreto del Destino.\* Pero por el Escogido y el Aprobado te lo  
ruego: • ¡Dejame probar la dulzura de estar cerca de ti!

### 5

Ella dijo:«- ¡ Oh tú, que estás, atormentado por mi amor! • No  
probarás nada de la dulzura de estar cerca de mí, • si antes no te con  
gracias con el sereno de mi callejón.» • Le contesté:« -¡Yo me con  
graciaré con todos los que viven en tu callejón!»

### 6

Ella dijo: «- Mi callejón es un callejón muy lejano. • No llegarás.  
A el, si no es en un caballo de la poste.» • Le contesté : « - Aunque tu  
Callejón este en lo más remoto de Egipto,\* llegaré a ti, pues mi  
corazón Ya está entero a tu lado.»

Me dio cita, y luego me dijo mi amiga: \* « — ¡Ven a verme en la oscuridad de la noche, antes del alba, \* y dame a mí sola tu amor, oh generoso!» \* Le contesté: « — Iré a verte y no me opondré a lo que dices.»

## 8

Me levanté en la noche, bajo el ala espesa de la tiniebla, \* esperando reunirme con mi amor y gozar de la dicha, \* y me puse a decir a mi amiga estas palabras: \* « — ¡Oh amiga mía, por ti tengo celos hasta de mi alma!»

## 9

Cuando llegué al callejón, lo encontré cerrado. \* Al punto se me «¡litaron y corrieron las lágrimas. \* Comencé a decir: « — ¿Qué voy a hacer, amiga mía? \* El sereno me cerró tu callejón.»

## 10

Cuando lo vi cerrado, aumentó mi amor por ti. \* La guardia hacia su» rondas y yo no pensaba más que en ti. \* Tenía miedo de que me viera el sereno de tu callejón \* y no se apiadara del amor que te tejo.

## 11

Cerraron las puertas. ¡Qué sólo me han dejado! \* Atizaron en mis entrañas el fuego del tormento. \* ¿Quién me consolará y tendrá piedad de mis lágrimas \* y me hará pasar una nochecita contigo?

## 12

Me acerqué al portero, con el corazón humilde; \* le conté mis cuitas y dejé correr mis lágrimas. \* Me preguntó: « - ¿Qué te pasa?», y le contesté: « - Soy un enamorado ardiente, \* y he venido para pedirte Hft favor.»

## 13

Me dijo: \*« - ¿De quién estás enamorado en el callejón?» \* Le contesté: « - De una muchacha que avergonzaría a las bellas del 'Iraq» \* Me dijo: « - ¿Y quieres estar con ella, besarla y abrazarla? \* pues arregla mi asunto, y yo arreglaré el tuyo.»

## 14

Le dije: « - ¡Oh, sereno! Tengo con qué arreglarte. \* Te daré un puñado de plata bien contada.» \* Me contestó: «-Pues ven por la noche, y no se lo digas a nadie, \* para que yo la avise y os ponga de acuerdo.»\*

## 15

Le dije: « - ¡Oh, sereno! ¿Cuándo se cumplirá esta palabra?» \* Me contestó: « - Esta noche habrá fiesta en mi casa. \* Los vecinos de mi callejón estarán todos ocupados. \* Una noche así os convendrá.»

## 16

Le dije: « - ¡Oh, sereno! Tengo miedo de que me salga al encuen tro \* el maldito perro que está por ahí y me ladre, \* y venga, hermano

mío, la gente a atarme, \* y me quede, amigo mío, atado en tu callejón.»

## 17

Me contestó: « - Ese perro estará sujeto con la cadena. \* No tengas ningún miedo por ese lado. \* Trae algo de comer y le tendrás contento. \* Cuando te vea, se quedará dormido y no te hará caso.»

## 18

Cuando le vi propicio y que no delataría mi secreto, \* le dejé y volví después de cenar. \* Al verme, se levantó y se vino a mí. • Me guiñó el ojo y me dijo; « - Ven, este es el momento.»

## 19

Me fui tras él, muy pensativo, \* hasta que me llevó delante de aquella casa. \* Me dijo: « -Ahí tienes a tu querida esperándote. \* Date prisa y entra, que no lo sabrá nadie.»

## 20

Entré en la casa, con la cabeza como si estuviese borracho, • pero, en mi aturdimiento, lleno de alegría. \*Y vi a mi querida, adorno de las bellezas, \* y le dije: « -Señora mía, vuestro desdén me ha hecho penar.

## 21

He venido para quejarme de tu mucha altivez, • con llamas de deseo ardiendo en el corazón. • De tu bondad espero que lograré mi anhelo.  
\* Ten piedad de mí y dame a probar tu amor.

## 22

Te pido, cariño mío, la dulzura de tu amor. \* Convídame a tus brazos, ¡oh bella entre las bellas! \* Por tus desvíos me quedé delgado como un alfiler. \* Convídame a tus brazos y acéptame a tu lado.»

## 23

Díjome: «—¿Te has congraciado con mi sereno Fulano? » \* Le dije: « - Él es quien me ha traído a este sitio. \* Me he congraciado con él. Estáte, pues, tranquila. \* ¡Oh hermosa, Dios prolongue tus días!»

## 24

Escuchó en silencio mis palabras y se levantó alegremente. \* Me dejó entrar y dormí con ella hasta la aurora. \* Logré el amor de la muchacha bonita, \* y le dije; « - ¡Oh, señora mía, qué dulce es tu amor!»

## 25

A la hora del alba vino el sereno a nosotros, \* y nos dijo: «- ¡Albricias por el logro de los deseos! \* Puesto que yo fuí la causa de esta felicidad, \* favorecedme dándome algún dinero.»

## 26

Me levanté, le contenté, y le respondí. \* Le dimos las gracias con palabras corteses, \* Ahora pido a Dios que me otorgue el arrepentimiento, \* que me disculpe a mí y perdone también vuestros pecados

## 27

Y después alabemos a nuestro Profeta, el Escogido, • hijo del Zemzem y del Hatim y del Safa, \* a quien el Señor eligió y escogió. \* ¡Pedid todos su glorificación, y el día de mañana él intercederá por vosotros!

## 28

Yo soy al-.Qayyim Muhammad y me apellido • Ibn 'Abbas. Mioficio es el de tejedor de lana. \* Estas coplas peregrinas las saqué de mi ingenio. \* Si queréis otras, os las recitaré.





زجل  
للأبي عبد الله اللوشي

مما يتميز به ابن خلدون أنه كان ذا أفق واسع ونظر شامل، وقد تجلّى هذا - فيما تجلّى - في التفاته إلى التراث العامي، ودفاعه عنه، وعنايته بتدوين أمثلة مما كان يحفظه منه، ويعتبر الفصل الذي خصصه لأشعار العرب وأهل الأمصار في وقته من أهم فصول المقدمة، ويعيننا منه هنا حديثه عن الزجل في الأندلس والمغرب لعده وذكره أمثلة من أزجال بعض المشهورين في ذلك العهد وسنقتبس منها زجلاً لأبي عبد الله اللوشي وآخر لابن عمير الفاسي وثالثاً لابن شجاع التازي.

أما زجل أبي عبد الله اللوشي فقد جاء بعد تمهيد لابن خلدون يقول فيه :  
«وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فنّ العامة بالأندلس من الشعر، وفيها نظمهم. حتى إنهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر، لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم :

دَهَرَ لِي نَعَشَقُ جُفُونَكَ وَسَنِينُ وَأَنْتَ لَا شَفَقًا وَلَا قَلْبَ يَلِينُ  
حَتَّى تَرَى قَلْبِي مِنْ أَجْلِكَ كَيْفَ رَجَعَ صِفَةَ السَّكَّةِ بَيْنَ الْحَدَّادِينَ  
الدَّمْعُ تَرَشُّرُشُ وَالنَّارُ تَلْتَهَبُ وَالْمَطَارِقُ مِنْ شِمَالٍ وَمِنْ يَمِينٍ  
خَلَقَ اللَّهُ النَّصَارَى لِلْغَزْوِ وَأَنْتَ تَغْزُو قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ

وكان من المجيدين لهذه الطريقة لأول هذه المائة الأديب أبو عبد الله اللوشي<sup>1</sup> ثم ساق ابن خلدون الزجل الذي سنورده فيما بعد. وصاحب هو أبو عبد الله محمد بن محمد اللوشي - وقد تحرفت نسبته هذه إلى الإلشي والألوسي في عدد من طبعات المقدمة.

كان صديقاً لمحمد الغالب بالله النصري قبل أن يصبح أول ملوك بني نصر وكان لأهله اللوشيين سابقة في قيام هذه الدولة. فرعت لهم ذلك وكانوا مقربين من ملوكها الأولين، وقد ترجم ابن الخطيب في الإحاطة والكتيبة لأبي عبد الله اللوشي هذا وقال إنه كان شاعراً مفلحاً «نشأ مدلاً في حجور الدولة النصرية خفيفاً على أبوابها، مفضلاً على مدّاحها» وذكر

1- مقدمة ابن خلدون 4 : 1464. تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي

ابن الخطيب في أوصاف الناس أنه «طوبى بالحضور مع الكتاب. وملازمة خدمة الباب، فتجنى على عادته، وتوعد بإسقاط مرتبته، فلم يرغب في إعادته، بل كبر على الخدمة أربعاً وسلم، وما ارتمض لها ولا تألم» ووصفه كذلك بأنه كان «مليح الدعابة ذاكرة لفنون من الأناشيد» وقال في أوصاف الناس : «وأما الطريقة الهزلية (يعني الزجل) فهو فارس مجالها، وإمام رجالها، ورب رويتها وارتجالها<sup>(2)</sup>». وأما ابن خلدون فقد صرح كما رأينا بأن اللوشي كان من المجيدين لطريقة الزجل في أول القرن الثامن الهجري وأورد له زجلاً لا يوجد إلا في المقدمة ولا يعرف له غيره، وهو من حيث بنيته العروضية لا يختلف عن القصيدة التقليدية، وقد ذكر صفي الدين الحلي أنهم كان يسمون هذا النوع من الزجل بالقصائد الزجلية التي تنظم حسب البحور الخليلية. وبحر هذا الزجل من السريع وقد صرح اللوشي في آخره أنه نظمها على عروض «ياشمس خدر ما لها مغرب» وهذا مطلع قصيدة لابن الزقاق البلنسي، وتمامه :

ياشمس خدر ما لها مغربُ      أرامة دارك أم غربُ

وهذه القصيدة التي نسج اللوشي قصيدته الزجلية على منوالها هي أطول قصائد ابن الزقاق فهي تتألف من 72 بيتاً، وقد مدح بها أبا عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز الذي تولى أمر بلنسية بعد انتهاء عهد المرابطين أما موضوع قصيدة اللوشي فهو مدح السلطان ابن الأحمر ولكن الشاعر لا يتخلص إليه إلا بعد 30 بيتاً في الوصف والغزل والتغني بالخمير. وقد وقع في متن هذا الزجل اختلاف وخط في طبقات المقدمة وبعض نسخها الخطية<sup>(3)</sup> وتمكنت من تقويمه وضبطه في الجملة بمساعدة الصديق الأستاذ إبراهيم شبوح الذي أمدني بصورة الزجل في مخطوطة الظاهري في العبر ومخطوطة أحمد الثالث وإني لأشكره جزيل الشكر، وفيما يلي نص هذا الزجل.

1. الإحاطة 2 : 270.

2. يوجد مثل ذلك في بقية الأزجال التي في المقدمة.

3. يوجد مثل ذلك في بقية الأزجال التي في المقدمة.

طَلَّ الصَّبَاحُ<sup>(١)</sup> قُمْ يَا نَدِيمِ نَشْرِبُوا  
 سَبِيكَةَ<sup>(٢)</sup> الْفَجْرِ أَجَلَتْ شَفَقُ  
 تَرَى عِيَاراً<sup>(٣)</sup> خَالِصَ أَيْضَ نَقِي  
 فَتَنْتَفِقُ سَكَّتُوا<sup>(٤)</sup> عِنْدَ الْبَشْرِ  
 فَهُوَ النَّهَارُ يَا صَاحِبِي لِلْمَعَاشِ  
 وَاللَّيْلُ يَضَا لِلْقُبَلِ وَالْعِنَاقِ  
 جَادَ الزَّمَانُ مِنْ بَعْدُ مَا كَانَ بِخَيْلِ  
 كَمَا جَرَعَ مَرُّهُ فَمَا قَدْ مَضَى  
 قَالَ الرَّقِيبُ يَا أَدِيبَا أَشْ ذَا  
 وَاتَّعَجَّبُوا عِذَالِي مِنْ ذَا الْخَبَرِ  
 يَعْشَقُ مَلِيحٌ إِلَّا رَقِيقَ الطَّبَاعِ  
 لَشْ يَرْيَحُ الْحُسْنَ إِلَّا شَاعِرٌ أَدِيبُ  
 وَإِنَّمَا الْكَاسُ فَحَرَامٌ هُوَ حَرَامُ  
 وَاهِلُ الْعَقْلِ وَالْخَنَكْرَا<sup>(٧)</sup> وَالْمُجُونُ

- ١- يشبه مطلع صبحية لابن زمرك وهو :  
 ريحانة الفجر قد اظلت خضراء بالزهر تزهر  
 وراية المبح اظلت في مرقب الشمس تنشر  
 فالشهب من غارة الصباح ترعد خوفا وتخفق  
 وادعم الليل في جماع اعنة البرق يطلق  
 والافق في ملتقى الرياح بادمع الغيث يشرق
- ٢ السبيكة : فضة مسبوكة، شبه الزجال بها لون الفجر.
- ٣ الميلاق : ما يعبر به الذهب والفضة ولونه أسود ولبعض الأندلسيين في هذا الميلاق الذي يختبر به :  
 ما ميلاق العالم إلا الذي يخبره العالم في الميلاق  
 ذاك الذي يكشف أسراره فيفضح الفاجر والمتقى
- ٤ أي تنفق سكتة وتروج والإشارة إلى نفاق النهار عند الناس وإستمتاعهم به.
- ٥ يعني أن نور العيون مكتسب من ضوء النهار أيضا = أيضا.
- ٦ في هذين البيتين إشارة إلى قوله تعالى «وعلنا الليل لباسا والنهار معاشا».
- ٦م- مرو مره : بنينو : بكلمة بنين وجمعها بنان ومعناها طيب المذاق وما تزال مستعملة في لهجتنا  
 وراجع قاموس لوزي ١ : 116.
- ٧ الخنكرا : وردت في VOC مرادفة للتنعيم والتبذخ.

وذا الذي يخلين حسنو ولم      نقدر بحسن الفاظ أن نخلبو  
 صبي هي سمان<sup>1</sup> تطفى الجمر      وقلبي في جمر الغضا تلهو  
 غزال هي تنظر قلوب الأسود      وبالوهم قبل النظر يذهبو  
 ثم تحيهم إذا ما بستسم      فيضحكو من بعد ما يندبو  
 فميم كالخاتم<sup>2</sup> وثغراً نقى      خطيب الأمة<sup>3</sup> للقبل يخطبو  
 جوهر ومرجان أي عقد يافلن      قد صفف والناظم ولم يثقبو<sup>4</sup>  
 وشارين أخضر يريد لش يريد      من شبهو بالمسك قد عيبو<sup>5</sup>  
 تسبل دلال<sup>6</sup> مثل جناح الغراب      ليالي هجري منو يستغربو<sup>7</sup>  
 على بدن أبيض فلون الحليب      لم قط راعي في الغنم يخلبو  
 وزوج نهيدات<sup>8</sup> علمت قبلها      ذيك الصلابة ريت ما أصلبو  
 تحت العكاكن<sup>9</sup> معها خصر رقيق      من رقتو يخفى إذا تطلبو  
 أرق هو من ديني<sup>10</sup> فيما نقول      جد، ترا عبدك ستي ما أكذبو  
 أي دين بقالي معاك وأي عقل      من يتبعك من ذا وذا تسلبو  
 وتحمل أردافاً ثقال كالرقيب<sup>11</sup>      حين ينظر العاشق وحين يرقبو

1. الممثلة الأرداف.

2. تشبيه شائع، وفميم تصغير فم.

3. خطيب الأمة : خطيب الجماعة، وهو عادة مثال الدين والتقوى والوقار

4. تشبيه الأسنان الجميلة بالجواهر شائع وفي بعض النسخ : جوهر في مرجان.

5. لابن عمار الشاعر الأندلسي المعروف أبيات يفاضل فيها بين ذي عذار أصفر وبين آخر مخضر العذار. جاء فيها :

شنت المثلث للزعفران      وملت إلى خضرة في التفايا

والمثلث لون من الطعام يدخل فيه الزعفران، والتفايا : لون آخر يعمل بالكزبرة وشبه به العذار الأخضر.

6. الدلال هنا : الشعر.

7. ليالي الهجر توصف بالسواد.

8. تصغير نهيدات أي نهود.

9. العكاكن : الأعكان، وهي الأطواء في البطن من السمن.

10. من أمثالهم : أرق من دين زنديق.

11. يقال في الأمثال أثقل من رقيب.

١. انْ لَمْ يَنْفَسْ غُرْزًا أَوْ يَنْقَشِعْ ١  
 لِيكَ قَصْرٌ يَصِيرُ الْمَكَانَ حِينَ تَجِي ٢  
 مَحَاسِنُكَ مِثْلَ خِصَالِ الْأَمِيرِ  
 عِمَادِ الْأَمْصَارِ وَفَصِيحِ الْعَرَبِ  
 بِحَمَلَةِ الْعِلْمِ أَنْفَرْدِ وَالْعَمَلِ  
 فَفِي الصَّدُورِ بِالرُّمَحِ مَا أَطْعَنُوا  
 مِنْ السَّمَاءِ يُحْسَدُ فِي أَرْبَعِ صِفَاتِ  
 الشَّمْسِ نُورُهَا وَالْقَمَرِ هَمَّتُ  
 يَرْكَبُ جَوَادِ الْجُودِ وَيَطْلُقُ عَنَانُ  
 مِنْ خَلَعَتُو نَلْبَسُ فِي كُلِّ يَوْمٍ  
 نِعْمَتُهُ تَظْهَرُ عَلَى مَنْ يَرْتَجِيهِ  
 قَدْ أَظْهَرَ الْحَقُّ وَكَانَ فِي حِجَابٍ  
 وَقَدْ بَنَى بِالْبَنَى رُكْنَ التَّقَى  
 تَخَافُوا حِينَ تَلْقَاهُ كَمَا تَرْتَجِيهِ  
 يَلْقَى الْخُرُوبَ ضَاحِكٌ وَهِيَ عَاسِيَةٌ ٣

فِي طَرْفِ دِيَسَا وَالنَّبِيِّ نَصْلُوبُ  
 أَوْ الرَّمْلُ مَنْ هُوَ الَّذِي يَحْسُبُ  
 وَحِينَ تَقِيبُ يَرْجِعُ فِي عَيْنِي قَبُوبُ ٤  
 فَمَنْ فَصَاحَةٍ لَفْظُ بَتَعَرَّبُوا  
 وَمَعَ بَدِيعِ الشُّعْرِ ٥ مَا أَكْتُبُ  
 وَفِي الرِّقَابِ بِالسَّيْفِ مَا أَضْرِبُ  
 فَمَنْ يَعْدُو قُلِّي أَوْ يَحْسِبُ  
 وَالْفَيْثُ جُودُ وَالنَّجْمُ مَنْصِبُ  
 الْإِعْتِنَا وَالْجَدَّ حِينَ يَرْكَبُ  
 مِنْ طِيبِ سَنَاهِ الْعَالِي نَطْيَبُ  
 قَاصِدٌ وَوَارِدُ قَطُّ مَا خَبِبُ  
 لَيْشُ يَقْدِرُ الْبَاطِلُ بَعْدَ يَحْجِبُ  
 مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ الزَّمَانُ خَرِبُ  
 فَمَعَ سَمَاحَةٍ وَجْهُهُ مَا أَهْيَبُ  
 غَالِبٌ هُوَ لَسُ فِي الدُّنْيَا مِنْ يَغْلِبُ

١. لعله في تهديد الرقيب، والديس : هو المعروف بالخيزران، وكأنه من قوله تعالى (وَأَصْلَيْكُمْ فِيهِ جُذُوعُ النَّخْلِ).
٢. يعني أن المكان يكون واسعاً إذا حضر ويصبح ضيقاً إذا غاب.
٣. يتخلص من الغزل ويلتفت إلى المدح.
٤. أي يكتسبون العربية والفصاحة.
٥. كان محمد النصري الثاني يقول الشعر وكذلك محمد الثالث، ويبدو أن محمد الثاني هو الممدوح هنا.
٦. هذا كقول مسلم بن الوليد :  
 يفتر عند اقتراب الحرب مبتسماً  
 تقول المتنبّي : تمر بك الأبطال كلّي هزيلة  
 ووجهك وضاح وثغرك باسم



إِذَا جَبَدَ سَيْفُهُ مَا يَبِينُ الرَّدُودُ<sup>١</sup>      فَلَيْسَ يُثْنَى عَلَى مَنْ يَضْرِبُ  
 وَهُوَ سَمِيُّ الْمِصْطَفَى، وَالْإِلَهُ      لِّلْسلْطَنَا اخْتَارُوا وَاسْتَخَبُوا  
 تَرَاهُ خَلِيفَةً أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ      يَقُودُ جُيُوشَهُ وَيُزِينُ مَوَكِبَهُ  
 لَدَى الْإِمَارَاتِ تَخْضَعُ الرُّؤُوسُ      نَعَمْ وَفِي تَقْبِيلِ يَدَيْهِ يَرْغَبُوا  
 بَيْتُهُ بَنِي نَصْرٍ بِدَوْرِ الزَّمَانِ      يَطْلَعُونَ فِي الْمَجْدِ وَلَا يَغْرَبُونَ  
 وَفِي الْمَعَالِي وَالشَّرَفِ يَبْعُدُونَ      وَفِي التَّوَاضُعِ وَالْحَيَا يُقْرَبُونَ<sup>٢</sup>  
 فَاللَّهُ يُبْقِيهِمْ مَا دَارَ الْفَلَكَ      وَأَشْرَقَتْ شَمْسُهُ وَلَا حَ كَوَكِبُونَ  
 وَمَا تَغْنَى ذَا الْقَصِيدِ فِي عُرُوضٍ      «يَاشْمُسُ خِدْرُ مَا لَهَا مَغْرِبٌ»<sup>٣</sup>

١. الردود : آلات الحرب (عزى ١ : 250).

٢. هذا كقول اليجتري في مدح ابن المديبر :

دنوت تواضعا وعلوت قدرا      فشاناك انحدار وارتفاع

٣. مطلع قصيدة للشاعر الأندلسي ابن الزقاق





زجل اللوشي في مقدمة ابن خلدون  
(نسخة أحمد الثالث)

مصنف مكنوا عند البشر نور المحضر في ربحها كمنبو  
 وهو المبار ما صاحي للعاص عيسى المعنى الله ما الطير  
 والليل لعل للقل والعاص على سرير الوصل معاصي  
 حاد الزمان في ربحه ما كان رجل ولش لعلك من ربحه عمنو  
 خارج مر واما قد معنى تشتت سنوا وتل طمسو  
 قال الله ما اودا امر داي السر والسر والسر في محو  
 والمحوا عه الى ربح الكبر لعلك يوم فردا سمحوا  
 لعن في ملح الارض الطماع فلا من لعلك والله او كمنبو  
 لمصر ربح المحضر الله عرادت لمصر كروا وادع تنو  
 واما الناس لرام هو حرام على الذي لمصر ربح لعلك  
 وآهال العمل والحكمرا والمعون لعقد بنوهم لعلك ان ادو  
 وذا الذي يحلر حسوا ولم بعد ربح الباطل ان يحلو  
 صتي هي ستر بطفي كمر ويلي في ربح العاص المحبو  
 عزال هي ينظر ولور الاسود وبالو هو قال الطير بهبو  
 وثر كمنبو اذ اسسمه فمضوا من بعد ما من بو  
 فمصر ككاحام وبعث ان في خطب الامة للقل اعطيو  
 حو قمر في مر حان اي عقده ما فلان بد صفيو السالم و  
 وشار من احصير يد لعلك من ربحه هو السالم و  
 تنبا دلال متل جناح الغراء لسا الى هجرى هو السمر بو  
 عني من ايض فكون كخط لم وطرا عي هو العنم عك لو  
 روح مهدات علك فلها دلك الصلابا ربح ما اصلو  
 عك لعلك من معها حفر رقبو من رقبو اعطي اذ اطلو  
 ارق هو من دي فيما قول حمنه عك كمنبو ما لا د  
 ري در ربحا الى معال داي عقل من شعل سر دوا داسلو  
 وجر اذ انما وكنار فمجن سطر العاصي وحر من ربح



زجل اللوشي في مقدمة ابن خلدون  
(مفردة الظاهري في العبر)

غزال هو سطر فلوب الاسود وبالوهم قبل الطريد هو  
 وثر عسهم ادا لمسم فمحووا من بعد ما سند بو  
 فمهم كالحاتمة وتفرانق حطب لال لعل غطمو  
 حو هو في مرجان اي عقد ما لان قد صفوا البلم ولم هو  
 وشار من احمر بر بدلش بر بد من شمو بالسك قد عيبو  
 نسل د ٢٧ مثل حاج الغراب لبالي مجرى مو سمر بو  
 عجا بدن ابيض فلون الحلب ليرفط راعي في الذم بحلبو  
 و زوج نهيد اب علك قلبها ديك العلامارت ما اصلبو  
 تحت العكاكن معا خضار ريق من رقتوا عفو ادا طنبو  
 ارف هو من دني فما نقول حد راعدك سمي ما ككد بو  
 اي دين نقالي معك او اي عمل من جعك من ذا وذا سلبو  
 ونحمل اردا اقا مال كالرفق من سطر العاشق وحر روي  
 اذ لم سمر غورا وشفيع في طرد دسا والتي تصابو  
 قصر صير ليك القان من بحر وحر نعت برجم في عني ورو  
 محاسنك مثل جمال الاسراء والامل من هو الذي يحسبو  
 عماد الامصار ونصح العرب فمن فطحة لقط معسبو  
 حمله العلم انورد والتميل ومع يدع الشعر ما التنبو  
 ففي الصدور بالرمح ما المكنوا وفي الرقاب بالسيف ما الصبر  
 من السبا عسك في اربع صفات من بعد وقل او محسبو  
 الشمس يوروا والقمر همنوا والسبح حودو والبحر منصو  
 رنحو ادا الجود ويطبق عمار الاعننا والمدهن بر كيو  
 من جحتو طيس في ط. بو. بطب ما. الساق بطبو



# من مزدوجات ابن سباع

المزدوج من أنواع عروض البلد التي ذكرها ابن خلدون، وابن شجاع التازي من فحول الزجالين في العصر المريني الذين برزوا في هذا النوع، وقد شاعت مزدوجاته في بلدان المغرب والأندلس ولسنا ندري هل وصلت إلى المشرق أم لا، فالحلي - وهو معاصر له - لم يذكره في كتابه : العاقل الحالي، وكان ابن خلدون يحفظ بعض أزجال ابن شجاع، ووجدنا بعده الفقيه عمر المالقي وهو أشهر زجال أندلسي في القرن التاسع يطلب الإجازة من بعضهم فيقول هازلاً :

أَلَا فَأَجْزَنِي يَا إِمَامِي بِكُلِّ مَا رَوَيْتَ لِمَدْغَلِيْسٍ أَوْ لِابْنِ قُرْزَمَانَ  
وَلَا تَنْسَ لِلدَّبَّاعِ نَظْمًا عَرَفْتَهُ فَإِنَّكُمَا فِي ذَلِكَ النَّظْمِ سَيَّانَ  
وَمَزْدُوجَاتٍ يَنْسُبُونَ نَظْمَهَا إِلَى ابْنِ شُجَاعٍ فِي مَدِيحِ ابْنِ بَطَّانٍ<sup>1</sup>

وكونه ذكر المزدوجات بلفظ الجمع يدل على أنها عديدة، ولكن لا يوجد منها اليوم شيء، وأما ابن بطَّان ممدوح ابن شُجاع فهو أبو محمد عبد الله بن بطان الصنهاجي والي مدينة تيط وجهاتها في عهد بني مرين، وقد كان جواداً ممدحاً نزل عنده ابن الخطيب لما مر ببلده ووصف احتفاله به فقال : «كريمٌ قرى ونحر، وأبهرت وسحر، ما شئت من ترتيب وتقدير، وروضٍ وغدير، وخورنق وسدير، هذب الأدب خدامه، وأطاب الاحتفال خبزه وإدامه، إلى عطاءٍ يحسب الأمل، ويُنقل الناقة والجمال<sup>2</sup>».

1- أزهار الرياض 1 : 123

2- نفاضة الجراب : 160

وقد مدحه بهذه القطعة :

لله درك يا ابن بطان فما لشهير جودك في البسيطة جاحد  
إن كان في الدنيا كريم واحد يزن الجميع فانت ذاك الواحد  
أجريت فضلك جعفرأ يحيى به ما كان من مجد فذكرك خالد  
فالقوم منك تجمعوا في واحد ولد كما شاء العلاء ووالد<sup>1</sup>

أما مزدوجات ابن شجاع في مدح هذا الرجل الكريم فلم يصل إلينا شيء منها. وإنما وصل إلينا نموذجان من مزدوجاته في غير ذلك ذكرهما ابن خلدون، أحدهما في الحكمة والشكوى من فساد الزمان والآخر في الغزل، يقول في الأول :

المال زينة الدنيا<sup>2</sup> وعز النفوس يبهى وجوهاً ليس هي باهياً  
فها كل من هو كثير الفلوس ولؤه الكلام والرتبه لعالياً

\* \* \*

يكبر من كثر ماله ولو كان صغير ويصغر عزيز القوم إذ يفتقر  
من ذا ينطبق صدري ومن ذا يصير يكاد ينقع لولا الرجوع للقد<sup>3</sup>  
حتى يلتجئ من هو في قومو كبير لمن لا أصل عندو ولا لو خطر

\* \* \*

1. نفسه 199 وقد ورد في البيت قبله بأسماء البرامكة كما في قول بعضهم : لك الفضل يحيى خالدا بك ذكره. والجعفر في الأصل النهر وبه سمي الرجل.

2 من الآية (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وفي بعض النسخ منها بدل فيها.

3 يشير إلى قوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) وفي بعض النسخ تغير، وكان يفقع وإدى بدل حتى.



لَذَا يَنْبَغِي نَحْزَنُ عَلَى ذِي الْعُكُوسِ وَنَصْبُغُ عَلَيْهِ ثَوْبِي فِرَاسٍ<sup>1</sup> خَائِيَا  
الَّتِي صَارَتْ الْأَذْنَابُ أَمَامَ الرُّوسِ وَصَارَ يَسْتَفِيدُ الْوَادُ مِنَ السَّاقِيَا<sup>2</sup>

\* \* \*

ضَعُفَ النَّاسُ عَمَلُ ذَا وَفَسَادَ الزَّمَانُ مَانِدُورٌ عَلَى مَنْ نَكَثُوا الْعِتَابَ  
الَّتِي صَارَ فُلَانٌ يُصَبِّحُ بِأَبُو فُلَانٍ وَلَوْ رَأَيْتَ كَيْفَ يَرُدُّ لِحَوَابِ  
عَشْنَا وَالسَّلَامِ حَتَّى رَأَيْنَا عِيَانِ أَنْفَاسِ السَّلَاطِينِ فِي جُلُودِ الْكِلَابِ<sup>(3)</sup>  
كِبَارِ النَّفُوسِ جَدًّا ضَعَافِ الْأُسُوسِ هُمْ فِي نَاحِيَا وَالْمَجْدُ فِي نَاحِيَا  
يَرَوْنَ أَنَّهُمْ . وَالنَّاسُ يَرُوهُمْ تَبُوسُ وَجُوهِ الْبَلَدِ وَالْعُمْدَةُ الرَّأْسِيَا

وأما النموذج الثاني، فيصف فيه ما يلقاه المحبون من تجني المحبوبين،  
وقد مهد له ابن خلدون بقوله «ومن مذاهيم قول ابن شجاع منهم قي  
بعض مزدوجاته»

تَعِبَ مَنْ تَبَعَ قَلْبُو مِلَاحَ ذَا الزَّمَانِ أَهْمَلُ يَافُلَانُ لَا يَلْعَبُ الْحُسْنَ بِبِكَ  
مَامْنَهُمْ مَلِيحُ عَاهِدٍ إِلَّا وَخَانُ قَلِيلٌ مَنْ عَلَيْهِ تَحَبُّسٌ وَيَحْبَسُ عَلَيْكَ

\* \* \*

يَتِيهُو عَلَى الْعُشَّاقِ وَيَتَمَنَّعُوا وَيَسْتَعْمِدُوا تَقْطِيعُ قُلُوبِ الرِّجَالِ  
وَأِنْ وَاصَلُوا مِنْ حِينِهِمْ يَقْطَعُوا وَإِنْ عَاهَدُوا خَانُوا عَلَى كُلِّ حَالٍ  
مَلِيحٌ كَانَ هَوِيَّتُو وَنَشَبَتْ قَلْبِي مَعُو وَصِيرَتْ مِنْ خَدِّي لَقَدَمُو نِعَالٍ  
وَمَهَّدَتْ لُو مِنْ وَسْطِ قَلْبِي مَكَانُ وَقُلْتُ لِقَلْبِي أَكْرَمَ لِمَنْ حَلَّ فِيكَ  
وَهَوْنٌ عَلَيْكَ مَا يَعْتَرِيكَ مِنْ هَوَانٍ فَلَا بُدَّ مِنْ هَوْلِ الْهَوَى يَعْتَرِيكَ

\* \* \*

1. لعل المقصود صبغة السواد التي هي علامة حزن.

2. هذا مثل وفي بعض النسخ : ادى.

3. هذا مثل أيضا والمسموع اليوم : العسل في جلد الكلب.

حَكَمْتُ عَلِيَّ وَارْتَضَيْتُ بُؤَامِيرَ فَلَوْ كَانَ تَرَى حَالِي إِذْ تَبْصُرُو  
نَرْجِعُ مِثْلَ دُرٍّ يُوْحُو بَوَجْهِ الْقَلْبِيرِ يَدُورُ بِهِ وَيَغْطَسُ بِحَالِ الْجَرُوءِ<sup>١</sup>  
وَتَعَلَّمْتُ مِنْ سَاعَا بِسَبْقِ الضَّمِيرِ وَنَفْهَمُ مُرَادُو قَبْلُ أَنْ يَذْكُرُوا  
وَنَحْتَلُ فِي مَطْلُوبُو وَلَوْ أَنَّ كَانَ عَصِيرُ فِي الرَّيِّعِ أَوْ فِي اللَّيَالِي فَرِيكَ<sup>٢</sup>  
وَنَمْشِي نَسُوقُو وَلَوْ كَانَ بِأَصْبَهَانَ<sup>٣</sup> وَابِشْ مَا يَقُولُ يَحْتَاجُ نَقْلُ لَوْ يَجِيكَ



١- فيه قلق واضطراب وكلمة د معناها : الذي،  
٢- العصير وقت جني العنب والتين وهو يكون في آخر الصيف، أول الخريف وليس في الربيع والفريك  
يكون في شهر ماي أي في زمن الصيف لا في زمن الشتاء ونسوقو : نأتي به، واصبهان : مدينة مشهورة.



زجل

أبْلَانِي بِسَاطِي النَّهْرِ نَوْحُ الصَّمَامِ  
لَا بَيْنَ عُمَيْرِ الْفَاسِي

ورد هذا الزجل كذلك في مقدمة ابن خلدون بعد تمهيد يقول فيه «ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناً آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالמושح نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضاً وسموه عروض البلد، وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب..»

وابن عمير هذا هو - فيما يبدو - الذي ذكره الحلبي بكنيته ونسبته في العاقل الحالي، ففي ص 32 من هذا الكتاب نجد مايلي «وكقول الأستاذ أبي بكر بن عمير المغربي» في مطلع زجل له وهو :

أَنْكَرْتُ شَيْبِي مِنْ بُلَيْتِ بَيْهَا كُلُّ مَنْ عَاشَرَ يَشِيبُ  
إِنَّمَا هِيَ مَلَاةُ الْبُسْتَانِ بِالنَّوَارِ الْعَجِيبِ

وفي ص 35 «وكقول ابن عمير في مطلع زجل له وهو:

مَرْفُوعُ الرَّأْسِ مَلُولٌ نَفُورٌ تِيَّاهُ يَغْضَبُ إِذْ نَلْتَقُو  
هَذَا كُلُّوْا لِمَا نُمْتُ عَنْوْ وَلِمَا نَعُشَقُو

وأصل اللفظة «مرفع» مرفوع فحذف الواو واستغنى بضمه الفاء» وفي ص 53 «وكقول ابن عمير في مطلع زجل له :

الْعَدُولُ عُمُرُو سَيِّءُ التَّدْيِيرِ لَوْ وَفَا لِسِي غَدَرَ  
قَالَ لِي أَصْبِرْ وَكَفْ نُطْقُ نَصِيرٍ وَشَرُّهُ هُوَ طَعْمُ الصَّبْرِ

فالياً في نصير ناشئة عن كسرة ما قبلها» وفي ص 56 «فأما إقلاب الواو ألفا فكقول ابن عمير :

اسْقِنِي بِالْعَلَالِ يَا حَبِيبِي وَأَمَّا  
خَلَّ قَوْلُ اللَّانِمِ مَانُطِيعُوا أَصْلًا

ويقول في إحدى خرجاته.

واشْرَهَا بِالْأَمْوَالِ فَعَلَيْكَ مَا تَفْعَلُ  
مِثْلَ كَيْحَلَالِكَ شَرِبَهَا لِي يَحْلَا

والأصل في قافيتي هذه الخرجة تغلو وتحلو، وقد قابل بها الألف في لفظتي أملا وأصلا في قوافي المطلع» ونجد في العاقل الحالي أيضا ذكراً لمن اسمه أبو الحسن ابن عمير قال صفي الدين أثناء حديثه عن استعمال أدوات النحو في الأزجال (ص 71) «وللاستاذ أبي الحسن ابن عمير مطلع زجل :

سَافِرْ حَبِيبِي وَأَنَا بَعْدُ مَقِيمٌ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ»

وفي رأيي أنهما شخص واحد فأبو الحسن تحريف والصواب أبو الحسين، وهي كأبي بكر كنيه من اسمه يحيى، وقد ذكره أيضا ابن مبارك شاه في السفينة وسماه أبا بكر يحيى بن عمير وأورد له الزجل التالي :

قُمْ حَجَّ كَاسِكَ بَيْنَ غُرْسِ الْحَبَقِ وَاسْبِقْ لَشْرَبِكَ قَدْ فَلَحَ مِنْ سَبَقِ

\* \* \*

صَبَاحِ أَيْضُ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ عَجَبُ  
مَاءٍ مَفْضُضٍ وَشَمُوسٍ مِنْ ذَهَبِ  
وَالطَّيْرِ يَغْنِي وَالْغُصُونُ تَنْضُرُ  
وَالرِّيحُ يَصْفُقُ وَالنَّوَارُ يَعْتَنُقُ

\* \* \*

وَاسْمِعْ كَلَامَ أُمِّ الْحَسَنِ فِي الْغُصُونِ  
تَهْزُ قَلْبَكَ لِلْهَوَى وَالْمَجُونِ  
مَلِيحَةٌ هِيَ نَعْمَةٌ تَخَافُ الْعُيُونِ  
مَنْ ذَا تَغْنِي فِي سَتُورٍ مِنْ وَرَقِ

\* \* \*

واعشَقُ كَمَا نَعْشَقُ صَبِي بِالْجَمَالِ  
قَدْ رَدَّ قَلْبِي فِي غِشَا مِنْ نِبَالِ  
إِذَا خَطَرَ رَيْتَ الْقَمَرِ وَالْغَزَالِ  
وَالْمَوْتَ الْأَحْمَرَ فِي سَوَادِ الْحَدَقِ

\* \* \*

شَخْصٌ مَلِيحٌ النَّظَرُ فِيهِ لَسَ تَمَلُ  
يَقْتُلُ قُلُوبَ الْخَلْقِ إِذْ يَنْفَتَلُ  
فَمَنْ رَأَى خَدَّوْ فِي ذَاكَ الْخَجَلِ  
رَأَى بَيَاضَ الشَّمْسِ تَحْتَ الشَّفَقِ

\* \* \*

يَا مَنْ هُوَ حَافِظٌ لِلْعُهُودِ وَالذُّمَامِ  
بِاللَّهِ عَلَيْكَ إِنْ رَيْتَ بَدْرَ التَّمَامِ  
فَقُلُّوْ يَقْرِيكَ يَا مَلِيحَ السَّادِمِ  
مَنْ لَا تَخْلِي جَفُونَكَ فِيهِ رَمَقٌ<sup>(١)</sup>

ويستفاد من هذا كله أن ابن عمير الأندلسي أصلاً الفاسي منزلاً كان من  
شيوخ الزجل على طريقة ابن قزمان ومدغليس وغيرهما من الزجالين قبل  
أن يستحدث ما دعي بعروض البلد، ولا يعرف مما نظم فيه إلا المثال  
الذي أورده ابن خلدون في المقدمة ونسوقه فيما يلي :

---

١. السفينة لابن مبارك شاه (مخطوط)

أَبْكَانِي بِشَاطِي النَّهْرِ نَوْحَ الْحَمَامِ عَلَى الْغُصْنِ فِي الْبُسْتَانِ قُرَيْبَ الصَّبَاحِ  
وَكَفَّ السَّحَرُ يَمَحُو مَدَادَ الظَّلَامِ وَمَاءُ النَّدَى يَجْرِي بِشَغْرِ الْأَقَاحِ  
\* \* \*

بَاكَرْتُ الرِّيَاضَ وَالطَّلَّ فِيهَا افْتَرَاقُ نَشِيرِ الْجَوَاهِرِ فِي نُحُورِ الْجَوَارِ  
وَدَمَعُ النَّوَاعِرِ يَنْهَرُ أَنْهَرَاقُ يَحَاكِي ثَعَابِينَ حَلَقَتْ<sup>١</sup> بِالشَّمَارِ  
لَوَا بِالنُّصُونِ خُلْخَالَ عَلَى كُلِّ سَاقٍ وَدَارَ الْجَمِيعُ بِالرَّوْضِ دَوْرَ السَّوَارِ

وَأَيْدِي النَّدَى تَخْرُقُ جُيُوبَ الْكَمَامِ وَيَحْمِلُ نَسِيمَ الْمِسْكِ عَنْهَا رِيَّاحُ  
وَعَاجَ الصَّبَا يُطْلِي بِمِسْكِ الْغَمَامِ وَجَرَ النَّسِيمِ ذَيْلُ<sup>٢</sup> عَلَيْهَا وَفَاحُ  
\* \* \*

رَأَيْتَ الْحَمَامَ بَيْنَ الْوَرَقِ فِي التَّضْيَبِ قَدْ ابْتَلَتْ أَرْيَاشُ<sup>٣</sup> بِقَطْرِ النَّدَى  
يَنْوَحُ مِثْلَ ذَاكَ الْمُسْتَهَامِ الْغَرِيبِ قَدْ اتَّفَقَ مِنْ تَوْبُو<sup>٤</sup> الْجَدِيدِ فِي رَدَا  
وَلَكِنْ بَقَاءَهُ أَحْمَرُ وَسَاقُ خَضِيبٍ يَنْظُمُ سَلُوكَ جَوْهَرٍ وَيَتَقَلَّدَا<sup>٥</sup>

جَلَسَ بَيْنَ الْأَنْصَانِ جِلَّةَ الْمُسْتَهَامِ جَنَاحًا تَوَسَّدَ وَالتَّوَى فِي جَنَاحِ  
وَصَارَ يَشْتَكِي مَا فِي الْفُؤَادِ مِنْ غَرَامٍ مِنْهَا ضَمَّ مِنْقَارُهُ لِبَصْرِهِ وَصَاحُ  
\* \* \*

١. النواعير : النواوير، وحلقت : دارت. والشمار : الأشجار.

٢. الكمَام : الأكمام وهي براعم النور

٣. أرياش : الريش

٤. توبو : تولى

٥. يتقلدا : يتبعان

٦. ويتقلدا : ويتبعان أي يلبسها قلادة



فَقُلْتُ يَا حَمَامَ أَحْرَمْتَ عَيْنِي الْهَجُوعُ      أَرَاكَ مَا تَرَالُ تَبْكِي بِدَمْعِ سَفُوحٍ  
قَالَ لِي بَكَيْتَ حَتَّى صَفَتْ لِي الدَّمُوعُ      بِإِدَامِعٍ نَبَقَى طُولَ حَيَاتِي نُوحُ  
عَلَى فَرْخٍ طَارَ لِي لَمْ يَكُنْ لَوْ "رُجُوعُ"      أَلَفْتُ الْبُكَاءَ وَالْحُزْنَ مِنْ عَهْدِ "نُوحِ"

كَذَا هُوَ الْوَفَا وَكَذَا هُوَ الذَّمَامُ      أَنْظُرْ جُفُونَهُ صَارَتْ بِحَالِ الْجِرَاحِ  
وَأَنْتُمْ مِنْ بَكَى مِنْكُمْ إِذَا تَمَّ عَامُ      يَقُولُ عَيَّانِي ذَا الْبُكَاءِ وَالنُّوَحِ

قُلْتُ يَا حَمَامَ لَوْ خُضْتُ بِحَرِّ الضَّنَى      كُنْتُ تَبْكِي وَتَرْتِي لِي بِدَمْعِ هَتُونِ  
وَلَوْ كَانَ بِقَلْبِكَ مَا بَقَلْبِي أَنَا      رَمَادُ كَانَ تَصِيرُ تَحْتِكَ فُرُوعُ الصُّونِ<sup>١</sup>  
الْيَوْمَ نُقَاسِي الْهَجَرَ كَمْ مِنْ سَنَاءٍ      حَتَّى لَا سَبِيلَ جُمْلَهُ تَرَانِي الْعُيُونِ

وَمِمَّا كَسَا جِسْمِي النُّحُولُ وَالسَّقَامُ      أَخْفَانِي نُحُولِي عَنْ عُيُونِ اللُّوَحِ<sup>٢</sup>  
لَوْ جِئْتِي الْمَنَاءَ كَانَ نَمُوتُ فِي الْمَقَامِ      وَمَنْ مَاتَ بَعْدَ يَأْقُومٍ لَقَدْ اسْتَرَّاحَ

قَالَ لِي لَوْ زَفَرْتُ إِلَّا وَدَابَّ الرِّيَاضِ      مِنْ خَوْفِي عَلَيْهِ رَدَّتْ النَّفُوسُ لِلْفُؤَادِ  
وَنَخَضَبْتُ مِنْ دَمْعِي وَذَاكَ الْبَيَاضُ      طُولَ الْعَهْدِ فِي عُنُقِي لِيَوْمِ التَّنَادِ  
أَمَّا طَرَفُ مَنَارِي فَحَدِيثُ اسْتِفَاضِ      طَرَفَ شَعْلٍ وَالْجِسْمُ صَارَ رَمَادَ

\* \* \*

تَبْكِي وَتَرْتِي لِي صُنُوفَ الْحَمَامِ      وَمَنْ ضَاقَ بِحَالِي الصَّدِّ وَالْهَجَرِ  
فِيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ السَّلَامُ      نَاحٍ إِذَا لَمْ نَجِدْ فِيكَ رَاحَةً وَلَا مُسْتَرَّاحَ<sup>٣</sup>

١. يتسیر الزجال هنا إلى ماكان العرب يزعمونه في الهديل من أنه فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فمات ضيعة وعطبت فيقولون إنه ليس من حمامة إلا وهي تبكي عليه (لسان العرب)

٢. لو : له

٣. يتسیر إلى قول لبيد ومن ساء حولا كاملا فقد اعتذر وعياني في بعض النسخ عياني وهي بالنسبة مثل عياني أي أعياني وأتعبني

٤. أي لا حترقت.

٥. اللوح : الوام ويسمى كفي جسمي نحولا أنني رجلٌ لولا مخاطبتي ياك له ترني

٦. لا يوجد هذان البيتان في بعض النسخ.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



زجل لابن عمير من مخطوط السفينة  
لابن مبارك شاه

ابو نصر محمد بن عبيد  
 حج كما سكر بين غرس الحبق واستقر لسكر  
 صبايح ابيض كل من فيه عجب  
 ما يقضى وشمس من ذمت  
 والظير يغني والفضون تنطرت  
 والزج يعشق والنوار نفس  
 واسع كلام ام الحسن في الفضون  
 تهتز قلبك للموه والمجوت  
 مليح هي نه تحاف العيون من ذات غنى في شورت  
 واعشق كما تعشق صبي الجبال  
 قدوة وكبي في غشا من نبات الحدف  
 اذا خطر ريت الفرو والفرال والموت الاهر من سواد  
 شحير مليح النظر فيه لشر كمثل

يقبل قلوب الخلق اذ يفتل  
 فمن راي خذوه في ذاك الخجل راي بيض الشمس  
 تحت الشفق  
 يامن هو حافظ للعهود والدمام  
 بالله عليك ان ريت بدر التمام  
 قد توذيرك يا مليح السر المزم  
 في حاله خفيك مسق  
 لم يفته ساد  
 من من الغصن ينسج الندى و من من لورد  
 نور يد الخجل  
 سراج الدين عمر بن مسعود انشأ  
 اللام بالشر يفيد والشلو لشر يفتق  
 ونا في حب البسوت بين مازم و بين فطن  
 واللعوي بالي شغل عن ساد و عن ملام



# زجل للأبي محمد بن حسن

هذا زجال لم يذكره ابن خلدون فيمن ذكر من زجالين اشتهروا بالاندلس والمغرب في عصره وقبله، وإنما ذكره صفى الدين الحلبي واستشهد بمطالع ومقاطع من أزجاله وذكره كذلك ابن مبارك شاد في السفينة وأورد له زجلا سننقله بعد قليل، وقد رأينا فيما سبق أن زجالنا الكفيف الزرهوني ختم ملعبته بقوله :

واستغفريا كفيف لابن حسون      وتفكر ما ذكر في عام ستاً :  
فجعني صيحة النجيب بكرا      حين رحلوا ركائب الغزلان  
وأمت من بعدم الديار قفرا      ما فيهم لا إنس ولا عمران

ونظن أن ابن حسون هذا هو أبو عبد الله محمد بن حسون الحلا الذي ذكره صفى الدين الحلبي وابن مبارك شاه، ويبدو أنه كان قدوة الكفيف ولذلك دعا له وقد تكون الخرجة التي ختم بها هي مطلع زجل لابن حسون أما عام ستة فلعله يقصد به عام 706هـ الذي وقعت فيه أحداث اهتز لها المغرب مثلما اهتز لما وقع لأبي الحسن المريني في إفريقية وبعدها، ففي السنة المذكورة اغتيل السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق وهو محاصر تلمسان ذلك الحصار الذي دام مائة شهر، وكان اغتياله نتيجة مؤامرة بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من دخول تلمسان، وقد ظهر صراع على الملك بين بني مرين، ورفع الحصار عن تلمسان وتم الأمر لأبي ثابت حفيد السلطان يوسف فقتل عمه وعم أبيه وآخرين من قرابته الطامعين في الملك<sup>(1)</sup>، ومن الواضح أن هذه الأحداث تشبه تقريبا الأحداث التي انتهت بها حركة أبي الحسن إلى إفريقية، وقد يكون ابن حسون تحدث عما وقع بعد اغتيال يوسف بن عبد الحق في زجل له وربما كان مطلعاه هو الذي ختم به الكفيف زجله.

---

1- راجع في هذه الأحداث العبر لابن خلدون 7 : 484 وما بعدها

ومهما يكن فإنه لا يوجد الآن من أزجال ابن حسون إلا الزجل الذي  
سنثبته ومطالع أزجال ذكرها صفي الدين الحلّي ومنها قوله :

كَمْ نَبِيتُ مِنْكَدُ	من هواك وهجرانك يا مليح القد
يا مليح بمن سَمَّاكَ	إش هذا التَجَنِّي
طُولُ مَا نَشْتَهِي قَرِيبُكَ	تبعّد أنت مَنِّي
إِنْ كَانَ الرَّقِيبُ لَكَ	بَلَّغْ قَضِيهِ عَنِّي
لَسْ أَنَا فِي ذَا الْحَدِّ	عُودُ بِاللَّهِ يَا حَيُّ الْآخِرُ هُوَ أَجُودُ <sup>(1)</sup>

وقوله :

صَحْبَةُ الْعَيْنَيْنِ السُّودُ	طُولُ صُدُودِكَ أَبْلَانِي
أَنَا فِي هَوَاكَ هَايِمٌ	وَأَنْتَ تَرْضَى هَجْرَانِي <sup>(2)</sup>

وقوله :

قَدْ ضَحَكَ ضَوْ الصَّبَّاحُ	وافتَضَحَ سر النّوّارِ
وَانْهَزَمَ جَيْشُ الظُّلَامِ	فاسْقُنِي [في ذا] النّهارِ
أَيُّ شَرَابٍ هُوَ ذَا الشُّرَابِ	وَأَيُّ نَهَارٍ بِلَادِ رَقِيبِ
قَدْ بَكَى فِيهِ السُّحَابُ	وَانْثَنَى فِيهِ الْقَضِيبُ
فَالرِّيَاضُ سَكْرٌ وَطَابُ	وَابْتَهَجَ بِكُلِّ طَيْبِ
فَتَرَى مَعَا الرِّيَّاحِ	فِي وَصَالٍ وَفِي نَفَارِ
وَبُكََا وَابْتَسَامُ	وَعِنَاقٍ وَانْتِشَارِ <sup>(3)</sup>

1- العاطل الحالي : 29

2- نفسه : 36

3- نفسه : 39

ومن هذا الزجل قوله :

لا زَمَانُ غَيْرَ ذَا الزَّمَانِ      الصَّلَاةُ عَلَى الرَّسُولِ  
خُتِرَى ذَا الْمَهْرَجَانِ      خُتِرَى جَرِّ الذُّيُولِ  
وَمَكَانُ أَبَدَعُ مَكَانٍ      تَفْتَنُ فِيهِ الْعُقُولُ  
وَلِقَاحُ أَمْلَحَ لِقَاحٍ      وَثِمَارُ أَمْلَحَ ثِمَارِ  
وَالطُّيُورُ قَامَتْ وَقَامَ      الْوَتَرُ مَعَ الْجَوَارِ<sup>(1)</sup>

ومنه قوله :

لا تَقُلْ شَرَابٌ وَرَاحٌ      فِي الزُّجَاجِ وَلَا عَقَارٌ  
خُتِرَى مَاءَ الْغَمَامِ      قَدْ رَجَعَ مِنْ نَوْرٍ وَنَارِ<sup>(2)</sup>

ومن مطالع أزجال ابن حسون التي ذكرها صفى الدين الحلبي. المطلع التالي :

ناكِلٌ وَنَشْرَبُ طَيِّبَ هَنِي      لِأَرْحَمِ [اللَّهِ] أُمٌّ مَنْ لَامُنِي<sup>(3)</sup>

ويبدو أن هذا الزجال - مثل ابن قزمان ومدغليس - كان له ديوان ومنه نقل الحلبي المطالع والنماذج التي ذكرها وقد عدّه من كبار الزجالين قال : «وللأستاذ أبي عبد الله محمد بن حسون الحلا وهو من أكابرهم في زجل :

مَا نَخْفِي فِي صَدْرِي وَنَكْتَمُو      دُمُوعِي عَلَى خَدَيَّ تَتَرَجَّمُو  
مَعَ ذَا الَّذِي قَطَعَ قَلْبِي هَوَاهُ      فَمَا صَغِيرَ يَفْتَنَ لِمَنْ رَأَاهُ  
لَوْ كَانَ مَعُو خَاتَمُ يَحَاكِي فَاهُ      مِنْ صَغُرُو لَمْ يَقْدِرْ يَتَخَتَّمُو<sup>(4)</sup>

1- نفسه 42

2- نفسه 42

3- نفسه 51

4- نفسه 68 ولم يورد ابن خلدون شيئا من هذه الشواهد مع أنه اطلع على كتاب الصفى الحلبي واقتبس منه في المقدمة



وإذا كان الحلّي الذي كان مشغولاً بالتقعيد لم يذكر من أزجال ابن حسون إلا ما استشهد به فإن ابن مباركشاه قد حفظ لنا زجلاً تاماً له سنورده بعد قليل،

وذكر الحلّي أيضاً له هذا البيت من مطلع زجل له :

اهجرُ يا لغزالُ واتدلّلْ واعملْ ما تريدُ فمن بُلي يحتملُ<sup>(1)</sup>

وذكر له أيضاً المطلع التالي :

في مליحٍ وتيّاہ بارتُ حيليّ ليس يرى ما تحمّلُ إلاّ من بُلي

\* \* \*

ففضّبُ حبيبي في الحينُ وخرجْ وانحرفْ مزاجو ورادُ ينفلجْ

ثم قال لي تقصدُ معي ذا اللّججْ سا ترى ايشُ تلاقى بلجتكُ لي<sup>(2)</sup>

وهذا مطلع زجل آخر :

ارفع قطيعك وطيبْ واتملاّ والغبْ عمّن ولّى

وفيه يقول :

انظرْ للعب الرّياحْ بالاغصانْ والوادْ مدرّعْ ولسْ هو إنسانْ

واخرجْ ذراعْ مثل سيفاً عريانْ كأنما فيه دماء القتلى<sup>(3)</sup>

وقد استشهد الحلّي كذلك ببيت من زجل قال إن ابن حسون مدح به الوزير ابن الفخار، وابن حسون يصف هذا الوزير بالطبيب الماهر والفيلسوف والجليل المقدار<sup>(4)</sup>، وكنت ذهبت إلى أنه اليهودي المترجم في

1- نفسه : 42

2- نفسه : 44

3- نفسه : 73

4- نفسه : 50

المغرب لابن سعيد والمذكور في البيان المغرب<sup>(1)</sup> والروض المعطار<sup>(2)</sup> ونفح الطيب<sup>(3)</sup>. وهذه المصادر تذكر أن ملك قشتالة وجهه سفيراً إلى الموحدين في مراكش عام 618هـ والصفات المذكورة تنطبق عليه ولكن التاريخ لا يستقيم مع ابن حسون شيخ الكفيف الذي قال زجلاً عام 706هـ فالمسافة بين التاريخين كبيرة ولهذا لا نستطيع الجزم بشيء في هذا الموضوع ونورد نص الزجل الذي ذكره ابن مباركشاه في السفينة لابن حسون فيما يلي :

ما أحْمَقُ	عنْ قَطِيعٍ مِّنْ رَّمَقٍ
الصَّبْحُ قَدْ أَقْبَلَ	* وَالظُّلَامُ قَدْ وَلَّى
وَالنُّجُومُ قَدْ غَابَتْ	فِي حِجَابِ عِلْمِ اللَّهِ
وَنَجُومُ الْأَعْقَابِ	قَدْ بَدَتْ أَنْ تُجْلَى
عِنْدَمَا غَابَتْ ذِيكَ	ابْتَدَتْ ذِي تَشْرِقٍ
* وَالنَّوَاعِيرُ تَبْكِي	* وَالْبَسَاتِينُ تَفْرَحُ
وَالطُّيُورُ تَطَارَحُ	فِي غِنَا مِنْ أَمْلَحُ
وَالثَّمَارُ تَتَهَادَى	فِي شَذَا مِنْ أَفْوَحُ
يَا خَلِيعُ اثْنَزِهِ	* وَاسْتَمِعْ وَاسْتَنْشِقْ
* وَأَسَدُ مِنْ إِبْرِيزْ	* يَرْمِي ثَعْبَانِ بِلَارْ
فِي غَدِيرٍ مِثْلِ الْجَوْ	وَالْحَيْتَانِ فِيهِ أَطْيَارُ
وَفِي قَاعٍ أَصْنَافُ	مِنْ بَدِيعِ الْأَحْجَارِ
وَالطُّيُورُ لَا تَبْرَحُ	تَحْرُزُ وَلَا يَسْبُرُقُ

\* \* \*

1. المغرب 12 : 23

2. البيان المغرب قسم الموحدين : 266

3. نفح الطيب 3 : 527.

ومِلاحُ كالأقمارُ      وشَرابٌ مَوْجودُ  
 الرِّبابُ والرُّوطَةُ      والزُّلَامِي والعُودُ  
 انتبه ياراقدُ      قُمْ وارجع قعدودُ  
 ببيوت الأموال      ذا النهار لسر يلحقُ  
 واللَّه إنِّي مطبوعُ\*      نغمة في ذا الاحبارُ\*  
 خذُ ترى كيف ننظمُ      السَّحر في الأسحارُ  
 لولا ما تم اقوامُ      ينكرو ذا المقدارُ  
 يُقالُ زيدُ اقدمُ      وأنا اطبعُ وارشقُ

\* \* \*





صورة زجل لابن مسون في مخطوط  
السفينة لابن مبارك شاه

محمد بن حسن الحلبي

احق عز وجل من قس

الصبح قد اقبل والظلام قد ولى

والنجوم قد غابت في حجاب علم الله

ونجوم الانعام قد بدت ان تبار

بمعاينة ذكرك ابدت ذنوب تشوق

والنواميس كل والباقين تفرح

والطيور تفرح في غايك افرح

والثمار تنادي في شرا من افرح

خلع اتسره واستمع واستنشق

واشد من ابريق يرمى ثعبان قبل ان

في غدير كل الجود والحيث في الطيار

هي

وفي قاعها صاف من يدع الاحجار

والطيور لا تفرح تحذر ولا يسرق

وملاح في الاقار وشرب موجد

الزباب والروطه والزلزالي والله

انقضاء افسد ثم دارج فعدو

ببيوت الاموال كل ذا النهار لمن يلهو

والله اني مطبوع بغيره في الاموال

خذ مني كيف تنظم السور في الاموال

لولا ما تم اقوام بيخروا في الاموال

وبال ذيد اقدم والله اعلم

ولله من اجل

نور بين حين لتقنه مما يجد من شوق

نصفه ونصفه من كيديه

لا غالب إلا الله



زجّل افرصوا وطيبوا  
لابن الخطيب

رأينا كيف كانت عناية ابن خلدون بالزجل وحفظه وروايته وتدوينه ومثله في هذا معاصره وصديقه ابن الخطيب، فقد ظهر اهتمامه بالزجل وتكرر تنبيهه على من نظم فيه في عدد من تراجم الإحاطة والكتيبة الكامنة وترجم في الإحاطة لابن قزمان وقال فيه : «نسيج وحده أدباً وظرفاً ولو ذعية وشهرة» ونقل كلاماً لابن عبد الملك المراكشي جاء فيه أن ابن قزمان «كان مليح التندير مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية بلسان عوام الأندلس الملقب بالزجل» ثم عقب ابن الخطيب على هذا بمايلي : «قلت : وهذه الطريقة بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع، وتنفسح لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً حجرة الله عن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم رحمه الله».

ولم يكن ابن الخطيب معجباً بالزجل والموشحات فحسب وإنما كان من المجلّين في هذين الفنّين الأندلسيين، ولهذا سلكه ابن خلدون في عداد الزجالين بعد أن ذكره مع الوشاحين فقال «ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب إمام النظم والنثر في الملة الإسلامية من غير مدافع، فمن محاسنه في هذه الطريقة :

أَمْزَجَ الْأَكْوَاسُ  
وَأَمَلًا لِي نَجَدَّ  
مَاخْلُقَ الْمَالِ  
إِلَّا أَنْ يَبَدَّ

ومن قوله على طريقة الصوفية، ينحو منحى الششتري منهم :

بَيْنَ طُلُوعٍ وَنُزُولٍ  
اخْتَلَطَتِ الْغُزُولُ  
وَفَنَى مَنْ لَمْ يَكُنْ  
وَبَقِيَ مَنْ لَمْ يَزُولْ



ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى :

البعد عنك يا بني  
أكبر مصايبي  
وحين حصل لي قربك  
نسيت قرابي<sup>(١)</sup>

والمثال الأول ما يزال يتغنى به في موسيقى الآلة :

امزج الأكواس إملالي نجدد ما خلق المال إلا ليبدد<sup>(٢)</sup>  
قم ترى الأوراق ترقص في حليها  
والطيور تنطق تولول عليها  
والنسيم يعبق يقبل يديها  
وترى الجوهر منظوم في زبرجد ما خلق المال إلا ليبدد<sup>(٣)</sup>

وقد أثبت ابن الخطيب بعض أزجاله في الجزء الثالث من كتاب نفاضة الجراب ونقتطف منها زجلا نظمه بمناسبة رجوع السلطان محمد الخامس النصري الملقب بالغنى بالله إلى ملكه بعد ثلاث سنوات<sup>(٤)</sup> قضائها لاجئا إلى البلاط المريني وعاشت غرناطة خلالها فترة مضطربة، وكان ابن الخطيب ممن امتحنوا فيها إذ سجن وصودرت أمواله ولجا كذلك إلى المغرب<sup>(٥)</sup> ولما عاد السلطان المذكور ونزل برنطة وظهرت بوادر عودته إلى الملك وجه إليه ابن الخطيب قصيدة طويلة سماها «المنع الغريب»<sup>(٦)</sup> ولما تحقق النصر ودخل السلطان إلى غرناطة خف ابن

١- المقدمة : 1463.

٢- الحايك : 57 ومن وحي الرباب : 215.

٣- أشير بهذه المناسبة إلى التشابه الواضح بين ما حدث للسلطان محمد الخامس النصري وما حدث للملك المرحوم محمد الخامس في اتفاق الاسم والخلع والنفي ومدته والعودة وفرح الشعب بها.

٤- أنظر نفاضة الجراب.

٥- نفس المصدر.

الخطيب إلى الالتحاق به وقال في الطريق الزجل الذي نشبته فيما يأتي،  
ومن المعروف أن شعر المناسبات هو شعر إعلامي حماسي، ويبدو أن  
ابن الخطيب توجه بالقصيدة إلى الخاصة وخاطب العامة بالزجل،  
والنصان يشتركان في عدد من المضامين جاء في القصيدة عند ذكر تلك  
الحادثة التي دبرت بليل :

يا فتكة أخفت مواطئ غدرها حيل الخديعة والظلام المسبل  
عثر الزمان بها وكانت فلتة شعاء والدنيا تجد وتهزل

وجاء المعنى نفسه في الزجل :

عثر هذا الحادث في الفلك وغلطنا  
سقطت به الدنيا فردام سقطنا

وقال في القصيدة مصورا حال أهل غرناطة بعد خلع السلطان ورحيله  
إلى وادي آش :

فرحلت عنهم والقلوب بوالغ ثغر الحناجر والمدامع تهمل  
فلقد شهدت وما شهدت كموقف والناس قد وصلوا الصراخ وأعولوا  
وبكل نادر منك أنه نادر وبكل دار منك حزن مشكل

وقال في الزجل :

والأمم من الحسرا دون شراب سكارا  
والعيون عيون تجري والقلوب حيارا  
والذي ظفر منهم بحرف أو دبّاراً

يَجْعَلُوا فِي جَيْبُوا عَسَى يَنْطَفِي وَجَدُوا وَيَسْكُنُ وَجَيْبُوا

وقال في القصيدة مشيرا إلى مقتل السلطان الغاصب الملقب بالبرميخو :

وَأَرَى عَدُوَّ اللَّهِ عَقَبَى غَدْرِهِ وَالْخَزْيُ مِنْهُ مُعَجَّلٌ وَمَوْجَلٌ

وقال في مطلع الزجل مخاطبا أهل غرناطة :

أَفْرَحُوا وَطَيَّبُوا قَدْ مَضَى عَدُوَّ اللَّهِ وَأَنْجَبَرُ حَبِيبُوا

وإذا كانت القصيدة تتميز بجلجلة بحرها وجرس ألفاظها وسمو معانيها فإن الزجل يتميز بسلاسة الألفاظ وسذاجة المعاني وقابلية التغني ، ولعل الناس تغنوا به فعلا في تلك الأيام ونورده بتمامه فيما يلي .

افْرَحُوا وَطَيَّبُوا<sup>(١)</sup> قَدْ مَضَى عَدُوُّ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> وَأَنْجَبَ حَبِيبُ

كَانَتْ الْبِلَادُ وَأَهْلُهَا نَعَمٌ فِيهِ رَغِيبًا  
لَمْ تَرْنَهَارَ فِيهِ ضَوْءٌ وَلَا بَعْدُ طَيِّبًا  
كَيْفَ وَقَدْ صَارَتْ [لَوْ] أَرْمَلًا<sup>(٣)</sup> غَرِيبًا

بِاللَّهِ وَي<sup>(٤)</sup> نَصِيبٌ قَدْ رَفَعَتْ مِنْ شَوْقِهِ لَمْ غَابَ نَصِيبُ

وَالْأُمَمُ مِنَ الْحَسَرِ دُونَ شَرَابِ سُكَارَا  
وَالْعُيُونُ عَيُونٌ تَجُرُّ وَالْقُلُوبُ حَيَارَا  
وَالَّذِي ظَفَرَ مِنْهُمْ [مَرًّا] بِحَرْفٍ أَوْ دُبَارًا<sup>(٥)</sup>

يَجْعَلُوا فِي جَيْبِ<sup>(٦)</sup> عَسَى يَنْطَفَأَ وَجْدُ وَيَسْكُنُ وَجِيبُ

عُثِرَ كَرُ هَذَا الْحَادِثُ فِي الْفَلَكَ وَغَلَطَ  
سَقَطَتْ بِهِ الدُّنْيَا فَرْدَامٌ<sup>(٧)</sup> سَقَطَ  
يَسْتَفِثُ ذَاكَ الْمَوْلَى مِنْ سَهِيلٍ لَبَسَ<sup>(٨)</sup>

١. وطيّبوا : انبسطوا واسعدوا.

٢. يقصد السلطان المغتصب الملقب بالبرميخو

٣. يقصد السلطان الشرعي محمد الخامس الملقب بالغني بالله

٤. أرملا : أرمل

٥. وي نصيب : أين أجده

٦. رفعت : خزنت وادخرت

٧. دبارا : خيط

٨. أي في جيبه

٩. فردام : في ردم ويقصد هوة أو حفرة أو أنها فرد أم سقط أي سقطة واحدة

١٠. سهيل بلد قريب من مدينة خالقة وبسطة بلدة قريبة من وادي آش.

وَلَا مَنْ يُجِيبُوهُ اسْتَوَى الْوُطْنَ كُلُّوْ خَلْفَ مَعَ نَجِيبُوْ  
 وَمَرْضُ دِينِ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَادَ يَغْمُضُ  
 وَلَا مَنْ يَدُوقُ النَّوْمَ وَلَا مَنْ يَغْمُضُ  
 كُلُّ أَحَدٍ سَلَّمَ فِيهِ لِلْقَضَا وَفَوْضُ  
 حَتَّى جَا طَبِيبُوا فزَالَ الْأَلَمُ وَالْبُوسُ آلِي كَزْ يُصِيبُوا  
 بِمُحَمَّدِ الْمَوْلَى<sup>2</sup> عَزَّ دِينُ مُحَمَّدٍ  
 وَرَجَعَ بِهِ الْإِسْلَامُ كَمَا كَانَ مِنْهُدٍ  
 وَرَأَتْ بِهِ الدُّنْيَا مِثْلَمَا تَعُودُ  
 وَصَلْ وَغَابَ رَقِيبُ<sup>3</sup> وَسَعَادَةُ أَنْ تَبْقَى فِي عَقِبِ عَقِيبُ<sup>4</sup>  
 يَنْزِلُ الْفَرْجُ لَمَّا تَنْشَهُي الشَّدَايِدُ  
 وَلِلَّهِ فَهَوْلُ<sup>5</sup> النَّاسِ بِالْجَمِيلِ عَوَايِدُ  
 أَيُّ وَطَنٍ رَأَى قَصْدُ وَمَنْهَاهُ بَزَايِدُ  
 أَنْجَبَ غَرِيبُ وَالتَّحَفُ بَسْتَرُ اللَّهِ بِرِيهِ مَعَ مُرِيبُ  
 لَوْلَا شَفَقَةُ السُّلْطَانِ الْإِلَهِ يُعِينُ  
 مَا اجْتَمَعَ شَمْلُ<sup>6</sup> إِنْسَانٍ فِيهَا مَعَ يَمِينُ  
 وَمِنْ يَعْجَبُكَ دُنْيَاهُ أَوْ يَعْجَبُكَ دِينُ

1. لعل معنى يغمض الأولى : يموت، ومعنى الثانية ينام.

2. يعنى محمد الخامس النصري الملقب بالغني بالله.

3. يشير إلى قول بعضهم : غاب الرقيب لارده الله، والذي غاب هو البرميخو.

4. أي في عقب عقبه.

5. فهول : في هؤلاء.

6. شمل : شمال

فقيه مع خطيب قال للفنش نومتار<sup>1</sup> ياشنيور قطيبو<sup>2</sup>  
 قل للأندلس عني كن نزيـد بعدد<sup>3</sup>  
 ومن بعد ذا نرجع للوصل نجدد<sup>4</sup>  
 كيف نسيّتي بالحق وقد رت ترقـد<sup>5</sup>  
 الاله حسيبوا كل من يخون الفو أو يهجر حبيو  
 من لا يعرف النعم فزولها يرقب<sup>6</sup>  
 وفالـيس الكشفا بيض ولد تنقب<sup>7</sup>  
 ويندم لأمران فات وه رد يصعب<sup>8</sup>  
 ويريب حليبو ويرى مابي ولد ومابي ريبو  
 قد رجع بفضل الله المصوب لمولاه<sup>9</sup>  
 الله يلهمو شكور في الذي قد ولأه<sup>10</sup>  
 أي هني أي فرحا يا حبايب الله<sup>11</sup>  
 افرحو وطيبو قد مضى عدو الله وأنجبر حبيو<sup>12</sup>

1. الفنش Alonso، نومتار No malar أي لا يضر، سينيور Señor قطيبو cautivo أي الأسير.  
 2. يشير إلى الحكمة العظيمة : من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها.  
 3. شبه مثل، والفلايس جمع فلوس وهي صفار الدجاج  
 4. مابي : مابين

لا إله إلا الله



زجل صبري  
للفقيه عمر الماقي

طوفان  
الأرضي



- لعل أشهر زجال أندلسي في القرن التاسع الهجري هو الفقيه عمر، واسمه الكامل أبو علي عمر بن علي بن عمر الحاج السعيدي المالقي ميلادا ومنشأً الغرناطي سكناً. عرف به معاصره أبو يحيى ابن عاصم في الروض الأريض، قال «صاحبنا الكاتب البارع الخصل، المرهوب النصل، المليء بفنون الأدب نظماً ونثراً، وكتباً وشعراً، ومصنوعاً ومطبوعاً، ومرسلاً ومسجوعاً، وجدا وهزلاً، وتولية وعزلاً، لا أعلم أنني لقيت بعد الرئيس أبي عبد الله الشَّران<sup>(1)</sup> رحمه الله أبرع منه في الكتب والشعر، ولا أقدر منه على النظم والنثر<sup>(2)</sup>» وبعد أن وازن ابن عاصم بين الفقيه عمر والشَّران وفضل الفقيه قال إنه «أفرغ جهده في أن يتقدمه في المرتبة وأن يظهر عليه في الخصوصية بهذه المنقبة (يعني الزجل) فحبر الرسائل، وأنشأ إلى الروضة النبوية الوسائل وكتب مغرباً في الأساليب الظهائر، واخترع في الكتب السلطاني فنونا خالف فيها الطرق الشهائر، واختلق في التهاني القصائد، وابتدع في سني الأغراض المذهبات القلائد، وعطف بالقطع الفاذا، والمعاني المعهودة والشاذة<sup>(3)</sup>» ومما قاله أبو يحيى ابن عاصم في فصل من ظهير كتبه في حقه «لو تعلقت المعاني بالعنان لاستنزلتها بلاغته من صياصيتها، ولو استصعبت شوارد القوافي لأمكنته جزالته واقتداره من نواصيتها، فكأين له من مذهب سائرة في الآفاق، متلقة من البلاد الشاسعة على ألسنة الرفاق، ولانوع من أنواع الألب إلا وقْدَحُهُ فيه المعلى، وتاجه من أصناف يواقيته المحلّى<sup>(4)</sup>».

1. انظر ترجمته في نيل الابتهاج : 311 وأزهار الرياض 1 : 116، 133، 145. ورحلة القلصادي : 43  
 وجنة الرضي 3 : 70 وروضة الاعلام 172 مخطوط الخزانة الحسنية وشجرة النور الزكية : 248  
 2 روضة الاعلام لابن الأزرق 2 : 592 - 594 تحقيق سعيدة العلمي.  
 3 نفسه.  
 4 نفسه.

وقد كان اسم الفقيه عمر في زمنه كافيا لمعرفة من المقصود، وبقي الأمر كذلك إلى عهود متأخرة ففي القرن الحادي عشر الهجري، كانت شهرة الفقيه عمر وأخباره ماتزال من مواضيع الأسمار الأدبية كما يقول المقرئ الذي وصف الفقيه عمر بالأديب الشهير وقال فيه أيضا «فهو أشهر من نار على علم»<sup>(1)</sup> وقد حُلِّي في مقدمة قصيدته المسماة بفراجة الكرب، في مدح سيد العجم والعرب بما يلي «قال الشيخ الفقيه الرئيس البليغ المنشئ المبدع المخترع الشاعر المفلح الناظم الناثر الكاتب البارع المجيد»<sup>(2)</sup> ولعل المقرئ الذي وقف على عدد من آثار هذا الأديب يزكي النعوت المذكورة إذ يقول «وكلام المذكور كثير، ومحلّه من عذوبة المنطق أثير.. وله عدة تأليف أكثرها هزلية ويقول أيضا «وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند العامة محفوظة»<sup>(3)</sup> ولم يصل إلينا من هذا كله إلا القليل كمقامته التي سماها بتسريح النصال، إلى مقاتل الفصال<sup>(4)</sup> وهي تشتمل على نثر وشعر في السخرية والاستهزاء بأحد أدعياء التصوف بغرناطة في وقته.

وقد أوردها المقرئ في نفح الطيب وفي أزهار الرياض وقال : «وأثبتها لأنها أخف مارأيت من هزليات الفقيه عمر المالقي»<sup>(5)</sup> وأثبت له كذلك مقامة في أمر الوباء<sup>(6)</sup> وهي شبه مفاخرة بين مالقة وغرناطة وقد أشرت قبل قليل إلى قصيدته المسماة بفراجة الكرب في مدح سيد العجم والعرب، وهي مخطوطة تقع في مائتين وثلاثين بيتا مطلعها :

1. أزهار الرياض 1 : 116

2. من مخطوط خاص.

3. أزهار الرياض 1 : 132

4. انظرها في أزهار الرياض 1 : 116-124

5. أزهار الرياض 1 : 116

6. انظرها في أزهار الرياض أيضا من ص 125 إلى ص 132 وفي آخرها أن الفقيه عمر كتبها بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مائة

قُلْ لِّلْوِلْدَانِ تُصْبِرُهُ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ يَدْبُرُهُ

وقد سار فيها على نهج المنفرجة لابن النحوي ونظمها على غرار بحره .

وهي تذكرنا كذلك بخبيبة الحصري التي عارضها كثيرون :

ياليل الصب متى غده اقيام الساعة موعده

وأما الأزجال التي اشتهر بها الفقيه فقد كانت كما يقول المقرئ - عند العامة - محفوظة وعند الخاصة مرفوضة<sup>1</sup> ولسنا ندري هل دونت أم تركت للرواية الشفوية حتى ضاعت، ونعرف أن بعضها كان يتغنى به في النوبات الأندلسية يقول الغساني في معرض حديثه عن الشجر المسمى في الأندلس والمغرب بديدي «وقد ذكره الفقيه عمر كثيرا في أزجاله وغنى عليه وتغزل فيه بأشعار لجمال منظره وغرابة شكله وملاحة نوره. فمن ذلك قوله في زجل من رمل الماية بديع الصنعة والحلية :

غَرْنَاطًا فِتْنًا لِلْبَشَرِ      آخِرَ النَّهَارِ      وَزَهْرَهَا يَبْدِي

قُرْبَ وَصَلٍ وَعُنْدِي

وَالْحَمْرَا وَاجِبٌ تَنْذَرُ      مَعَ الدَّشَارِ      مَغَانِيهَا تَبْدِي

زَيْنَتْ بِخُلْدِي

وَاطِّرَافِ الثَّمَارِ      قَدْ زُخِرَافُ الْجُنَارِ

أَصْفَرِ وَأَخْرَ دِيْدِي      خَلْفُونِي وَعِيْدِي

الْبَنْفَسَجِ حَيْزِ يَبْدِي      مَا أَعَزَّ عَلَيَّ كَبْدِي

مَا أَنِي وَحْدِي<sup>2</sup>

1- عندي منها مخطوطتان

2- أزهار الرياض 1: 116

3- حبيقة الأزهار للغساني 84

ومما نحسبه من أزجاله ما يتغنى به في ميزان قدام العشاق :

يَعْجَبُنِي الْمِدَامُ فِي الْكَاسِ لَوْنُهُ قَدْ رَجَعَ وَرَدِي  
وَفَاحِ الزَّهَرِ وَالْأَسْرِ وَالْخَيْلِي مَعَ الدِّيدِي  
وَصَبِيَانِ صِفَارِ جَالَسِ بِهِمْ يَنْكَمِلُ سَعْدِي  
رَاعِ يَا مَلِيحُ رَاعِي رَاعِ صُحْبَتَكَ مَاعِي  
وَأَعْمَلُ لَا يَجُوعُ الدِّيبُ وَلَا يَقْبِضُ الرَّاعِي<sup>(1)</sup>

ومما نقدر أنه من أزجاله ما يتغنى به في ميزان قائم ونصف الاستهلال :

وَحُسْنُكَ اشْتَهَرَ فِي غَرْنَاطِهِ وَحَدَّكَ يَازِينَ الصَّفَارِ  
فَقُمُ فِي السَّحَرِ تَسْقِي الْمَلَّاحَ يَدَكَ كُؤُوسَ الْعَقَارِ  
وَحِينَ تَقُومُ فِي السَّحَرِ يَشْرِقُ ضِيَا حَدَّكَ كِدَارَةُ الْقَمَرِ  
يَخْدَمُنِي نَصِيبُ بَوَصْلِ الْحَبِيبِ وَعِيشِي يَطِيبُ  
وَدَعِ الرَّقِيبُ فِي قَصْدِهِ يَخِيبُ عَن بَصْرِي يَغِيبُ<sup>(2)</sup>

وله زجل مخطوط تصريح فيه باسمه وكتب ناسخه في أوله : «صباحي  
للفقيه عمر رحمه الله» وسنثبته هنا، وهو في موضوع الصبوحيات  
المعروفة في الموشحات والأزجال<sup>(3)</sup> وفيها يمتزج وصف الطبيعة في  
الصباح بالتغزل وشراب الصبوح، ولا يختلف هذا الزجل الصباحي عن  
الموشحات الصبوحية التي نجدها مثلاً في ديوان ابن زمرك<sup>(4)</sup> إلا في  
الإعراب وبعض الألفاظ وهو على كل حال مثال للزجل الأندلسي في القرن

1. كناش الحايك : 94 من وحي الرباب : 141.

2 نفسه 121 ومن وحي الرباب : 154

3 مثل صبوحيات ابن زمرك والمدغري وصبوحي ابن علي.

4. ديوان ابن زمرك 538.

التاسع الهجري الذي لم يتحدث عنه المؤرخون<sup>(1)</sup>. كما أنه وصَّبوحه شابهما بعض الغموض لدى المعنيين بهذا الموضوع فالدكتور عباس الجراري في كتابه القصيدة أورد طرفاً من هذا الزجل ونسبه إلى الزجال المغربي محمد بن علي بوعمر<sup>(2)</sup> والأستاذ محمد الفاسي ترجم في الملعة لمن اسمه الفقيه عمرو وقال : « لا أدري شيئاً عن هذا الشاعر سوى أنه تنسب له قصيدة يلحنها مطربو الآلة وتسمى صبوح الفقيه عمرو وقفت عليها في كناش قديم ولا يعرف إلا بالفقيه عمرو<sup>(3)</sup> ولعل هذا الذي كتبناه حول الفقيه عمر وزجله يجلو ما كان حوله من غموض وإبهام.



1. أنظر كتاب الزجل في الأندلس للدكتور عبد العزيز الأهواني ص 120

2. القصيدة - 379

3. الملعة ج 2 ق 2 ص 311

## صَبُوحِي لِلْفَقِيهِ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ\*

فَاحِ الْوَرْدَ وَالسُّوسَانَ مَبَيِّنَ الْغُصَّانِ وَرَشَّ النَّدى الرِّيحَانَ  
فَقَمِ يَأْنَدِيمَ عَجَلَانَ تَرَى الصَّبْحَ بَانَ وَأَمْلَأَ الْبَاجِ وَالْقُطْعَانَ  
وَقُلْ لِلصَّبَّاحِ أَهْلًا وَوَجِدْ مُنْقِلًا \* \* \* مُدَسَّرَ سَمَرَةِ الدُّبَالِ  
وَأَنْظُرِ الْفَجْرَ يَجْلِي كَسَاتِ حُلَا حِكْمَةِ الْمَوْلَى  
دَابَّ هُوَ الْمَدَامُ يَحْلِي أَمْلَأَ الْكَاسَ مَلَا نُدَاوِمَ مِنَ الثَّمَلَا

يَقْطُ غُيُودَ الْحَالِ وَالنَّائِمِينَ جُمْلًا  
لِلْبَاجِ وَالْقُمْصِيَّالِ<sup>7</sup> وَالْأَبْرِقِيِّينَ أَمْلًا  
جُنْدَ الظُّلَامِ قَدَمَالٍ مَهْزُومٍ مِنَ الْقِيَلَا

جَيْشَ الصُّبْحِ جَاعِجَلَانَ جَرَدَ بِالسَّيَّانِ وَجِدَّ سَيْفَ الْإِمِيدَانِ  
وَاللَّيْلَ انْهَزَمَ دَهْشَانَ وَتَرَحَّلَ وَبَّسَانَ دَابَّ صَابَ لِي السَّلَوَانَ

كَاسُ الزَّفَرِ<sup>8</sup> أَيَا مَزَاجٍ أَمْزُجُ فِي الزُّجَاجِ لَنِّي بِهِ كَثِيرُ مُحْتَاجٍ

\* اعتمدت في نشر هذا الزجل على ما ورد في مخطوط مصور بالخرانة العامة وأمدني الأخ الدكتور عبد الملك الشامي مشكوراً بصورة نسخة أخرى منه توجد في المعهد الموسيقي بفاس وذكر الأخ الدكتور عباس الجراري أن عنده نسخة من هذا الزجل

1. الباج : الكاس الكبير.  
2. القطعان : جمع قطع وهي زجاجة يوضع فيها الشراب.  
3. منقلا : منقلة وردت في VOC مع المرادفات التالية : مائدة، مائدة سفره، طيلة، تيفور وهي التي يوضع فيها النقلة وقد وصفها ابن جبير فقال :

أنا للتبداهي نَزَمَةُ الِيسْتَمَعَ  
ما في موضع لِحْظُوْةٍ إِلَّا احْتَبَوِي  
أَبْرِمُ تَطْيِيلَ الشَّكْلِ إِلَّا أَنِّي  
فَمَتَى يَكُنْ أَنَا وَالْجَوَانُ يَمْجَلِسُ  
الْفَضْلَ لِي وَإِنْ اشْتَبَهَتْ مِنْفِيَا

4. يبدو أن هذا نعت للمنفقة أي أنها مسدسة والدلالة - بضم الدال - الربة ومعناها الزجاجة والقفية.  
وهي كلمة إسبانية dubla ومن الواضح أنه يدعو نديعه إلى إعداد انبة الشراب  
5. وداب : الآن.

6. غيود : جمع غيداء، وجملا : جملة أي جميعا.

7. القمصال الإبريق الكسر والباج الكاس الكبير، وقد تقدم والأبرقن الإبريق، والقبلا القببة وهي جهة الجنوب

8. الزفر : الشراب الثخين، لني : لأنني

نَبَّهَ جُمْلَةَ الْأَغْنَاجِ ذَوَاتِ الدَّبَاجِ يَرَوْنَ انْهَزَامَ الدَّاجِ  
وَالْعُودُ تَتَّبِعُ الْأَرْزَاجَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لُجَاجٌ وَعَلَيْهِنَّ رَبَابٌ يَهْرَاجُ

نَبَّهَ غُيُودَ التَّجَاجِ لِلْفَرَحِ وَالْفُجْرِجِ  
بِثِّيَابٍ مِنَ الدَّبَاجِ سَبَّلُوا عَلَيْهِ دَهْجِ  
هَيْفَاتٍ خُشُوفٍ أَحْرَاجٍ يَسْبُو لِي الْمُهْجِ

إِذَا يَنْصَقُوا بَيَّانَ خَشْمَانِ بِالْمَكَانِ يَتَلَقَّوْا بَفَرْدِ إِنْسَانِ  
نَسْتَغْفِرُ عَظِيمَ الشَّانِ نَقُولُ لَكَ عِيَانِ حُورِيَّاتٍ مِنَ الرُّضُونِ

هَيْفَاتَ طَبْعِهِمْ مَطْبُوعٍ يَنْشِدُوا لِلطَّبُوعِ يَجْلُو الْعَطَشُ وَالْجُرْعُ  
إِنْ كَانَ شَمْلُهُمْ مَجْمُوعٍ يَزِيدُكَ بَدُوعٍ فَصَنَافُ الْغِنَا وَادْفُوعُ  
إِذَا نَادَمُوا الْمُلُوعُ يَزِيدُوهُ خُشُوعُ وَيَلْزَمُ بَكَ وَدُمُوعُ

وَحَدَّ تَدِيرٍ اقْطِيعِ<sup>10</sup> وَتَشْمَرُ الْقَنْعِ<sup>11</sup>  
وَتَدُورُ بِالتَّرْبِيعِ وَتَجَسَّوِبُ الْجَدْعِ  
تَنْطَقُ بَلْفَظٍ سَرِيعٍ لَهَا الْقُلُوبُ تُسَدِّعُ

1. الأغناج : ذوات الفنج والدلال: والدباج = الديباج.

2. الداج : الليل والظلام.

3. الأرناج : الاصناج جمع صنج آلة موسيقية. ويهراج : يحدث الهرج.

4. هيفات : جميلات، جمع هيفاء.

5. خشوف: جمع خشف أي الظبية الصغيرة والأحراج : الأشجار الملتفة.

6. فرد إنسان : إنسان واحد.

7. الطبوع : الانغام والطبوع الموسيقية معروفة.

8. وبدوع : إبداع، فصناف : في أصناف، وادفوع : ودفوع ويبدو أنه اصطلاح موسيقى.

9. الملوع : أي المولع.

10. اقطيع : القطيع : أنية الشراب.

11. القنع : القناع.

12. التربع لعله الدف المربع، والجدع = الجدعة أي الفتاة القوية



تُسَبِّى الْعَاشِقُ الْهِيمَانَ بِصَوَاتَا حِسَانَ مَهْمَا رَنَّوَا الْعِدَانَ  
وَحَمَرَ مُخْتَلَفَ الْأَلْوَانَ لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ صَبْهَا كَانَهَا عَقِيَانُ

خَمَرَ تَشْتَعِلُ فَالْكَاسُ تَذْهَبُ كُلُّ بَاسٍ تَشَعْلُ كَانَهَا نِيرَاسُ  
تَتَنَوَّعُ عَلَى الْأَجْنَاسِ مَا فِيهَا دَلَّاسٌ<sup>١</sup> بِهَا طَابَتْ الْأَنْفَاسُ  
دَوَاهَا فَلَا يَقَاسُ مَالَهَا قِيَاسُ هِيَ تَشْرَحُ الْجُلَاسُ

\* \* \*

أُتْطَرَّدُ التَّكْبِيسُ<sup>٢</sup> وَتُزُولُ الْوَسْوَاسُ  
مِمَّا صَنَعَ يَبْلِيسُ<sup>٣</sup> الْمَارِدُ الْخَنَّاسُ  
لِلدَّالِيَا تَاسِيسُ<sup>٤</sup> أَجَلٌ مَا يُغْفَرُاسُ

\* \* \*

أُنْظُرْ شَجَرَةَ الرِّيحَانِ مَعَ الْخَيْزُرَانِ وَالتَّفَّاحِ مَعَ الرُّمَانِ  
إِذَا هَمَّتْ فِي الْبُسْتَانِ الْعِنَبُ يُصَانُ غَضُّ عَلَى الشَّجَرِ سُلْطَانُ

خَمَرَ تَشْرَحُ الْأَخْيَارُ أُتْطَرَّدُ الْأَغْيَارُ تَجْلِي النُّكَدُ وَالْأَكْدَارُ  
مِنْ عَهْدِ السَّلَفِ تُذَكَّرُ بِالْوَاجِبِ تُدَارُ عَلَى جُمْلَةِ الْحُضَارِ  
هِيَ غَايَةُ الْأَسْرَارِ وَفِيهَا شَرَارُ تَشَعْلُ كَجِمَارِ النَّارِ

تَارَ تَكُونُ صَفْرًا فَالْكَاسُ حِينَ تُبْصَرُ  
وَعَلَى الْخُدُودِ تَنْرَا نَوْعًا مِنَ الْعَكْرِ  
بِهَا الْعَلِيلُ يَبْرَا إِنْ كَانَ سَقِيمٌ مُضَرُّ

١. دلاس : دلس وتدلّيس.

٢. التكبيس : الهم والضيق.

٣. يبلّيس : إبليس.

٤. الدالية : شجرة العنب.



هي صَنَعَةُ الشَّيْطَانِ أَبَدَعَهَا وَخَانَ فِيهَا مَنْفَعُ الْإِنْسَانِ  
إِلَّا أَنَّهَا عَصِيَانٌ وَكَفَّ قَالَ فِي الْقُرْآنِ مَوْلَانَا غَفُورٌ رَحِيمَانُ

يَا مَنْ هُوَ لَبِيبٌ يَذْرِي \* \* \* بِأَلْكَ تَزْدَرِي أَفْهَمَ مِنْ لَغَاتِ شِعْرِي  
أَجْزُ الْوَرْدِ وَالنَّسْرِي مِنْ رَوْضِ الْيُسْرِ وَالْيَاقُوتُ مَعَ الدَّرِّ  
وَأَجْلِسُ لِلْمُدَامِ بَكْرِي وَانْفِقْ وَاشْتَرِي قَالَ الطَّالِبُ الْعُمَرِيُّ<sup>1</sup>

نُوصِيكَ أَيَا خَمَّارَ لَا تَبْخَلَ عَلَى الْحَضْرَا  
أَفْهَمَ لُغَا الْأَوْتَارِ وَاعْطُفْ عَلَى النَّقْرَا  
قَالَ الْأَدِيبُ أَعْمَارُ<sup>2</sup> آلٌ عَلَى الشُّعْرَا

سَمِعْنَا عَلَى الْأَعْيَانِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانُوا يَمْدَحُوا الْإِحْسَانَ<sup>3</sup>  
وَالْيَوْمَ نَمْدَحُ الْإِنْسَانَ وَنَقُولُ ذَا فَلَانٍ سَاعَ يُوجَدُ عَجْزَانُ

\* \* \*

اصْغَ غَايَةَ التَّرْتِيبِ يَا مَنْ هُوَ لَبِيبٌ لَكَ فِي النَّاسِ عَدُوٌّ وَحَيْبٌ  
تَمْدَحُ مَنْ تَظُنُّ نَجِيبٌ وَتَقُولُ ذَا حَبِيبٌ تَرَى السَّعْدَ فِيهِ يَخِيبُ  
وَمَنْ هُوَ لَبِيبٌ حَسِيبٌ فِي ذَا الْجِيلِ غَرِيبٌ هَذَا حَقٌّ بِلَا تَكْذِيبُ

1. العُمَرِيُّ العُمَرِيُّ هُوَ صَاحِبُ الزُّجَلِ وَالنَّسْبَةُ إِلَى عُمَرَ جَدِّهِ وَقَدْ سَمِيَ بِهِ وَحُرِفَتْ إِلَى الْعَشْرِيِّ فِي بَعْضِ النُّسخِ

2. أَعْمَارُ : عُمَرُ وَهُوَ اسْمُ الزُّجَلِ.

3. لَعَلَّهُ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ  
النَّاسُ أَكْبَسُ مَنْ أَنْ يَمْدَحُوا رَجُلًا مَا لَمْ يَرَوْا عِنْدَهُ أَثَارَ إِحْسَانٍ.

نَجْمُ الشَّامِ قَدْ غَابَ عَنَّا صَحِيحٌ وَخَبِيرٌ  
وَتَبَدَّلُوا الْأَسْبَابَ صَارُوا الْكِرَامُ تَرِبُ  
وَكَذَلِكَ الْأَصْحَابُ لَا تَأْمَنُ الصُّحُبَا

نَحْلِفُ لَكَ عَظِيمَ إِيْمَانٍ حَقِّيْقٍ بِالْبَيَّانِ مَا نَمْدَحُ وَلَا إِنْسَانٍ  
سِوَى سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ وَمَا نَقْلُ عَلَى السُّلْطَانِ

\* \* \*



1- أي أنهم ماتوا

2- هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وللغيبه عمر فيه مدائح ورسائل وجهها إلى روضته، ولدينا قصيدة سمها فراجة الكرب في مدح سيد العجم والعرب شتمل على 226 بيتا وقد قالها الفقيه عمر لما حوصرت غرناطة ذات مرة، والثقلان : الإنس والجن، وفي الأصل : الثقلين

3- في نسختنا السلطان وفي نسخ أخرى السلطان وبعد هذا الزجل في المخطوطة المصورة بالخزانة العامة زجل عى وزنه للفقيه عبد القادر المنون في مدح الرسول عليه السلام



صورة من نسخة خطية من صبري  
الفقيه عمر الزجال

# صورة القديس جرجس

جراح الزوراء والشوستان • ما بين الفصاة • ورثر النداء الرخاء •  
جفم يلد يدبع بخلًا • تتر الصلح بان • املا البلاج والفضاء •  
فعل للضاح اهلا • روجد منغلا • سيد شرسعة الزجلا •  
انظر كالج بفسلا • كسات يفسلا • حكمت القسولا •  
ما اب هو المسداع بخلًا • املا الكاشملا • فعا اوج من القسلا •  
يفض بيوة الخلال • والند يمين جملًا •  
• لبلج والغضال واللبن جين املا •  
• جند الضلع خذوا من القسلا •  
جيش الصي بما بخلان • جرد بالبين • وجبة سيف للمدان •  
والبلانق • تتر جلا ونا • طاب كلام لا اسلموا •  
كاسر النجر انا مزج • اضرح الزجاج • لفة كين مختار •  
نبه جملة اللعنار • طوك الزلج • يزر الانق الزلج •  
والقود تتبع اللزنج • ما ينجر للاح • وغلبهم ربك بخرار •  
نبيه غيوة التاج • لا فاج • الغاب •  
تنبلا من الزلا • سبلار اعلمت •  
هبولت شاور الداج • يسوا اليه الشو •  
لما اتيكفرا نبهات • تفرار بالدا •



زجل المصري  
لابن عبود الفاسي

- كنت متشوقاً للوقوف على قصيدة الحربي لإثباتها ضمن هذه المختارات من الأزجال التي قيلت في أحداث تاريخية، وقد قويت رغبتني في الحصول عليها عندما وجدت المرحوم الأستاذ الفاسي يقول في الجزء الثاني من معلمة الملحون : «وقد نشرت قصيدة الحربي هذه في روائع الملحون في الجزء الثاني من معلمة الملحون»<sup>(1)</sup> ولما رجعت إلى هذا الجزء وجدته يشتمل على سبع وستين قصيدة كما ورد في تقديمه ولكن لا توجد بينها قصيدة الحربي، وقد كان الأستاذ الفاسي أشار قديما في محاضرة له منشورة إلى هذه القصيدة وقال : «لذلك كانت أقدم قصيدة بلغتنا عن طريق الحفظ والكنائش القديمة هي قصيدة الحربي للشاعر ابن عبود وهو من أهل فاس كان أيام الوطاسيين وكان مع سيدي عمرو الوطاسي قائد الجيوش الوطاسية في وقعة تادلة بين أحمد الأعرج السعدي وأحمد الوطاسي وهي التي أسفرت عن اعتراف الوطاسيين بسيادة السعديين على الجنوب، وهذه القصيدة في وصف هذه المعارك وتاريخها سنة 953هـ (1536م) وقد ظهر فيها هذا التطور الذي أشرت إليه أنفا فهي تحتوي على عروبيات ونواعير ولكل قسم قوافيه الخاصة، وقد أشار صاحب الاستقصا لهذه الوقعة قال «قد أنشدت فيها قصائد الملحون»<sup>(2)</sup> أما نص كلام الناصري فهو كما يلي : «هذه الوقعة من أعظم الوقعات التي كانت بين الوطاسيين والسعديين، وما زالت العامة تتحدث بها في أنديتها إلى الآن ويبالغون في وصفها والإخبار عنها، وقد ذكرها شعراؤهم في أزجالهم الملحونة وهي محفوظة فيما بينهم»<sup>(3)</sup>.

1. معلمة الملحون ج 2 ق 2 ص 49 (990)

2. مجلة البحث العلمي ع 1. أس 1. أومجلة نطوان ع 9 ص 12

3. الاستقصا 4 : 372 (ط. 2001).

وقد ساق الدكتور عباس الجراري كلام الأستاذ الفاسي السابق وعقب عليه بقوله : «أما القصيدة - ولم يذكرها الأستاذ الفاسي - فهي التي يقول الشاعر في أولها :

مال الخيل الذي اختلط فميذان صكت هاذي لذي وهاذك لهاذي  
والغبراعمدت اكسات اعلى التيجان حتى عاد النهار غالس فرصادي

وقال بعد هذا إنه لا يوافق الأستاذ الفاسي في اعتبار هذه القصيدة أقدم ما وصل إلينا وإن كانت تعتبر من النصوص الأولى للزجل في الشكل الذي بدأ يستقر عليه في القرن العاشر الذي يعتبر بداية مرحلة جديدة لهذا الزجل وليس بداية له لأنه عرف بالمغرب في زمن الموحدين وازدهر في عهد بني مرين، وبعد أن سرد أسماء الزجالين في هذين العهدين وقف وقفة مفيدة عند مولاي الشاد وعبد الله بن احساين وتلاميذه ومن هؤلاء من كان قبل ابن عبود<sup>(1)</sup>.

ولعلي فهمت من عدم كلام الدكتور عباس على قصيدة ابن عبود ومن أجوبة من سألتهم عنها أنها لا توجد إلا عند الأستاذ الفاسي الذي يقول في المعلمة : «وهي عند مولاي المهدي<sup>(2)</sup>».

وبينما كنت أتصفح بعض مجاميع الملحون في الخزانة العامة إذا بي أجد قصيدة الحربي في المجموع رقم 594 ج وهي مكتوبة بخط حسن ويبدو أنه قديم، ولم يعن ناسخ القصيدة بترتيب أبياتها وإنما اكتفى بوضع علامة في آخر كل شطر، وهي تتميز بتنوع قوافيها، وهذا التنوع هو الذي وضع له المتأخرون مصطلحات القسم والعروبي والحربة والناعورة والكرسي أو الردمة وغير ذلك، وقد صاروا يكتبون القصائد

1- انظر القصيدة من ص 534 إلى 585.

2 ذكر الأستاذ الفاسي هذا الرجل في المعلمة أكثر من مرة. انظر المعلمة 2/2 . 310



على هذا الأساس، ولكني سأثبت القصيدة كما كتبت في النسخة الخطية، وهي تفتتح بمطلع من بيتين يتكرر مثل عددهما وقافيتهما في آخر كل قسم، وقد اشتملت على 9 أقسام وفي لغتها ألفاظ عديدة من عامية ذلك العصر سأشرح بعضها في آخر القصيدة. وفيها وصف حي لمشاهد المعركة التي كان الزجال حاضرا فيها فهو يقول :

من دون أرواح ريت فالرحبا كسدات.

ويقول : هذا الحرب الكبير عمري ما ريت.

ويشهد وصفه لهذه الحرب أنها كانت حامية الوطيس وقد استمات فيها كل فريق من المتحاربين إذ كانا معا حريصين على النصر أو الموت، أقسماعلى ذلك بالأيمان المغلظة :

حلفت هذي لذيك بمهالك ليمان

ليس يوقع افذا المسلا ردادي

حتى يتخلص المدين من المديان

ويعود الدم بينا مثل الوادي

وحلفت ذيك لا خرى وقالت ما فيها

إلا ضرب الحسام فرغ اليوم الفيش

لمن هي اليوم يدنا لها

ما زدنا للخلود يكفي من ذا العيش

وترى لجواد يندهو لها لها

واختلط يا لطيف لطم الجيش الجيش

وهكذا قامت سوق الحرب، والشاعر يشبها بسوق تقليدية فيها باعة ومشترون ودلال يتردد بينهم بالسلعة التي هي الأرواح :

عَمَلُ فالحرب سُوق راتِعُ      فَا رِواحِنُ تَدْخُلُ ادْلالاً  
ما تَسْمَعُ غَيْر طُوفٍ وَا رَجَعُ      لا مَن يَشُورُ عَلى المَسالاً  
وَتَلْاقُ مُشْتَرِي وَبائِعُ      ما طَلَبْتُ ذِي لَذِي امْقالاً

وقد أطنب في وصف مناظر جثث القتلى التي انتشرت في ساحة المعركة وشبها بالمط والغمار (أي الأكوام) في الفدان زمن الحصار :

لبطال فالارض كنّ المَطُ      هذي لذيك جرت الخط

ويقول في موضع آخر :

وابْدانُ امْحَرَجاً تَطيرُ بلا يَدَيْنِ      والرُّوسُ امْحَرَفاً على حد الدركات  
هذا مَجروحٌ ذا مَضِيعٍ ذاك يَنِينُ      هذا مَزْويٌ وذا مودَعٌ هذا مات

ويقول أيضاً :

ذاك موهنٌ وذاك طايحٌ      لَبَطالُ حروبها اصْضَعاً  
الموتى باقيا احويزا      اتقول غمار فاتويزا ما طلبت ذِي لَذِي امريزا  
ويقول كذلك :

هذا من ضَرَبَتُ امْكَندَسُ      لَخَرٌ مِنْ سَرَجُ امْكَرَدَسُ  
هذا فامْصارنُ مَعْفَسُ

كما وصف الخيل التي هلكت في المعركة على اختلاف ألوانها وقال :

وما بقا من امشهر      اشهب ازيتي ولخضر      العش بقا والحباري

واصفى وادناس والبحر وبقى نحاسي وغمري ولدهم بقافا محاري  
وبقى البلحي والعقيقي والنعمان وبقى الفوطي مع لزرق حجر الوادي  
وابقى البركي فاسمر للغربان نوار الفول والحديد والرمادي  
ومن الأبيات المؤثرة في هذه القصيدة تلك التي يخاطب فيها محارب  
صاحبه وهو يقدم على الموت قائلا :

ينده في صاحب ويقول اواه افلان هذا حد العمر ووفى ميعادي  
بلغ لاهلي اسلام وحكي شايب كان يعطو مهر المرا ويدو اولادي

وقد خصص الزجال القسمين الأخيرين من قصيدته لممدوحه الوطاسي  
مولاي عمرو بن زيان حفيد يحيى بن زيان بن عمرو فوصف شجاعته  
وفرسه وأهدى إليه قصيدته ثم سمى نفسه وختم بالصلاة على رسول  
الله. وهذه القصيدة في حاجة إلى تحليل واسع، وهي مليئة بالألفاظ  
الغريبة العامية المغربية وسنشرحها إن شاء الله في مسرد لغوي، وها  
هو نصها :

مَالُ الْخَيْلِ الَّذِي اخْتَلَطُ فَلِيدَانُ صَكَّتْ<sup>(1)</sup> هَذِي لَذِي وَهَازِيكَ لَهَادِي  
وَالْغَبْرَا عَمَدَتِ كَسَاتِ عَلَى التَّيْجَانِ حَتَّى عَادَ النَّهَارُ غَالَسَ<sup>(2)</sup> فَرَصَادِي<sup>(3)</sup>  
صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى طَهِّ الْعَدْنَانِ مُحَمَّدٌ شَافَعَ أُمَّتْ فَاَلْمِيعَادِ

\* \* \*

مَالُ الْخَيْلِ الَّذِي نَرَاهَا تَتَزَلَّفُ بَعْكَادُ<sup>(4)</sup> امْحَرَجَا<sup>(5)</sup> لِلْحُرُوبِ الدَّنَاتِ  
وَاشْنَدَ<sup>(6)</sup> بِالْبَنُودِ فَالْجَوِ اتَرَفَرَفَ وَغَوَابَطُ<sup>(7)</sup> وَاقْتِيرُ مِنْ خَلْفِ الصَّكَاتِ<sup>(8)</sup>  
وَعَوَادِ الزَّانِ فِي عَلَى ذِي تَتَرَفَفَ وَاخْبَطُ الصَّارِمِ الْمَهْنَدِ بِالضَّرْكَاتِ<sup>(9)</sup>  
صَالَتْ هَذِي لَذِيكَ بِالْعَكْدِ الصَّائِلِ وَطَرَّارْدُ<sup>(10)</sup> فَاسْمَا تَحُومَ وَاشْنَائِيلِ<sup>(11)</sup>

اتَقُولُ اجْرَادَ دَازَ رَاحِلَ فَانْكَوَأَفَلْ<sup>(12)</sup>

تَنْضَرُ لَمْصَفَحَاتِ تَلْمَعُ<sup>(13)</sup> وَاقْلَمَنْ<sup>(14)</sup> كِنَّهَا نَجُومُ  
وَاطْبُولُ اسَواطِهَا<sup>(15)</sup> اتْفَرَّكَعَ وَاشْنَائِيلُ فَالْسَّامَا تَحُومُ  
وَيَنَادِ صَاحِبَ الشَّلْعَلَعِ<sup>(16)</sup> يَنْدَهَ لَجُوَادُ وَيَنْهُومُ<sup>(17)</sup>  
يَنْدَهَ فَالْمَسْتَحِي عَلَى الْعَارِ مَزْ هُوَ لَيْتُ كُلَّ صَبَّارُ  
بِالنَّدَاهَا<sup>(18)</sup> يَرْتَمِي عَلَى النَّارِ النَّارُ صَاحَتْ عَلَى النَّارِ  
نَارُ الْحَرْبِ أَيْلَهَا نَارُ تَشْعَلُ أَبْدَغُ اصْوَارِمِ<sup>(19)</sup>  
مَا يَلَّهَا<sup>(20)</sup> كُلُّ صَبَّارُ وَالْهَنْدِ<sup>(21)</sup> تَرْمِي بِلَشَّرَارُ

بَيْنَ الْيُوتِ ادْرَاغَمِ<sup>(22)</sup>

حَلَفْتُ هَذِي لُذِيكَ بِمَهَالِكِ لِيْمَانُ      لَيْسَ يَوْقَعُ أَفْدَا الْمَسَلَا رِدَادِي<sup>(23)</sup>  
 حَتَّى يَتَخَلَّصَ الْمَدِينُ مِنَ الْمَدِيَانُ      وَيَأْجُودُ الدَّمُ بَيْنَنَا مِثْلَ الْوَادِي

\* \* \*

حَلَفْتُ دِيكَ لُخْرَا وَقَالَتْ مَا فِيهَا      إِلَّا ضَرْبُ الْحَسَامِ فَرَّغَ الْيَوْمَ الْعَيْشُ<sup>(24)</sup>  
 لَمَنْ هِيَ الْيَوْمَ يَدْنَا فِيهَا      مَا زِدْنَا لِلْخُلُودِ يَكْفِي مِنْ ذَا الْعَيْشِ  
 وَتَرَا لَجَوَادُ يَنْدَ هُوَ لِيهَا لِيهَا      وَاخْتَلَطُ يَالطِّيفُ لَطَمَ الْجَيْشُ الْجَيْشُ  
 وَاخْتَلَطُ يَالطِّيفُ بِضَرْبِ الشَّفَرَاتِ      أَجْرَا الدَّكُّ بِالْعَدَدِ وَالْحَرْبَاتِ<sup>(25)</sup>  
 وَجَمَا جَمَ طَيْرَ عَلَى حَدِّ الْكَسَدَاتِ<sup>(26)</sup>

عَمَلُ فَالْحَرْبِ سَوْقُ رَاتِعُ      فَارَوَاحِنُ تَدْخُلُ ادُّلَالَا  
 مَا تَسْمَعُ غَيْرَ طَوْفٍ وَارْجَعُ      لَا مِنْ يَشْوَارُ عَلَى الْمَسَالَا  
 وَتَلَاقَ مَشْتَرِي وَبَايَعُ      مَا طَلَبْتُ ذِي لُذِي امْقَالَا  
 هَذِي تَنْدَه وَتَقُولُ لَا لَا      الْيَوْمَ الْيَوْمَ لَا مُحَالَا

نورُ الحربِ للعِگَالِ

لَقَمَاطُ<sup>(27)</sup> حَلَّتْ بِالْقَمَاطِ      حَسَّ الْبَطِ اطْرَافُ لَلْمَاطِ

مَتْرَادَفُ ذَا عَلَى ذَا

اطْجِيجُ<sup>(28)</sup> وَاخْبِيطُ وَاعْيَاطُ      وَاشْتَبَكُ رُسُ لَمْشَاطُ<sup>(29)</sup>

اشْتَبَكَتْ هَذَا افْهَذَا

هَذِي تَنْدَه وَذِيكَ مَا طَلَبْتُ قِيْلَانُ<sup>(30)</sup>      وَتَنْدَقُ الزَّانُ بَيْنَهُمْ حَايُ<sup>(31)</sup> أَغَادِي  
 وَسُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْكَرَعُ<sup>(32)</sup> مِنْهَا النُّيْرَانُ      وَعُزَالِي<sup>(33)</sup> مَرْهَفَا اْتَمَزْكَ لَكُبَادِي

\* \* \*

اَخْتَلَطُ فَالْعَرَاكُ رَاتِ الْعَيْنِ اُخْرَا صَاكَتْ هَاذِي لُنَيْكَ وَخَتَلَطْتُ لَعْكَادَ  
بَخْبِيْطِ السَّيْفِ<sup>(34)</sup> وَرَدَانِي وَالشَّفْرَا لَحْسُكَ اَرْقَابَ الْكَرَامِ عَلٰى الْاَجْسَادِ  
وَشَنَا يَلَهُمْ بِالْدَمَا صَارَتْ حَمْرَا مَا تَسْمَعُ بَيْنَهُمْ غَيْرَ اَجَادَ اَجَادَ  
مَا تَسْمَعُ بَيْنَهُمْ غَيْرَ اَثْبَاتِ وَخِيُولُ تَمُوجُ فَلَمَّا<sup>(35)</sup> بِسُرُوجِ اَمِيْنٍ وَخَلَّتْ

مَنْ دُونَ اَرْوَاحٍ رَيْتِ فَالرَّحْبَا كَسَدَاتِ<sup>(36)</sup>

الْغُبَرُ وَالطَّجَاجُ طَالَعٌ طَنَّبُ وَاَنْشُرَ عَلٰى الْوَعَا<sup>(37)</sup>  
وَسُيُوفِ الْهِنْدِ غَيْرَ تَلْمَعُ وَجَرَّاحِ بِالْدَمِ نَابِغَا<sup>(38)</sup>  
وَاجْوَادِ تَزِيْدِ بِالْكَلايِعِ<sup>(39)</sup> وَرُقَابِ اَلْهَا مَزْلَعَا<sup>(40)</sup>

مَنْحَدَرُ كَانَهَا حَمَالِي

لَبْطَالُ فَالْاَرْضُ كَنْ اَلْمَطِ<sup>(41)</sup> هَذِي لُنَيْكَ جَرَّتِ الْخَطُ

شَاخُ الْحَمَلِ بَاطِرَادِي

لَهْتِيْكَ وَالْبَعَجُ وَالْخَبِيْطُ وَالزَّانُ اَبْرَكَ عَلٰى اللَّمَطِ<sup>(42)</sup>

مَا كُفْتُ ذِي عَلٰى ذِي

وَاشْتَدَّ الْحَرْبُ وَالْقُلُوبُ لَيْسَ تَلْيَانُ بَيْنَ الْعَظْمَاتِ وَالْفِرَاعِنَ لَطْرَادِ<sup>(43)</sup>  
وَالْاَرْضُ تُسِيلُ بَادِمًا مِثْلَ الْوَدَانِ وَاكْفُفْ مَقْلَمَهَا الطَّيْرُ مِنْ اَزْنَادِي<sup>(44)</sup>  
هَذَا الْحَرْبُ الْكَبِيْرُ عَمْرِي مَا رَيْتُ \* وَنَشُوفُ الْهِنْدِ بَيْنَهُمْ نَارُ تَكْغْدِي<sup>(45)</sup>  
تَنْظُرُ هَذَا لَذَاكَ مِنْ سَرَجٍ نَكَفْتُ ضَرْبُ فَاْمَسَاسُطُ وَجِيْبُ كِيْرَدِي<sup>(46)</sup>  
وَاحِدَ يَنْدَهَ اَوْلَيْتُو وَاخْرُ بَنْتُ مَوْلٰى يَوْمُ يَا فِلَانَا يَا كَبْدِي<sup>(47)</sup>  
هَذَا الْيَوْمُ الطَّرَادُ وَطَارَتْ فِيْهِ اَطْيَارُ مَا رَيْنَا مِنْ اَنْحَرِ وَنَهَى عِنْدَ الْعَارِ<sup>(48)</sup>

إِلَّا هَذِي لَذِيكَ تَطْلُبُ بَدَى الطَّارِ<sup>(49)</sup>

غَطْسُ عَامُ فَبَحَرُ طَامَسُ بِمَاجِ الدَّمِّ دَافِقًا<sup>(50)</sup>  
وَاعْوَادُ الزَّانُ كَنْ مَقَايِسُ دَارُ فَالْلَمَطُ خَرُّ بَقَا<sup>(51)</sup>  
تَنْضَرُ لَسُنُوهَا تَبْصَبَسُ فَكَفُونُ الْخَيْلِ رَاشِقًا<sup>(52)</sup>  
هَذَا مِنْ ضَرَبَتْ أَمْكَندَسُ لَخَرُّ مِنْ سَرَجُ أَمْكَرْدَسُ<sup>(53)</sup>

هَذَا فَامْصَارُنُ أَمْعَفْسُ<sup>(54)</sup>

وَمَا بَقِيَ مِنْ أَمْشَهَرُ<sup>(55)</sup> بِشَهَبُ أَزَيْتِي وَ لَخْضَرُ  
أَبْقَى وَالْحَبَّارِي وَاصْفَرُ وَادْنَسُ وَالْبَجَرُ  
وَأَبْقَى نَحَاسِي وَكُمَرِي وَلَدُهُمْ أَبْقَا فَ سَحَارِي  
وَأَبْقَى الْبَلْحَى وَالْعَقِيقِي وَالنِّعْمَانُ وَأَبْقَى الْفَوْطِي مَعَ الْزَرْقِ حَجَرُ الْوَادِي  
وَأَبْقَى الْبَرْكِي فَاسْعَدَ الْغُرْبَانُ نَوَّارُ الْفُولِ وَالْحَدِيدِ وَالرَّمَادِي<sup>(56)</sup>

\* \* \*

ارْتَعَ ضَرْبُ الْقَنَا مَعَ ضَرْبِ السَّكِينِ وَالصَّمْصَامُ لَكْرِيهِ وَطُعَيْنُ الشَّفَرَاتِ  
وَأَبْدَانُ أَحْمَرُ جَمًّا<sup>(57)</sup> تَطِيرُ بِلَا يَدَيْنِ وَالرُّوسُ أَحْمَرُفَا عَلَى حَدِّ الدَّرَكَاتِ  
هَذَا مَجْرُوحٌ ذَا مَضِيعَ ذَاكَ يَنْيِنُ<sup>(58)</sup> هَذَا مَزُوي<sup>(59)</sup> وَذَا مَوْدَعٌ هَذَا مَاتَ  
وَرِبَاتُ الْمَوْتِ بَعْدَ ذَا مَنْ شَدَّ الْحَرْبِ وَاشْتَدَّ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ اشْتَدَّ الْعَطَبُ

زَحَفَتْ هَذِي لَذِيكَ حِينَ تُسَالُ الطَّلَبُ



وَاشْتَدَّ الْحَرْبُ لِلْكَفَايَحِ وَضِيَاقَتُ بَيْنِهَا الْوَسْعَا  
وَاشْتَدَّتْ قُلُوبُ مَنْ أَجْرَايَحِ وَانْكَطَعَتْ بَيْنِهَا الْكَطْعَا  
دَاكُ مَوْهَنْ وَذَاكَ طَايَحُ لَبْطَالِ خَرْوُبِهَا اصْضَعَا  
الْمُوتَى بَاقِيَا أَحْوِيْزَا اتَّقُولُ غَمَارُ فَاتْوِيْزَا<sup>61</sup>

مَا طَلَبْتَ نِي لَنَدِي أَحْوِيْزَا<sup>61</sup>

هَٰذِيكَ لَنَدِيكَ دَنَاتُ لَخْرَا اَلْهَارَتُ عَرَّاتُ<sup>62</sup>

لَعْكَادُ مَنْ خَلَفَ تَالِي<sup>63</sup>

مَنْ خَلَقَ الْعَكَادُ كَبَاتُ فِيهِمْ اَغَوَازِمُ امْحَبَاتُ يَتَنَّهُ فَارْجَالِي<sup>64</sup>  
نَسَمْعُ وَحْدَا تَقُولُ يَا ذَاكَ الْهَرَبَانُ اَيَا مَحْرُومُ وَاعْتَكَبُ وَايْنُ غَادِي<sup>65</sup>

وَحْدَا تَنَدَهُ اَفْهُو دَجْ وَخْرَا مَنْ كُبَا \* \* \*  
وَحْدَا فَاخْطَرُ فَدَكُ مَرْكَبُ مِنْ حَجْبَا وَخْرَا فَهَدُومُهَا اَوْ مَا بَيْنَ عَطَايِفُ  
حَتَّى رَجَعَ اَدْلِيلُ مَا يَرْضَا هَرْبَا اُوطَارُ الْخَوْفُ هَاجُ مَنْ هُوَ خَايِفُ  
حَتَّى حَلَفَتْ لِمَوَالٍ مَعَ لَنْفَاسُ اَوْ لَا تَسْمَعُ بَيْنَهُمْ غَيْرُ كَطِيْعِ الرَّاسِ

وَالْمُوتَى رَتَّهَا اَتَخَلَّفُ بِالْمَدْعَاسِ<sup>66</sup>

النَّارُ اَمْلَحَلَحَا<sup>67</sup> عَلَيْهَا تَشْعَلُ لَا سَرَخَا وَارْدَا تُجِيْهَا<sup>68</sup>  
وَانْقَطَعَتْ كَاعُ مِنْ اَوْرَاها وَاعْتَصَرَهَا فَكُلُ جِيْهَا<sup>69</sup>  
وَرَدَّاتُ الْاَرْضُ مِنْ اَدْمَاها وَانْفَضَحَتْ مِنْ يَمِيْنُ وَيَسَارُ اُوطَاحُ  
حَضْرَاتُ لِكْبَارُ وَالْحَمْلُ عَوْلُ اَكْرِنُ وَاشْتَدَّ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ سَنُ اَرْمَاحُ<sup>70</sup>

وَالسَّيْفُ اسْتَلَّ وَاخْتَفَى بَعْدَ اَطْحِيْنُ

بالدگ خُفات فوق لغداد الاسنان      مهما گبل على نهایت لورادي<sup>(71)</sup>  
 واشنادگ رتھا اتشعشع فالغیلان      ووجوه القوم سابخا بالحد حادي

\*\*\*

مهما همكه فالفتنا      شلاف فبحرهم طعن النحار<sup>(72)</sup>  
 ندأ بالفارس الذي راكب لشقر      اكفتها من يمين ولات يسارا<sup>(73)</sup>  
 ينده ويقول مل هذا اليوم اغبر      ما تبقى من اوجوه الصبارا  
 واشتد الحرب هز فید عود الزان      واطبخ هذا الجواد وصبغ كالمرجان

وادفع فيهم كل باز طرد کروان

امناين دواو وصاح لهم ينده ويقول فالخطاب<sup>(74)</sup>  
 اليوم يالها يوم      اليوم ايثيب الغراب<sup>(75)</sup>  
 امناين عظم وطاح فيهم      كطيحت صيد فالجلاب<sup>(76)</sup>  
 هود لهم بسيف ماضي      يحسك لرقاب والضعاضي<sup>(77)</sup>

واتركهم مط فالاراضي

من لحق تم خبط      رشم من تحت يبط      حتى ارمى لو ذراع  
 رفد من سرج ونقط      ومصارن ثم هبط      يتجرجر في تباع  
 يند في صحب يقول افلان      هذا حد لعمر ووفى ميعادي  
 بلغ لهلي اسلام وحكي شايب كان      يعط مهر المرا ويدو اولادي

\*\*\*

رَاكِبٌ شَلَوِي سَرِيعٌ فَالْعَلْفَا مَدَادٌ <sup>78</sup>	ذَا الْفَارِسُ فَالْحَرْبُ رَيْتُ أَيْلُو سَطُوا
أَيْلُ رُكْبَا أَمْجَرْدَا مِثْلُ الْعُرَادِ <sup>79</sup>	غَلِيظُ الْبَادِرُ أَرَأْسُغٌ بَفَجُّوا
وَدَنْ مِثْلُ الْقُلُومِ رَأْسُ رَأْسِ أَجْرَادِ <sup>80</sup>	أَبْيَضُ لَيْسَرَا يَشْرَبُ فَالْعَشْوَا
يَخْطَفُ لِسْرُوعٌ بِالسَّبَقِ <sup>81</sup>	إِذَا يَجْرِي تُقُولُ فَلَـي
أَتَقُولُ أَعْلِيهِ زَيْتٌ دَفَقَ <sup>82</sup>	أَيْلُو رُكْبَا أَكْفَنُ عَالِي
وَاحْزَامٌ أَدْفَعُ الْمَرْفَقِ <sup>83</sup>	وَاسْمَاطٌ مَتَّعُ الْمَدَالِي
صَافِي مِنْ عَيْبٍ كُلِّ بَيْطَارِ <sup>84</sup>	أَيْلُ حَافِرُ تُقُولُ دَيْسَنَارُ

### مَنْ مَرْكُوبُ الْمُلُوكِ لِحَرَارِ

مَدُوبٌ فِي كُلِّ كَلْفَا مَوْلَاهُ فِي كُلِّ عَلْفَا فَالْحَرْبُ يَدَيَّ اسْعَارُ  
 نَعْنِيهِ رَايِضٌ بِخَفَا انْشَرُّ قُلُوعُ أَوْصَفَا وَالْبَحْرُ شَنَعَتْ أَخْبَارُ<sup>85</sup>  
 هَذَا الْفَارِسُ الَّذِي رَاكِبٌ شِيْهَانُ يَدْفَعُ بِالْقَوْمِ كَانُ دَقْتُ بَسْعَادِي<sup>86</sup>  
 يَعْنِي شَرْقِي أَعْصِيفُ نَفَخَ فَالْجُرْدَانُ بَعْدَ لَا صَرَّصَتْ قَبْطَتْ لَسْنَادِي<sup>87</sup>

\* \* \*

وَعَلِيهِ أَنْسَالُ جَيْتٍ فَالْعَكْدُ نَجْرِي	ذَا الْفَارِسُ فَالْحُرُوبُ رَيْتُ يَتَبَخَّرُ
وَالْيَ نَعْتَ أَيْقُولُ صَفَاتُ الْبَحْرِ <sup>88</sup>	قُلْتُ لَهُمْ يَا نَاسُ مَنْهُ ذَا الْقَصُورُ
هَذَا هُوَ الْفَضِيلُ لَمْخِيرُ بْنُ زَكْرِي	قَالُوا الْمَعْلُومُ بِالثَّنَا مَوْلَايَ أَعْمَرُ
أَمْدُلُ الْقَوْمِ فِي نَهَارِ الْمَشْلِي <sup>89</sup>	هَذَا هُوَ مَعْشَى الطَّيُورِ الْخَلُويَا

### مَوْلَايَ أَعْمَرُ غَايَتُ الْوِطَاسِيَا

هذا هو كامل لَعْنَايا      هذا هو شامخ القمدر  
ابن المجد او زهو غْنَايا      مَثَلُ يَشْبَاهُ يَنْشُكِرُ  
بن زيان حفيد يَحْيَا      بن زيان بن اَعْمَرُ  
هذا هو اعمير لبَطَال      خليفة علقما او علال

مولاي اعمر سميح لفضال

عليه نختم ذا لشُعَارُ      بالمسك يسطع او لنَّوَارُ

وعلى جميع المحاضرُ

يبقى على طول لَعْمَارُ      فامجالس لَفْضَالُ يَذْكَارُ      يفجى اهُمُومُ انْخَوَاطُرُ

منظوم باللؤلؤ في سلوك الذهبان      والناظم بن اعبود في ذا العدادي  
واهدا للهمام لمير السلطان      مولاي اعمر اكمل قصدي ومرادي  
صلى الله على اخير بن عدنان      اشفيق القوم في نهار السيعادي

وانسكنو بالجميع جنت لخالادي

### شرح بعض الألفاظ

1. صَكَّتْ : زكت أي صاحت صيحة الحرب.
2. غالس : من الغلس وهو ظلمة آخر الليل.
3. فرصادي : لعله لون التوت الأسود.
4. بعكاد : لعلها جمع عكة أي عقدة وهي الفرقة من الجيش.
5. محرجا : لعلها مثل محرشا، من حرج أي غضب غضبا شديدا.
6. واشناذك . جمع شندك = شندق أي شوزانق وهو الصقر، والمقصود هنا صور الصقور التي ترسم على الأعلام، والرايات.
7. واغوابط : لعلها واغوايط جمع غيطه يعني النفير بدليل مابعدھا من الات النفخ والزمر.
8. الصغات : الساقات جمع ساقة وهي مؤخرة الجيش.
9. الضركات : جمع ضركة أي درقة أو ترس
10. وطرارد : أعلام كبيرة.
11. اشنايل : جمع شنيال أي الراية أو العلم ويقال أيضا: شنيار.
12. فاكوافل : في قوافل.
13. المصفحات : السيوف.
14. وأقلمن : وأقلا ما جمع قلم ومعناها هنا الرماح فيما يبدو.
15. أسواطها: أصواتها.
16. الشلعلع يبدو أنه آلة نفخ كالبوبق ونحوه ومن المسموع بالشلعلع. والقاضي كيسمع.
17. ينده : ينادي، من نده.
18. باندها : بالنداء، وقوله : وينهوم : أين هم.
19. ابدك اصوارم : بدق الصوارم أي السيوف
20. مايلها : أي يميل لها ويقبل عليها
21. والهند : يعني السيوف الهندية.

22. ادراغم : الضراغم جمع ضرغام وهو الأسد.
23. ردادي : مرادة ومراجعة وقوله بمهاك ليمان أي بالإيمان المغلطة
24. الفيش : الفخر والمباهاة.
25. الحربات : جمع حربة أي سلاح حاد
26. طوف وارجع : من عبارات المزايدين في سوق الدلالة.
27. لقماط : جراب يضع فيه الفارس اغراضه.
28. اطجيج : ضجيج.
29. لمشاط : الامشاط التي يمشط بها الصوف بانطباق بعضها على بعض
30. قيلان : إقالة.
31. حاي : صوت المتألم.
32. تنقرع : تنقرع أي يتطاير شررها.
33. واعوالى : سيوف.
34. وردانى : ورديني وهو الرمح.
35. فادما : في الدماء.
36. الكسدات : جمع كسدة أي جسد بدون رأس.
37. لوغا : الوغى أي الحرب.
38. نابغا : متفجرة
39. الكلايع : جمع كليعة : قليعة أي فرس غنيمة
40. مزلغا : يقال : راسو مزلغ أي فيه هموم كثيرة.
41. المط : أكوام من السنابل التي تحصد وتوضع في الحقل في انتظار جمعها والمطة الواحدة تتألف من عشر غمارات والمط يصفى في خصوص مستقيمة وقد شبه الزجال جثت القتلى وانشارها في ساحة المعركة بهذه الصورة المعروفة في وقت الحصاد.
42. البعج : الفج والشق
43. العظمت : معناها كمعنى لفراعن ولطواد أي العظماء والفراعنة والأضواد.
44. مقلما : مقلمها، قلمها وأكل الطير أي أكل لحمها.

- 45- تگدي : تتقد وتلتهب
- 46- مساسط : جمع مساطة أي مقعدة المر-
- 47- أوليت : وليته أي امرأته ومولا يوم : الذي فيه النوبة من الاولياء.
- 48- الطراد : المطاردة والمحاربة
- 49- الطار : الثار
- 50- بماج : بأمواج.
- 51- الزان : شجر معروف، تتخذ منه العصي المتينة واللمط درق من الجلد، وخربقا : تشتيت وتخليط.
- 52- فاكفون الخيل : في أكفال الخيل والأكفال جمع كفل وهو عجز الفرس وغيره.
- 53- امكندس : صار كالكدس أي الكومة وامكردس صار ملتويا.
- 54- امعفس : صار مضغوطة ومعجونا.
- 55- امشهر : مشاهير.
- 56- اشتمل هذا القسم على ألوان الخيل في العامية المغربية. وفي كتب الخيل تعداد لها.
- 57- امحرجما : مقطوعة الأوصال.
- 58- اينين : يئن.
- 59- مزوي : مضروب في بطنه.
- 60- اتويزا : أسلوب مغربي في العمل الجماعي بالحقل طوعا أوكرها.
- 61- احويزا : لعل معناها انحياز واستسلام.
- 62- دنات : قصدت وقربت، لخرا : الاخرى، إلها : لها، رت : رأت، عرات : شمريت.
- 63- لعكار : لعقاد جمع عقدة أي فرقة من الجيش.
- 64- كبات : قبات أي قباب وهوادج يحملن النساء اللاتي يحمسن الرجال.
- 65- اعتكب : ارجع.

66. المدعاس : الرمح.
67. امْلَحْلاً : ملتهبة.
68. لا سرخا : لا صرخة أي إغاثة.
69. كاع : جميع.
70. اكرن : قرينه.
71. لغداد : جمع غدة.
72. همكه : انهمكوا.
73. اكفتها : ردها وانحرف بها، تدا : إذا.
74. امناين : حين، لمّا.
75. هذا من المثل : حتى يشيب الغراب.
76. وطاح فيهم : وأُتخن فيهم.
77. هود لهم : انحدر نحوهم، والضغاضى : الخدود.
78. شلوي : فرس جميل يطارد به في الحروب.
79. العراد : (أو العراض) الغزال.
80. القلوم : جمع قلم، يقول إن أذن الفرس تشبه أذن القلم ورأسه تشبه رأس الجراد.
81. فلي : لعلها نسبة إلى الفلاة.
82. كفن : كفل.
83. اسماط : خرج يكون مع الفارس فيه بعض الحوانج.
85. يشير إلى عبارة حدث عن البحر ولا حرج.
86. شبیهان : جواد أصيل.
87. قببط لسنادى : يعني هربوا وتفرقوا في شِعَاف الجبال..
88. القصور : القصور أي الأسد.
89. المشليا : القتال والحرب.
90. علال صيغة مغربية لاسم علي، والمقصود هنا سيدنا علي كرم الله وجهه.





صورة أول قصيدة الحمري (مخطوط ف.ع.  
رقم 594 ج)

على الله اعلم ان هذا الكتاب من كتب  
 الغنى والفضل والفضل والفضل  
 وغنى كثر قتر ازوتها. سمع في هذا  
 وقت از شر علي الخادم. بصفحة  
 في كل واحد. وغدا بغير رتبة المختار  
 على الله اعلم ان هذا الكتاب من كتب  
 فصيلة اخرى من كلام ابراهيم  
 ما ان يجعل الله اهلها فائدة  
 العام. والعمامة. في كل  
 على السرفه. طرأ وسمي في  
 كثر غنى. انما في المصباح  
 في غنى البحر. بحر. في  
 انرف. وقرآن. في  
 في الغنى. سرف. واحسن  
 في الغنى. سرف. واحسن

بن زكريا . هذه اهدام غنم اصبغ . انخلوباه امرل القسوع  
 في نهان القنيلباد مري . راعمر عاب النوكماستياه هذه اهدام  
 كامل الغنم هذه اهدام غنم الفد . رابن الصبد از هو الغنم  
 . مثل اينداله يبتدكر . سزبان احبيد يخبس . سزبان بن  
 اغمتر . هذه اهدام عير لبضال . اخلفت علفقا وعلل .  
 مري . راعمر اسمين لبضال . اعليد فختم . الشععان  
 بالمشند تشكح اولنزار . رغلر احبيد القماخر . بيتا اعل  
 كوك الغمام . فاجال لبضال يذ كان . نفي اهدام القماخر  
 . منخدع بالزلزلة تسلوا الذهبان . والناخم نرا عبيد  
 ب . العزاز . وانعد عالل عام لبير السلك كان مري  
 لخم القماخر مري . مري . على الله اعلى احيار خذ عرقان  
 اسمين القوم في قمر الامداد . وانسكترا انا جميع  
 حبث مري . حبث قمر الله . وحس عور في  
 وهو كلام لبير لخم مري . الله . دوعنا بيا  
 الله . حبث مري . وانزل . ونسوم . ونسوم .

صورة آخر قصيدة العربي.



زهيل العزود  
لعبد العزيز المفرأوي

اخترنا هذا الزجل من أزجال عبد العزيز المغراوي العديدة لأنه يناسب المحور العام لهذه المختارات فهو يسجل حدثاً تاريخياً بارزاً ألا وهو موت المنصور، ويعتبر المغراوي إماماً في فن الملحون ومجدداً له، إذ أنه اختط طريقة الملحون على الشكل المسمى داني وهو على هذا القياس :

يا دند دندني دندان      ادندان داني ربي مولاي<sup>1</sup>

وقد قيل في المغراوي إنه «شجرة الكلام»<sup>(2)</sup> وكان طويلاً فقل فيه : كل طويل خاوي، سوى النخلة والمغراوي<sup>(3)</sup>، ونسبته هذه إلى أمغرا<sup>(4)</sup> أو مغراوة<sup>(5)</sup> من تافيلالت التي أنجبت عدداً من شعراء الملحون.

عاش المغراوي في زمن أحمد المنصور السعدي وقد يفهم من شطر في هذا الزجل أنه كان من أتباعه، وهو قوله :

عام شيب مات الذهبي أخير لتراب.

ويعتبر المغراوي من الزجالين المكثرين فقد نظم في مختلف أغراض الزجل، وأحصى له الأستاذ محمد الفاسي أربعاً وستين قصيدة<sup>(6)</sup>، وقصيدته التي اخترتها هي في غرض العزو كما يسميه أهل الملحون، ويقال فيه كذلك العزا<sup>(7)</sup>. ومعناه الرثاء، وقد قالها لما مات السلطان أحمد المنصور السعدي الملقب بالذهبي أحد ملوك

1. معلمة الملحون ج 2 ق 2 ص 258 والقصيدة : 134

2. القصيدة : 587.

3. نفسه : 91 ومعلمة الملحون ج 2 ق 2 ص 259

4. القصيدة : 587

5. معلمة الملحون ج 2 ق 2 ص 295

6. نفسه 265

7. نفسه ق 1 ج 1 ص 114 والقصيدة 389

المغرب العظام الذي ولد سنة 956هـ (1549م) وبويع إثر الانتصار في معركة وادي المخازن سنة 986هـ (1578م) وتوفي سنة 1012هـ (1603م) وكانت أيامه حافلة بالأحداث الكبيرة<sup>(1)</sup> ومما يلفت الانتباه أن هذا الملك الذي قيل فيه ما شاء الله من المدائح لا توجد ولو قصيدة من الشعر المعرب في رثائه، ومن هنا تعد قصيدة المغراوي دليلا على خصلة الوفاء لديه وقد جاءت تعبيرا عن شعوره بالفجيعة في فقدته واستشعارا لخسارة المغرب برحيله وتوديعا للأيام السعيدة التي عمت المغرب في وقته وتوقعا لما سيحدث بعده.

وقد تحدث الدكتور عباس الجراري في القصيدة عن هذه المراثية ونثر معظم نظمها وساق جل أبياتها وقال: "وهي كلها حديث عن فراق الأحبة والبكاء عليهم، لم يتعرض فيها لذكر شيء عن الرجل بل ليس فيها ما يوحي بالموت غير حربتها التي أخبر فيها بأن عام موته عام حزن وأنه لم يعد للسعديين ما يرجحون به كفتهم"<sup>(2)</sup>.

وصحيح أن هذه المراثية ليست كمراثي الشعر المعرب التي تشيد بذكر الميت وتعدد مآثره ولكنها في نظري تصور ألم الفراق فراق الأحباب، وتذكر سلطان الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات، وفيها شكوى البين وهو من المعاني المعروفة في الشعر العربي.

ولكن المغراوي يشخص البين في صورة أمير له جيش وأعلام يرمي بسهمه فيصمي ويضرب بسيفه فلا يخطئ، وهكذا يهد العمران ويهزم الديوان وقد ألح على معنى الفراق في جل القصيدة أو في جملتها، ونظن أنه رمز به إلى نهاية عهد سعيد لا يسترجع وذهاب أيام جميلة لا تستعاد :

1. انظر على سبيل المثال كتاب مناهل الصفا وكتاب المنتقى المقصور وكتاب الاستقصا  
2. القصيدة : 390

بعدهما كنا عز وزمان باهج      بنعمته ساعدنا ورخى لنا عنانوا  
كل يوم بعز وتنزيه والفرايج      ولا نويت الدهر يعقب لنا محانوا

وعندما أراد تصوير صدمة تقلب الأيام وتغير الأحوال استعمل  
هذا الأسلوب الشعبي :

بعدهما كنا في جوره، الباب للباب      أولاد حومه يمسواو معي ويصبحوا  
بعدها غابوا عني في جبال وهضاب      لا هلال أطل منهم نلمحوا

ومن أهم الإشارات في هذه القصيدة إشارته أو توقعه لما حدث  
بعد وفاة المنصور من فتن وحروب بين أولاده كمثل ما سبق ذكره  
في ملعبة الكفيف عند الحديث على أبي الحسن المريني؛ وقد عاش  
المغراوي عامين بعد موت المنصور فرأى أو سمع شيئاً عن تلك  
الأحداث وأشار إليها بقوله :

أواه إلى نهي تقاضات أعوامٍ      ما اقصرها بسرور كساعات الأيام  
واليوم زمان سو غتمنا بأيامٍ      ما أطولها بالاكدار كدارات أعوام

ليتني مت قبلهم سالم وبسلام

وهو يرى أن المغرب أصابته العين فكان الطاعون ومات به  
المنصور كما وقعت الفتن والحروب بعده.

عين سو صادتنا جملة بهم زاعج      من عدو ظالم قواه لقضاً واعانوا  
وقد أجمل هذه الإشارات في الخاتمة المتشائمة التي يقول فيها :

عام شيب مات الذهبي خيار لتراب ما بقي للسعدية باش ينجحو  
وكلمة شيب فيها تورية وتاريخ لوفاة المنصور فالشين ألف والياء  
عشرة والباء اثنان، ومجموعها 1012. وأما التورية فلأنه يقال نهار  
شيب وعام شيب أي ملعون.

وأما القصيدة من حيث الشكل فإن متنها كما نقلته من بعض  
المجامع ومن معلمة الملحون يتألف من ثمانية أقسام تشتمل على  
عروبيات وهي من البحر المسمى عند أهل الملحون بالمبيت، وقد  
وجدت الأستاذ الفاسي يقول مرة إنها في قياس 15 من المبيت  
ومرة يقول إنها في قياس 15 ب ومرة ثلاثة يقول إنها في قياس  
15 ج، ثم أكد في موضع آخر أنها من قياس 15 ب ولغة القصيدة  
سهلة وعبارتها سلسة وألفاظها مأنوسة وفيها ما يلمح إلى بعض  
القصص والأمثال أو العبارات المثلية كاستعمال يفور ويغور  
والبكاء راحة المقروح وتشبيه الدنيا بدولاب الماء وذكر قصة  
يعقوب وولده يوسف وقميصه وها هو نص القصيدة :



لَفَرَّاقُ زَمَانِي قَوْسُ بَسْهَمٍ غَصَّابُ  
 بَعْدَ مَا مَكَّنِي جَانِي بَسِيفَ غَلَّابُ  
 لَا شَ سَاكَتْ يَا مَنْ فَارَقَ وَجْوهَ الْإِحْبَابِ  
 جَانِي مِيرُ لَفَرَّاقِ صَايِلَ مَتَحَزَمِ \*  
 بَوْصُولُهُ لَاحْنِي بِشَلْيَاطِ مَسْهَمِ \*  
 مَا خُطَّانِي مَكَّنَ قَلْبِي أَوْ لَوْحُو  
 هَدَّنِي وَهَزَمَ دِيَوَانِي أَوْ جِيحُو  
 هَاتِ رَاسَكَ لَهْنًا وَاجِ نَنُوحُو  
 وَقَصَّدَنِي لِلْفَنَّا بِجَيْشٍ وَعِلَامُو \*  
 قَتَالَ شَدِيدًا مَا خُطَّانِي بِسَهَامُو

### وَضَرَبَنِي ضَرْبَتِ الْمَقَاتِلِ بِحَسَامِهِ

أَيَحَقُّ لِي نَبْكِي لِلْفَرَّاقِ نَهَارُ وَلَيْلُ  
 مَا دُمُوعِي يَهْطُلُوا فَاقُوا الْمِزَانَ وَالسَّيْلُ  
 عَلَى فَرَّاقِ أَحِبَّائِي مَا صَبَّتْ مِنْهُمْ قِيلُ  
 بَعْدَمَا كُنَّا فِي جُورَةِ الْبَابِ لِلْبَابِ  
 بَعْدَهَا غَابُوا عَنِّي فِي جِبَالٍ وَمُضَابِ \*  
 دَعْنِي يَا لَا يَمُ عَلَى الْفَرْقَةِ نَبْكِي \*  
 رَنِّي فِي وَحْشِهِمْ فِي حَالَةٍ تَحْكِي  
 نَقَاطِعُهُ سَاهَرًا أَوْ تَجَدَّدَ عَلَى صَبَاحِي  
 تَعْجَبُ وَتَشِيبُ الْغُرَبَانَ مِنْ نُوَاحِي  
 مِنْ حَسَامِ الْبَيْنِ وَسَفَكَ دَمًا جِرَاحِي  
 أَوْلَادِ حَوْمَةٍ يَمْسَاوَا مَعِي وَيَصْبَحُو  
 لَا هَالِدٌ أَطَّلَ مِنْهُمْ نَلْمَحُو \*  
 غَابُوا عَنِّي أَحِبَّابُ قَلْبِي مَا بَانُو \*  
 طَيْرٌ مَقْصَصٌ فَارَقَ أَهْلَهُ وَوُطَّانُو

### فِي قَفْصٍ أَوْثِيقٍ طَالَ سَجْنُهُ وَمَحْنُو

مَا دَرَى كَانَ نَعِيشٌ حَتَّى نَرَى نَجُومِي  
 بِدَرَهُمْ مَا أَدْرَى يَضُوي عَلَى رُسُومِي  
 إِنْ سَقَلَ سَيْفُ زَمَانِي مِنْ صَدَاءِ حَمِي  
 إِنْ بَلَغَ قَلْبِي الصَّادِي مِنْ جَمِيعِ الْإِكْرَابِ  
 أَتَجِي مَعِي أَحِبَّائِي وَجَمَاعَتِي وَالْأَصْحَابِ  
 فِي بِلَادِ سَمَاهُمْ يَضُويُونَ كَيْفَ كَانُوا  
 فِي نَهَايَةِ بُرْجِ السَّعُودِ فِي مَكَانُوا  
 وَيَنْتَشِرُ بِالْفَرَحَةِ عَلَمِي عَلَى أَرْكَانُوا  
 تَنْكَدُ الْعَادِي مِنْ فَرَحِي نَقْرَحُو  
 مَا مَضَى مَعَهُمْ مِنَ الْإَيَّامِ نَرْبِحُو \*  
 \* \* \*

وَيَزُنا أَنَا وَيَنْهَمُ أَحْبَابِي يَا هَيْهَاتَ  
بَعْدَ الْعَشْرَةِ الطَّائِلَةِ بَعْهَوْدُ مَضَتْ  
غَابُوا عَنِّي وَسَرَتْ هَايِمٌ فِي هَوَاهُمْ  
شَوْقٌ بَصْرِي زَمَانٌ نَنْظُرُ فِي نِيَاهُمْ

كَأَيِّنِي فِي الْمَنَامِ شَاهَدَتْ سَنَاهُمْ

مَنْ نَهَارًا نَبْعُدُونِي بِالْفِرَاقِ يَوَاهُ  
لَا كِتَابٌ يَجِينُ مَنْ حَيْهَمُ نَقْرَاهُ  
خَالَفُونِي مَا صَبَتْ بِمَقُولَةٍ نَرَاهُمْ  
بِاسْلَامِ الْفَاحِشِ كَالْمَسْكَ مِنْ شُدَاهُمْ  
نَلْمَسُ بَعْدَمَا نَقْرَأُ حُرُوفَهُ مَعْنَاهُ  
عَلَى عَيُونِي طَابُوا بِدَمْعِي مِنْ بَكَاهُمْ  
كَفَعَلِ سَيِّدِنَا يَعْقُوبَ خَيْرَ الْإِنجَابِ  
حِينَ جَاءَ قَمِيصُ الصَّدِيقِ امْتَسَحُوا  
عَلَى عَيُونِهِ وَرَجَعَ بِهِمْ سَرِيعُ طَلَبِ  
جَاءَ وَلَدُهُ مَنْ بَعْدَ الْفَقْدِ لَا مَحْوِ  
وَلَقَى طَيْرَ الْإِفْرَاحِ مِنْ غَيْثِ الْإِنْوَاحِ  
مَا اعْظَمَ يَوْمٌ أَنْ سَطَا عَلَى الْعَيْسِ الْحَادِ\*  
خَلَّى الْعِشَاقُ كُلَّ هَايِمٍ حَدَّ حَادِ  
قَدْ كَادَتْ مِنْ شَبَابِهِمْ تَرْهَقُ الْأَرْوَاحُ

مَثِيلُ يَعْقُوبَ بِالْفِرَاقِ اضْحَى نَوَاحُ

الْبُكَاءُ رَاحَهُ لِلْمَقْرُوحِ مِنْ لَهْيَبِ  
شَوَاهِقِهِ لَوْ بَانُوا بِنَهِيرِهِمْ يَرِيبُ  
عِنْدَمَا يَبْكِي تَخْمَدُ بِدُمُوعِهِ نَارُ  
وَالرِّيَاضُ النَّاعِمُ يَتَحَطَّمُوا أَشْجَارُ  
عَلَى اللَّهْيَبِ شَعَلَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْ جَمَارُ  
مَهَاجَتِي وَضُلُوعِي لَوْ لَا الْبُكَاءُ يَدُوبُ  
كَنَا مَثِيلُ الْغَارِقِ وَالنَّارُ تَلْفَحُ  
صَارَتْ بَيْنَ الْجَمْرِ وَفَرَقَةٍ وَدَمْعِي صَبَّابُ  
جَادَهَا بِسَيُولِ الدَّمْعَةِ تَسِيحُ  
أَوْ شَمْعَةٍ حِينَ تَوَلَّوْا بِنُورِ لَهَابِ  
كَيَحُوتُ\* فِي غَوَامِقِ الْبَحْرِ الْمَالِي  
قَلْبُ الْأَذَاقِ غُصَّةُ الْفُرْقَةِ\* مَشْرُوحُ  
مَافِي عَذْرٍ مِنْ قَرَحَتِهِ غَيْرِ الْمَفْرُوحِ  
مَفْرُوقٌ بَلَى وَدَاعِ الْإِحْبَابِ بِحَالِي

عَمْدًا لَهُ بِالْفِرَاقِ وَأَنَا عَمْدًا لِي

بَعْدَمَا كُنَّا عَزَ وَزَمَانُ بَاهَجُ      بِنِعْمَتِهِ سَاعَدْنَا وَرُخَى لِنَاعْنَانُو  
كُلُّ يَوْمٍ بُعِزَ وَتَنَزَّيْهِ أَوْ الْفَرَايَجُ      وَلَا نُؤَيِّتُ الدَّهْرَ يَعْتَبُ لَنَا مُحَانُو  
عَيْنُ سَوْ صَادَتْنَا جُمْلَةً بِهِمْ زَاعَجُ      مِنْ عَدُوِّ ظَالِمٍ قَوَاهُ الْقَضَا وَأَعَانُو  
لَقَضَا فَرَقْنَا وَالْبَيِّنُ نَفْسَنَا صَابُ      رَوْضَنَا مَتْنَعٌ حَرَقُهُ أَوْ كَلْحُو  
نَطَالِبُ مَنْ هُوَ كُلُّ الْأَمْرِ حَقُّ غَلَابُ      رَبَّنَا يَجْمَعُنَا فِي قَرِيبٍ نَفْرَحُو  
مَا أَعْظَمَ سَاعَةَ الْفِرَاقِ مَعَ الْأَحْبَابِ\*      جَارُوا يَا لَا يَمِينِي عَلَيَّ ضَلَمُونِي  
تَرَكُوا قَلْبِي حَزِينٌ فِي مَحَنَةٍ وَعَذَابُ      مَا ذَاقُوا مَا جَرَّبُوا مَا عَذَّرُونِي

### وَرَمَاوُ جَمَارَهُمْ عَنِّي احْرَقُونِي

كَيْفَ يَهْنَأُ الْخَاطِرُ مَنْ الظَّاءُ وَلَوْ عِي      كَيْفَ نَصْبِرُ وَبِدَوْرِي عَن سَمَائِي غَابُو  
أَوْ كَيْفَ تَخْمَدُ نِيرَانُ الْبَيِّنِ بَضْلُو عِي      أَوْ الْهُوَى فِي أَسْيَارِي بِصَوَاعِقِ الْتَهَابِ  
وَكَيْفَ لَا يَهْطَلُ مَعَ الدَّمِّ مَنْ تَمُوعِي      أَوْ لَا بِحَالِي مَفْقُودٌ غَرِيبٌ عَن أَحْبَابُو  
بَعْدَ غَابُو عَن عَيْنِي جَمْعُهُمْ مَا غَابُ      عَن أَسْيَارِي وَأَغْصَانِ الْوَحْشِ يَلْقَحُو  
هَذَا قَلْبِي شَعْلُ كَوَى بِالْمَشْهَابِ      أَوْ هُمْ أَسْبَابُ الْفَرْقَةِ الْبِدُودِ جَرَحُوا  
أَوَاهُ إِلَّا أَنَّهُ تَقَاضَاتُ أَعْوَمُ\* \* \*      مَا أَقْصَرُهَا بِسُرُورِ كَسَاعَاتِ الْآيَامِ  
وَالْيَوْمُ زَمَانٌ سَوَا غُتْمَنَا بَايَامُ      مَا أَطْوَلُهَا بِالْأَكْدَارِ كِدَارَتِ أَعْوَمِ

لِيَتْنِي مَتَّ قَبْلَهُمْ سَالِمٌ وَسَلَامُ

هاكذا الدنيا كالدَّوْلَبِ تحول وتُدور  
تأراة بالفرحة وترة بحزن وسرور  
رزاقتها مضمونة بوقته يفور ويفور  
نطالبه بفضله يجمع جميع الاحباب  
ويرحم مغراوي الناظم فصيح لاعراب  
كل ما قالو زورا او قولهم كذاب  
عام شايب مات النهبي خيار لاثراب  
دورها يملي ويفرغ في كل حال  
وجات مع فرقا وشغل او البطل  
كيف قدر بحكامه ربنا تعالى  
لطاغته يهدينا ورضاه نصلحو  
بلاد بلاغة غير الجحاد يلفحو  
كان او شاق على الديعة ينبحو  
ما بقى للسعدية باش ينجحو

\* \* \*





زجل مزغران  
للأخضر بن مخلوف  
المستغانمي

- كان بين شعراء الملحون في الجزائر وبين نظرائهم في المغرب تواصل كبير، وقد عاش بعضهم زمنا بالمغرب مثل ابن مسايب وسيدي سعيد المنداسي<sup>(1)</sup>. وصاحب القصيدة التي ننشرها ضمن محورنا هو سيدي الأخضر بن مخلوف المستغانمي من أهل القرن العاشر الهجري<sup>(2)</sup> وله ديوان في الشعر الملحون طبع بمدينة الرباط سنة 1951م وهو يشتمل على 31 قصيدة وكل قصائد هذا الديوان في المديح النبوي الذي ما يزال المنشدون يرددونه في المناسبات.

أما قصيدة مزغران التي وردت في هذا الديوان فقد قالها الشاعر في وصف معركة مزغران التي وقعت سنة 965هـ (1558م) بين الجزائريين والإسبان الذين كانوا قد اتجهوا إلى السواحل الجزائرية مثلما اتجه البرتغاليون إلى السواحل المغربية وكان احتلال الإسبان لمدينة وهران سنة 911هـ (1509م) واحتلوا كذلك ما حولها مثل مزغران، وقد ذكر المؤرخ الجزائري المعاصر عبد الرحمن بن محمد الجيلالي هذه المعركة فقال : «وفي سنة 964هـ (1557م) قضى حسن بن خير الدين على الجيوش الإسبانية المقيمة بمارغران - قرب مستغانم - فأسر منه اثني عشر ألف نسمة وانضم إليه يومئذ الجند التلمساني فأحاط الجميع بالإسبان، وأوقدت النيران في مخازن البارود فانفجرت وكان من أثر انفجارها سقوط أسوار المدينة وموت الأكثرية من جيش الإسبان وفيهم الجنرال الكونت الكوديت، وعند غروب الشمس من يوم الجمعة 12 ذو القعدة 965هـ (36 أوت 1558م) احتل الأتراك نواحي مازغران».

1. انظر فيهما معلمة الملحون 2/2 : 38، 252.

2. انظر ترجمته في معلمة الملحون 2/2 : 107.

3. تاريخ الجزائر العام 2 : 338.

أما الزجال صاحب القصيدة فإنه يصف المعركة وصف من حضروا وهو في هذا مثل ابن عبود ولعله تأثر به وحذا حذوه، والقصيدة تتألف من مدخل وتسعة عشر قصما ولغتها سهلة واضحة وأسلوبها سردي قصصي وملخصها أن الإسبان جمعوا جيشا كبيرا حملته السفن وأصبحوا في الموانئ الجزائرية ولما ظهرت سفن الإسبان على البحر أسرع فارس جزائري إلى العاصمة وأبلغ السلطان الذي استعد في الحين للحركة وخرج بعساكره مارا ببلاد متيجة واستجابت إلى ندائه العرب وفي طليعتهم شيوخ سويد وبني راشد وفرسان بني عبد الوار ومغراوة فسار بالجميع إلى أن وصل إلى حيث العدو فنصبت الأخبية والخيام ولما شاهدته الأعداء فت في عضدهم ثم وقعت الواقعة فجر يوم الجمعة فكان النصر للمسلمين وحلت الهزيمة بالكفار، وغطت جثثه البطاح وصاروا لها فراشا وعادت الخيل تمشي على سبب الخيل أي شعرهم وهنا سنجد تشابها بين الشيخ لخضر وابن عبود في وصف الخيل وألوانها :

وَلَّى المَيِّتَ فِي البَطَاحِ أَفْرَاشُ	تمشي الخيل على سبب الخيل
بيضا وبيض لونُ صنف الشَّاشِ	زرقا وازرق لونُ شبه النيل
دهما وادهم لون أسود احباشُ	خضرا واخضر لونُ شبه قسيل
واصفر مايل تنسى منظومُ	في قيطان احريير مبروم
حمرا واحمر في الخسيب تعومُ	وابقع بارق عازيه الشوم

وقد تغنن الشاعر كابن عبود في تصوير فظاعة الحرب كصورة القائد الذي طار رأسه وقطعت رقبته وقسم شاربته وفرمت سنه وكذلك في حكاية الحديث أو الحوار الذي يدور بين المتقابلين كهذا الحوار

أمرينا زارني كريس      يا جاري بلرنك فيا  
اليوم طار البنس برير      قال البنس ما درميا

وفي الزجل كلمات إسبانية منها : شنتاوضوس Soldados أي جنود  
مرينا Morena أي سمراء، مادر ميا Madre mia أي أمي، مرير  
Morir أي مات، كبلراس Caballeros أي الأشراف.

وفي الزجل أيضا أسماء إسبانية معروفة مثل جوان Juan وبعضها  
محرف مثل سيماول وفرنغسا وكبلرناف ودامرتيل . وفيه أسماء أعلام  
وأماكن مثل الثعلبي وهو سيدي عبد الرحمن الثعالبي صاحب الضريح  
المعروف في الجزائر العاصمة والأمير حسن ولد خير الدين . وفيه  
كلمات عامية قديمة مثل كلمة فرطاس ومعناها الأقرع والأصلع والحيوان  
الذي ليست له قرون، وعلى الرغم من هذه الكلمات الغريبة والأجنبية فإن  
القصيدة في عمومها واضحة ومفهومة ولكن الدكتور سعد الله وصفها  
بأنها ضعيفة النسيج رديئة وتكاد تشبه النثر المسجوع<sup>1</sup>، كما وصفها  
أيضا بأنها قصيدة غامضة المعاني بالنسبة إلينا اليوم<sup>2</sup>، والحق أنها  
إذا قورنت بقصيدة الحربي فستبدو خفيفة أو ضعيفة.

ويمكن القول باختصار إن وصف المعارك الذي يوجد في هذه القصيدة  
وقصيدة ابن عبود قبلها هو مما يتميز به الشعر الملحون وفيما يلي نص  
القصيدة

1. تاريخ الجزائر الثقافي 2 345  
2. نفسه



يا فارسُ مَنْ تَمَّ جَيْتُ الْيَوْمِ غَزْوَةُ مَزْعَرَانٍ مَعْلُومًا  
يا عَجَلَانَا رِيضُ<sup>١</sup> الْمَلْجُومِ رَايْتَ اجْنَابَ الشَّلَوِ<sup>٢</sup> مَوْشُومًا  
يا سَايِلْنِي عَنْ طَرَادِ الْيَوْمِ قِصَّةَ مَزْعَرَانٍ مَعْلُومًا

\* \* \*

يا سَايِلْنِي كَيْفَ ذَا الْقِصَّةِ بَيْنَ النَّصْرَانِي وَخَيْرِ الدِّينِ  
اجْتَمَعُوا فِي بَرِّهِمُ الْأَقْصَى بِجَيْشٍ قَوِي جَاؤَا مَتَهْدِينَ<sup>٣</sup>  
نَرَى سَفُونَ الرُّومِ مُحْتَرَسَهُ صَبَحُوا فِي الْمَنَا اَعْدَايَ الدِّينِ  
خَرَجُوا لَكَ لِلْبَرِّ خَرَجَ الشُّومُ وَانْجَلَدُوا مَنْ فَوْقَ وَجْهِ الْمَا  
غَيْرِ الْبَارِيَةِ وَوَكِيلِ الْقَوْمِ تَمْشِي لَكَ بِأَمْحَالٍ مُحْتَرَمًا

\* \* \*

اِحْتَاطُوا بِالْأَمْرِ شَنْظَاضُوسُ<sup>٤</sup> بِالشَّلِيَّةِ<sup>٥</sup> وَالْقُوسُ وَالْبَطَاشُ  
يَتَنَادَوُا وَتَحْلَفُوا بِجِيُوشِ جَيْشِ الْقَنَا<sup>٦</sup> الْكَافِرِ الْغَشَاشُ  
يَلْتَقِطُوا فِي الصَّيْدِ وَالْبَبُوشِ<sup>٧</sup> مَا خَلَدُوا مَنْ فَوْقَ الْبَسَاطِ اخْشَاشُ<sup>٨</sup>  
رَفَعَ رَأْسَكَ يَا عَلِيَّ الْمَفْهُومِ يَا سَيِّدَ الْحَسَنَيْنِ وَافْطِيْمَا  
شُوفْ بِلَادِنَا كَيْفَ رَأَاهَا الْيَوْمِ تَسْبِيحُهَا الْكُفَّارُ ظَالِمًا

\* \* \*

مَا بَاحُوا بِالصَّوْتِ الْأَشْطَنَا مَنْ زِيدُورُ لُوَادِ افْكَانُ<sup>٩</sup>  
قَطَعُوا سَيْقَ وَاتَوَجَّهُوا لِهَنَا زَادُوا بِالْحَرِّ كَةَ لِمَزْعَرَانِ  
ارْكَبْ فَارِسَ اسْبِقْ وَدَنَا بِالْتَعْرِيفِ يَبْشُرُ السُّلْطَانَ  
الْبَارِحَ يَقُولُ جَاتِ الرُّومُ يَا فَرَسَانِي عَاوُثُوا<sup>١٠</sup> انْتُمَا  
بِأَذْنِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَيُّومِ تَمْسِي بَيْتَ الْكُفْرِ مَهْدُومًا

\* \* \*

اسْتَعَدَّ السُّلْطَانُ بِالْحَرْكِهٖ  
اسْتَوْعَظَ فِي طَلَبَتِهٖ وَشَكَى  
وَاسْتَفْتَحَ بِالْبَرِّ وَالْبَرِّ كَهٗ  
ظَلَّ يَسِيرُ بَعْسَاكُرُهٗ وَالْقَوْمُ  
فِي أَمْرِهٖ جَاتِ الْعَرَبُ اطموم<sup>(15)</sup>  
صار لَفَيْتِ الْخَنْقَ<sup>(12)</sup> وَنَزَلَ  
وَمَشَى لِحُرْمِ الثَّعْلَبِي<sup>(13)</sup> وَدَخَلَ  
قَدَمٌ جَاءَ الْمُصْطَفَى وَرَحَلَ  
فِي وَطْنٍ مَتِيجَا<sup>(14)</sup> وَلُجَّ الْمَا  
سَلْطَانٌ عَادِلٌ طَاعَتْهُ الْأَمَّا

\* \* \*

طَبَّلَهُ عِنْدَ الشَّايِعَةِ<sup>(16)</sup> نَقَرُ  
جَاتِ خِيُولُ أَفْرِيقِيَا تَنْجَرُ  
مَنْ لَا ضَرَّهٗ اللَّهُ مَا يَنْضَرُ  
فِي زَكَارِ يَقِيمٍ<sup>(18)</sup> كَمْ يَوْمٌ  
أَخَذَ الْوَادُ الشَّايِعَ الْمَعْلُومُ  
وَأَعْلَامَاتِ النَّصَرِ مَنُشُودِهٖ  
وَفِرَاسِينَ الْحَرْبِ مَذْكُورِهٖ<sup>(17)</sup>  
لَوْ طَاحَتِ الْأَرْقَابُ مَنُصُورِهٖ  
لَنْ جَاءَتْهُ قِيَادُهَا وَرَمَا  
فِيهِ اضْلَانٌ<sup>(19)</sup> اسْوَيْدٌ<sup>(20)</sup> مَلْمُومًا

\* \* \*

جَاوَأَ شَيْوْخُ اسْوَيْدٍ لِلْسُلْطَانِ  
قَالُوا لَهُ يَا أَمِيرُ لَا تَلْيَانُ<sup>(21)</sup>  
اسْتَشْرَحَ سُلْطَانَانَا وَزِيَانُ  
صَبَحَتْ فِي الْحَوْضِ الْجِيُوشُ الْمَامُ<sup>(22)</sup>  
الْخَيْمَهٗ لِلتُّرْكِ غَيْرِ النَّجُومِ  
مَنْ بَنَى رَاشِدٌ وَآلُ اسْوَيْدٍ  
يَا مَغْرَاوَةَ اتَّحَزَمُوا لِلْكَيدِ  
يَا تَيْجَانَ الْحَرْبِ لَيْسَ بَعِيدُ  
وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَمُحَمَّدُ  
لَا دِينَ إِلَّا دِينُ مُحَمَّدٍ  
رَاهَا قَوْمَهُ الزَّاهِيَهُ تَرَعَدُ  
نَزَلَتْ ذَاكَ أَخْبَا وَدِي خَيْمًا  
وَالْخِيَامُ مِنَ الْجَزْ<sup>(23)</sup> مَقْيُومًا  
وَفِرَاسِينَ النَّطْحِ عَبْدُ الْوَادِ<sup>(24)</sup>  
مَنْكُمُ خَلَفَتْ سُلْطَانَانَا وَاجْوَادُ  
جَاهِدُ جَنَّةَ الْمِيعَادِ

ظَلَلْتُ بِاللَّيْمِ وَاللَّيْمُومِ<sup>(25)</sup>      فِيهَا رُجَالُ الدِّينِ مَكْرُومًا  
وَالْفَرْدُوسُ طُيُورٌ فِيهِ تَحُومُ<sup>(26)</sup>      وَسَنَادَسُ<sup>(26)</sup> فِي النَّوْعِ مَرْقُومًا

\* \* \*

طُلُ الْكَافِرُ لَيْنٌ<sup>(26)</sup> شَافَ النَّاسُ      حَقَّقَ فِي الْخِيْبَةِ مَنَى مَجْدُوبُ  
أَهْلُ التَّدْبِيرِ قَالَ لِلْفَرَطَاسِ<sup>(27)</sup>      إِذَا تَغَدَّوْا يَجِيُونَا بِرُكُوبُ  
ثُمَّ نَقْتَالُ الرَّأْسَ بَعْدَ الرَّأْسِ      حَقَّ الْحَقُّ وَلَا بَقَاتُ كَذُوبُ  
بَاتُوا الْكُفَّارَ حَارْمِينَ النَّوْمِ      وَمَزَامِيرُ الْقُنْتُ<sup>(28)</sup> مَغْمُومًا  
جَيْشُ بِلَا سُلْطَانٍ غَيْرِ يَهُومُ      ضَاقَتْ بِهِ أَجْنَاحُ مَعْدُومًا  
عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ حَلَّ الْكَارِ<sup>(29)</sup> \*      وَارْتَعَبُوا بِفَضَائِلِ الْجُمُعَةِ  
ذَا الرُّومُ غَشَى الْأَرْضَ كَالزَّخَارِ      وَاحْتَلَّ الْمِيدَانَ بِصُرْعِهِ  
جَيْشُ الْكُفْرِ ضَحَى عَلَيْهِ عَسَارُ      مِنْ يَغْنِيهِ الصُّورُ لِلْمَنْعَةِ  
فِيهِمْ قُوتُ الْهِنْدِ وَالْمَسْمُومُ      لَاحَتْ لِيهِ أَفْرَاسُ مَلْجُومًا  
السَّمِيتُ مِنَّا مَشَى مَرْحُومُ      وَاعْمَارُ الْكُفَّارِ مَذْمُومًا  
وَلَّى السَّمِيتُ فِي الْبَطَاحِ أَفْرَاشُ \*      \* \* \*  
بَيْضًا وَابْيَضَ لُونُ صَنْفِ الشَّاشِ      تَمْشِي الْخَيْلُ عَلَى سَيْبِ<sup>(30)</sup> الْخَيْلِ  
دَهْمًا وَادْهَمَ لُونُ سَوْدِ احْبَاشِ      زَرْقًا وَازْدَاقَ لُونُ شَبَةِ النَّيْلِ<sup>(31)</sup>  
وَاصْفَرَّ مَايَلُ تَنْسَى مَنْظُومُ      خَضْرَاً وَاخْضَرَ لُونُ شَبَةِ قَيْسِيلِ<sup>(32)</sup>  
حَمْرًا وَاحْمَرَ فِي الْخَصِيبِ تَعُومُ      فِي قَيْسِطَانِ أَحْرِيرٍ مَبْرُومًا<sup>(32)</sup>  
كَبَرُ لَمَرَسِ كُلُّهُمْ مَرِيرُ \*      وَابْقَعَ بَارِقُ غَازِيَا الشُّومَا  
أَمْرُنَا زَارُنِي كَرِيرُ \*      مَاتَ أَجْوَانُ وَزَادَتْ الطُّغْيَا<sup>(33)</sup>  
يَا جَارِي بِلَرْنِكَ فَيَا<sup>(34)</sup>

الْيَوْمَ طَارَ الْبَنْشُ بَنِيرٌ قَالَ فَلِبَنْشٍ مَادَرُ مِيَا<sup>35</sup>  
 حَزَنَاهُمْ لِلصُّورِ ذَاكَ الْيَوْمَ تِسْعَةُ آلَافٍ بَقَاتٌ مَغْنُومًا  
 مَنْ حَيْطَ الدَّشْرَةِ لِحَوْضِ الدُّومِ عَشْرَةُ آلَافٍ مَشَاتٌ مَحْطُومًا

\* \* \*

كَبُرَ لَنَفِ الْكَلْبِ رَأْسُهُ طَارُ<sup>36</sup> وَالرَّقَبَهُ مَنِ الْحَنْفِ مَقْطُوعَهُ  
 ضَرْبُهُ شَاطِرٌ حَطٌّ بِالْمَطْيَارِ يَلْغَى لَهُ بِأَصْوَاتٍ مَنْزُوعَهُ<sup>37</sup>  
 وَالْمَدْرَعِ فِي الْحَيْنِ سَارَ اشْطَارُ وَالشَّيْعَةِ بِالسَّيْفِ مَقْلُوعَهُ<sup>38</sup>  
 وَمَسَى الشَّارِبُ كُلَّهُ مَقْسُومٌ وَالسَّنَةِ بِالنَّطْحِ مَفْرُومًا  
 وَابْنِ النَّيْفِ الطَّابِعِ خَرْطُومٌ يَتَسَمَّى بِالْقَهْرِ مَوْسُومًا

\* \* \*

طُلَّ عَلَى الْفَرْطَاسِ يَوْمًا مَاتَ فِي الْمَغْرِبِ أَهْلُ الْخَزْيِ رَدْمُوهُ<sup>39</sup>  
 أَحْلَفَ لَهُمْ سَلْطَانًا بَثْبَاتٌ شَيَّبَتِ النَّارُ مِنَ الثَّرَى جَبْدُوهُ  
 احْتَنَطُوا بِالْقَاسِ وَالْمَسْحَاتُ لَيِّنٌ وَجَدُّوهُ مِنَ الثَّرَى جَابُوهُ<sup>40</sup>

صَمَوِيلُ مِنَ الْبُكَاءِ مَهْمُومٌ قَالَ كَلَامٌ وَزَادَ لَهُ الْمَا<sup>(40م)</sup>  
 فَرِغْنَا بِالْحَبْلِ مَحْزُومٌ وَيَغِيثُوهُ أَذْيَابٌ لِلْفَرَمَا<sup>(41)</sup>  
 صَبَحَتْ بَرْوَجُ الرُّومِ سَفَنُ عَلِيلٍ \* \* \* بُزْجٌ أَمْلُوبٌ فِي السَّمَاءِ عَمَّهْجُ<sup>(42)</sup>  
 بَعْدَ أَنْ شَافُوا أَنْصَارَ الْقَشْتِيلِ لَمْ تُخْبِرْ مَنْ فَوْقَ بَحْرِ الْمَوْجِ  
 لَنْ يَرْمَقُوهُ بَنَاتُ دَمْرَتِيلِ بَرُّ الْكُفْرَا كُلَّهُ مَخْلُوجُ<sup>(43)</sup>  
 يَضْحَى قُوتُ مَعَاشِهِمْ زَقُومٌ شَرَبُوا الْحَنْظَلُ بَعْدَ طَيْبِ الْمَا  
 اقْتَلْنَا مَنْ كَانَ قَائِدَهُمْ وَاصْحَابِهِ بِالْكَثْرَةِ بَاقُوا تَمَّا

\* \* \*

وَايُنْ أَصْحَابُ الْفَنَاءِ ذُو الْإِنْسَانِ<sup>44</sup>      وَايُنْ الْقِسَاسِينَ وَالرَّهْبَانُ  
 وَايُنْ الْقِسَاسِينَ وَالرَّهْبَانُ      حَشَاءَ رُوحِ رَبِّنَا الرَّحْمَانُ  
 حَشَاءَ رُوحِ رَبِّنَا الرَّحْمَانُ      مَنْ هُوَ مَنْ فَرَسَانِ ذَاكَ الْقَوْمُ  
 مَنْ هُوَ مَنْ فَرَسَانِ ذَاكَ الْقَوْمُ      تَرْجَاهُ الْإِسْلَامِ لَنْ يَقُومَ  
 تَرْجَاهُ الْإِسْلَامِ لَنْ يَقُومَ      طُلَّ عَلَى الْكُفَّارِ يَوْمَ السَّبْتِ\*  
 طُلَّ عَلَى الْكُفَّارِ يَوْمَ السَّبْتِ\*      خَرَجُوا لَكَ مِنْ بَابٍ مَزْعَرَانُ\*  
 خَرَجُوا لَكَ مِنْ بَابٍ مَزْعَرَانُ\*      وَالْأَدَوْدُ أَطْلَوْهُ بِالْقَطْرَانُ  
 وَالْأَدَوْدُ أَطْلَوْهُ بِالْقَطْرَانُ      اخْذِ النَّارَ وَرْجِعْ بِالْأَمَانِ  
 اخْذِ النَّارَ وَرْجِعْ بِالْأَمَانِ      فَزَعَتِ لِلْكَفَّارِ يَا فُهِمَا  
 فَزَعَتِ لِلْكَفَّارِ يَا فُهِمَا      وَأَنْهَدَتِ وَلَدَانِ مَقْطُومَا  
 وَأَنْهَدَتِ وَلَدَانِ مَقْطُومَا      \* \* \*  
 \* \* \*      وَالْبَعْضُ مِنَ النَّاسِ مَا حَضَرُوشُ  
 وَالْبَعْضُ مِنَ النَّاسِ مَا حَضَرُوشُ      كَثْرَةُ ذُوكِ النَّاسِ مَا صَبَرُوشُ  
 كَثْرَةُ ذُوكِ النَّاسِ مَا صَبَرُوشُ      مَا وَجَدُوا فِي السُّوقِ مَا يَشْرُوشُ  
 مَا وَجَدُوا فِي السُّوقِ مَا يَشْرُوشُ      لَا هَتَفَهُ فِي الصُّورِ لَا فَرَمًا<sup>46</sup>  
 لَا هَتَفَهُ فِي الصُّورِ لَا فَرَمًا<sup>46</sup>      حَايِلُ بَيْنِ الصَّيْدِ وَالْمَرَمَا<sup>47</sup>  
 حَايِلُ بَيْنِ الصَّيْدِ وَالْمَرَمَا<sup>47</sup>      \* \* \*  
 \* \* \*      أَخْلَفَ الثَّارَ مِنَ الْعَدُوِّ تَحْقِيقُ  
 أَخْلَفَ الثَّارَ مِنَ الْعَدُوِّ تَحْقِيقُ      بَغْنَائِمٍ شَتَّى وَنَصَرَ لَبِيقُ  
 بَغْنَائِمٍ شَتَّى وَنَصَرَ لَبِيقُ      يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي مَسْلَكَ وَطَرِيقُ  
 يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي مَسْلَكَ وَطَرِيقُ      شَافَ بِشُوفِهِ وَالْغُرَابُ عَمًا<sup>48</sup>  
 شَافَ بِشُوفِهِ وَالْغُرَابُ عَمًا<sup>48</sup>      مَا رَفَرَفَ شَيْءٌ بِالْجَنَاحِ يَقُومُ\*  
 مَا رَفَرَفَ شَيْءٌ بِالْجَنَاحِ يَقُومُ\*      \* \* \*  
 \* \* \*

اللَّهُ يَرْحَمُ قَائِلَ الْآيَاتِ الْكَحَلِ وَاسْمُ بُوهِ عَبْدُ اللَّهِ  
الْمَشْهُورِ اسْمُهُ مِنَ الْفَيَاتِ مَغْرَاوِي جَدَّةَ رَسُولِ اللَّهِ  
وَأُمِّهِ مِنْ بَيْتِ مُحَسِّنَاتِ الْيَعْقُوبِيَّةِ لَالَاءِ خَوْلَةِ  
اللَّهُ يَرْحَمُ أَهْلَ ذَا الْمَنْظُومِ وَالْقَارِي وَالْحَافِظُ دِيمَا

يَرْحَمُ نَاسُهُ مِنْ اخْيَارِ الْقَوْمِ خَيْرِ الدِّينِ وَسِيلَةَ الرَّحْمَا  
يَا سَايِلْنِي عَنْ طَرَادِ الْيَوْمِ قِصَّةَ مَزْغَرَانَ مَعْلُومًا

\* \* \*



## شرح بعض الألفاظ

- 1- ريض : توقف واسترخ، وكأن أصلها من كلمة راث، وفي المثل : رب عجلة وهبت ريثا.
- 2 الشلوي : تطلق على الفرس الذي يطارد به في الحرب
- 3 طراد : قتال، حرب
- 4- متهددين : مهددين
- 5 شنظاضوس: هي الكلمة الإسبانية Soldados أي جنود.
6. الشلية : هي الكلمة الإسبانية Silla ومعناها الكرسي أو السرج
- 7- جيش لقنا : هكذا في الديوان المطبوع، وقد تكون جيش الفنا
- 8- البيوش : هو الحزون في لسان أهل المغرب
- 9 اخشاش : خشاش أي الحشرات
- 10- الاشطنا : إلى شطنا أي شاطننا وزيدور وواد أفكان موضعان بالجزائر..
- 11- عاولوا : عولوا أي استعدوا
- 12- في المطبوع : الغيب الحق، وهوتحريف، ولعل صوابه ما أثبتناه، والخنق هي خنقة سيدي ناجي بناحية قسطينة وقد اشتهرت بمدرستها وطلبتها الذين أشار إليهم صاحب الزجل في البيت الثاني (رحلة الورتلاني : 17).
- 13- الثعلبي : هو سيدي عبد الرحمن الثعالبي صاحب الضريح المشهور في مدينة الجزائر.
- 14- متيجة : اسم سهل كبير يحيط بمدينة الجزائر.
- 15- اطموم : بكثره، يقال : فلان له الطم والرم أي المال الكثير.
- 16- الشايعة : الفضيحة.
- 17- وفراسين : وفرسان.

- 18- زكار : اسم جبل في إقليم بجاية.
- 19- في الديوان المطبوع : أضلان بالضاد وشرحها ناشر الديوان بقوله شجاع، ذو الباس يوم الرحى، ولست أدري أين وجد هذا الشرح، وأظن أنها أضلان أي أصلاء أما الواد الشايح فهو حسب هذا الناشر واد شلف.
- 20- سويد : قبائل عربية من بطون زغبة.
- 21- لاتليان : لا تلن ولا تضعف.
- 22- المام : أي مجتمعة.
- 23- الجز : الصوف.
- 24- بنو راشد. بطن من زناتة كانوا يستوطنون الجبال الموجودة شرقي تلمسان.
- 25- الليموم : الليمون.
- 26- سنادس : جمع سندس وهي نوع من الثياب ذكرت في القرآن الكريم.
- 26م- طل : أطل، لين شاف : لما رأى.
- 27- الفرطاس : الاقرع الأصلع ولعله لقب قائد ذلك الجيش الاسباني وهو  
Le conte d'Alcaudete
- 28- القنت : Le comte
- 29- الكار : رجال الحرب.
- 30- سبيب الخيل : شعر الخيل.
- 31- الشاش : ثوب من القطن. والنيل : النيلة.
- 32- قسيل : قصيل وهو الزرع عندما يكون أخضر.
- 32م- تنسي : من مدينة تنس وقيطان : خيط مبروم.
- 33- مرير : كلمة إسبانية معناها ميت Morir والمرس هو مرس وهران الذي كان يحتله الاسبان.
- 34- مُرنا : كلمة إسبانية معناها سمراء Morena.
- 35- البنش : شرحها ناشر الديوان بالولد الصغير.
- 36- كبر لنف : اسم رئيس من المغيرين.



- 37 شاطر : ساطور.
- 38 المدرع : لابس الدرع والشيعة : الميدالية.
- 39 الفرطاس : الأصلع لعله لقب أحد رؤساء المغيرين.
- 40 لين وجدوه: لما وجدوه.
- 40م- صمويل : اسم علم وكلمة ألما لعلها alma أي روح.
- 41 فرغنسا : اسم علم محرف.
- 42 القشتيل : الحصن.
- 43 دمرتيل : اسم علم محرف، مخلوج..
- 44 يبدو أنه اسم محرف.
- 45 دود : جمل.
- 46 هتف فرما = ثقبة.
- 47 يشوارفه : يشرفانة.
- 48 الطرشون باز صغير.



# قصيدة البونية لمن اسمه ولد عمر<sup>(1)</sup>

---

1- شاعر شعبي جزائري لا يعرف عنه شيء

- اشتهرت مدينة الجزائر - مثل مدينة سلا - بما يسميه الأوروبيون القرصنة ويسميه المسلمون بالجهاد البحري، ولهذا كانت المراكب المسيحية تغير عليها وترميها بالقنابل وقد أشار إلى هذا ابن زاكور الفاسي الذي زار مدينة الجزائر في آخر القرن الحادي عشر الهجري وأعجب بجمال طبيعتها وآداب أهلها فقال في ديباجة رحلته : «وإنه لما منَّ علي المولى الكريم، ذو الفضل السابغ العظيم، بدخول مدينة الجزائر، ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيتها النواضر، التي غصَّ بيهجتها كل عدو كافر، فلذلك يتربصون بها الدوائر، ويرسلون عليها صواعق لم تعهد في الزمن الغابر» والمقصود بهذه الصواعق القنابل التي سميت بالكور في القصيدة السلوانية السابقة وسميت بالبونبة في هذه القصيدة، ويقال أيضا البومبة وهي في الإيطالية والإسبانية Bomba.

وقصيدة البونبة أو قصة البونبة قيلت بمناسبة قيام مراكب بحرية دانماركية بقنبلة مدينة الجزائر في شهر صفر من سنة 1184 للهجرة وهذا يوافق شهر يونيو سنة 1770 ميلادية وكان ذلك في عهد الداوي بابا محمد الذي طرد قنصل الدانمارك المسمى Darbois بسبب تأخر دولته أو تخلفها عما كانت تقدمه إلى الداوي كل عامين في مقابل عدم التعرض إلى سفنها؛ ولما طرد القنصل قرر البلاط الدانماركي توجيه بعض السفن الحربية لقنبلة الجزائر وقد ساق فانيان (Fagnan) في مقدمة ترجمته قصيدة البونبة خبر هذه الحادثة وذكر أن الناس خافوا لما ظهرت تلك السفن فخرجوا من دورهم ولكنهم ما لبثوا أن رجعوا إليها حين ظهر أن القنابل لم تكن تصل إلى المدينة، وهكذا فشل هجوم الدانماركيين وقاموا في الأخير بدفع تعويض من المال والسلاح.

أما ناظم القصيدة التي سجلت هذا الحدث فإنه مجهول، ولا نعرف إلا أنه ولد عمر كما ذكر في آخر قصيدته وقد ذكر صديقنا الدكتور أبو

القاسم سعد الله أن معظم أصحاب الشعر الشعبي في الجزائر مجهولون، ويبدو من بنية القصيدة أن صاحبها كان متأثراً بالشاعر الشعبي الجزائري الشهير الأكل بن خلوف المعروف بالأخضر، وذلك في قصيدته قصة مزگران التي سبق ذكرها، والقصيدتان متشابهتان في الموضوع فأحدهما تتحدث عن مصير الهجوم البحري الإسباني على بلدة مزگران والأخرى تصف فشل الهجوم الدانماركي على مدينة الجزائر، كما أن الشبه واضح بين هاتين القصيدتين وبين القصيدة السلوانية الآتية، ويظهر ذلك في التوسل بالأولياء والصالحين وطلب النجدة والغوث منهم وذكر مشاركتهم وهم أموات في ضرب الأعداء ونسبة ما كان من نصر على هؤلاء الأعداء إليهم، يقول هذا الشاعر المجهول :

كل ولي يرمي بمدفعو      ما يخطي من قابلو مطن  
بعد ما كانوا فزعو      اتفق نصر لهذا الوطن

ولكل ولي من الأولياء الذين توجد أضرحتهم في مدينة الجزائر سلاح يدافع به عن المدينة :

أولهم سيدي الثعالبي      هو السيف وصور حرّمها

ولسيدي أحمد بن عبد الله الأسد عكاز من شجر الزان إذا ضرب به أحدا هلك ولا يبقى له وجود :

ابن عبد الله صيد نعرفو      جاب في يده زانا  
من ضرب بها يتلفو      ما يظهر لآنا

أما ولي الله سيدي ديدي الذي يقع ضريحه خارج باب الواد فهو الذي يأمر البحر أن يطمو فتهيج أمواجه وتكسر سفن العدو حتى تبقى ألواحها عائمة :

جات سفن الروم قبلها      جا للبحر وقال له اطمأ  
هاج البحر كسر سفونهم      وبقات غير ألواح عايما

ويستوقفنا في هذه القصيدة نعت مدينة الجزائر بالبهجة وهو نعت تعرف به مدينة مراكش، وكذلك ذكر الرجال السبعة :

والرجال السبعة اتفقو      جاو في غيظ أشجان

ومن المعروف أن الرجال السبعة معروفون بأسمائهم وترتيبهم في مدينة مراكش، أما هؤلاء المذكورون في هذه القصيدة فيقال إنهم سبعة إخوة استشهدوا وهم يردون هجوم النصارى في يوم واحد وتوجد قبورهم بالقرب من مقبرة النصارى خارج باب الواد.

وبعد فإن الذي نجده في هذه القصيدة وفي القصيدة السلوانية من توسل بالأولياء ونسبة الكرامات والخوارق إليهم يوجد مثله في عدد كبير من القصائد العامية والشعر الفصيح الذي قيل في العصور المتأخرة وهو يعكس حال المجتمعات الإسلامية في تلك العصور، وقد انتقدت ذلك الحركات السلفية التي ظهرت في مختلف جهات العالم الإسلامي ونشير في آخر هذا التقديم الموجز إلى أننا لا نجد في هذه القصيدة الانتقاء في الألفاظ والإتقان في البناء والإعتناء بالقوافي وغير ذلك مما نراه في قصائد الملحون المغربي، وفيما يلي نص القصيدة :

بِسْمِ اللَّهِ نَبْدِي عَلَى وَفَا ذَا الْقَصَّةَ تَعْيَانَا<sup>1</sup>  
 قِصَّةَ ذَا الْبُونِبَةِ الْمُتَلَفَا كَيْفَ جَابُوهَا اَعْدَانَا  
 وَاضْحَاوَا عَلَى الْبَعْدِ وَاقِفَا<sup>2</sup> مَا قَسْرَبُ احْدَانَا  
 يَا رَبُّ يَا عَالَمُ الْخَفَا اهْزَمَ جَيْشُ اَعْدَانَا<sup>3</sup>

\* \* \*

اسْتَمِعْ يَا قَوْمُ مَا اطْرَا<sup>4</sup> فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ نَعِيدُهُ  
 قِصَّةَ ذَا الْكُفَّارِ دِينَ الْمَرْكَ<sup>5</sup> اخْزِيُوْ جَدَّهُ  
 حِينَ امْشَاتْ لَهُمْ بِلَاكْرَا غَنَمُوهَا الْاِسْلَامَ كَثِيرُهُ  
 فَازُوا بِغَنِيمِهِ مَزْخَرَفَا بِالْأَرْزَاقِ اَمْلَانَا<sup>6</sup>  
 جَاتْ سَفْنُ الرُّومِ حَالَفَا اَنْ يَعْسُوا ابْتَاْعْنَا<sup>7</sup>

\* \* \*

حَلَفُ بِإِمَانَاتٍ كُفْرَهُمْ حَتَّى اَنْ يَعْطِيُوا مَا مَشَا<sup>8</sup>  
 وَالْأَنْهَدَمُ بِأَدَدِهِمْ جَاوَا بَذَا الطُّعْمَةَ مُحْرَشَا<sup>9</sup>

1- تعيانا أي معاينة ومشاهدة

2- البونبا : القبلة من الكلمة الإيطالية Bomba، واقفا : أي واقفين.

3- ورد هذا الشطر مكررا في الأصل.

4- ما اطرا : ما حدث ووقع وأصلها : ما طرا.

5- دين المرك : دانمارك.

6- يشير إلى المراكب الدانماركية التي غنمها المجاهدون الجزائريون مملوءة بالأرزاق.

7- أي أن يراقبوا سفننا

8- بإمانات : أي بإيمان.

9- الطُعْمَةُ : في الأصل : الطعمة. والطغمة : الجماعة ومحرشا : مفتاظة.

لَكُفَّارٍ ابْلِيسُ غَرَّهُمْ ظَنُّوا فِي الْبَهْجَةِ مَشَوْنَا<sup>١</sup>  
 خَذَلَهُمْ رَبِّي وَدَلَّهُمْ لِاصْلَاحِ لاسْلَامِ كَيْفَ شَأْ  
 كَرَمْنَا رَبَّنَا عَلَى صَفَا لِلْجِهَادِ ادْعَانَا  
 اَجْرُنَا مَحْسُوبٌ بِالْوُفَا وَاحْنَايَا فِي اِبْلَادِنَا<sup>٢</sup>

\* \* \*

وَكَيْفَ اَحَقُّ الْكُفَّارُ يَفَارِصُوا ارْسُوا عَلَى الْبُعْدِ كُلُّهُمْ<sup>٣</sup>  
 ،وَبَعْدَمَا ارْسُوا وَرَبَّصُوا يَنْظُرُوا فِيمَا يَفِيدُهُمْ<sup>٤</sup>  
 جَا لَهُمْ مَرْسُولٌ قُونَصُوا مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ سَانَهُمْ<sup>٥</sup>  
 قَالَ لَهُمْ جِيَتْ تُفَرَنْصُوا وَالَا تَبْغُوا الصَّلْحَ مِنْهُمْ<sup>٦</sup>  
 قَالُوا جِينَا مَكْلَفًا لَطِرَادُ وَتَعْيَانَا<sup>٧</sup>  
 لَا نَصْطَلِحُ بِلَا جُفَا يَعْطِيُونَا ارْزَاقِنَا

\* \* \*

كَيْفَ اسْمَعَ السُّلْطَانُ ذَا الْخَبَرِ اغْتَاضُ وَلَا آبَالِي كَلَامَهُمْ<sup>٨</sup>  
 قَالَ لَهُمْ نَعْطِيهِمُ الْكُورُ وَاللَّهُ يَا لَوْ يَجِيُوا كُلُّهُمْ<sup>٩</sup>  
 مَا نَرْضَى نَعْطِيهِمُ الْحَجَرَ يَحْرِقُ بِأَبَاهُمْ وَجَدَهُمْ  
 أَمْرٌ فِي السَّاعَةِ بِالْبَيْتَرِ جَاءَتْ رِجَالُ الْحَرْبِ كُلُّهُمْ<sup>٩</sup>

١. البهجة : نعت لمدينة الجزائر.

٢. وحنايا : ونحن.

٣. يفارصو : يسرعون في سيرهم

٤. وربصو : تربصوا.

٥. مرسول مرسول، رسول، وقونصو قنصل. وفي حاشية الترجمة الفرنسية أنه فاليري قنصل فرنسا

٦. تفرنصوا . تحاربون

٧. مكلفا : أي مكلفون، لطراد أي للقتال،

٨. ولا آبالي : أي لم يبال،

٩. بالبتتر : أي في الحين، وفي المطبوع : بالفتى.

سَلْطَانُ الْبَهْجَى الْهَيْمًا      بِجَيُوشِهِ الْفَتْحَانَا  
عَذَابُ الْكَفَّارِ كَافًا      مِنْ نَصَرُوا مُؤَلَانَا<sup>1</sup>

\* \* \*

كَيْفَ شَاقَ السُّلْطَانُ ذَا الْعَدَمِ      نَادَى لِأَهْلِ الْحَرْبِ كُلِّهِمْ<sup>2</sup>  
قَالَ لَهُمْ أَهْيَا وَاجْعِدُوا      فِي الْأَبْرَاجِ الَّتِي يَخْتَصِمُ<sup>3</sup>  
وَأَمْلَاهُمْ بِرُجَالٍ يَسُوكِدُوا      مِنْ كُلِّ صَنَائِعِ مِنْ أَهْلِهِمْ  
وَالْمَدَافِعِ نِيرَانٍ يَوْقَدُ      يَضِيئُوا الَّتِي جَا قَبَائِلَهُمْ<sup>4</sup>  
يَرْمِيُوا عَلَى كُلِّ شَايِفَةٍ      مِنْ بَرْجٍ وَطُوبَسَانَا<sup>5</sup>  
وَالرُّجَالُ عَلَى الْحَرْبِ وَاقِفًا      كَسَالِ السَّبُوعِ غَسَقَتِهَا نَا<sup>6</sup>

\* \* \*

وَلَّتْ الْبَهْجَى كَرَمًا الْجَمْرِ      تَرَفَّى الْهَوْتَ بِنَارٍ شَاعِلَةٍ<sup>7</sup>  
تَحْرَقُ مِنَ الْإِيمَادِ مِنْ كَفَرٍ      بِانْقَاضٍ أَسْبُوعٍ مَقْبِلَةٍ<sup>8</sup>  
وَعَدُوَهَا لَوْ جَارَ يَسْكُورُ      وَجَيُوشُهُ يَضْحَاوُ فَاثِلَةٍ  
الْبَهْجَى مِنْ حَارَتِ النَّصْرِ      طَنُوهَا أَنْخَرِيَانِ سَاعِلَةٍ<sup>9</sup>  
جَاوَأَ لَهَا يَسْفُونَ عَسَاجِمَهَا      قَحَسَايِهِمْ جَسَسَاتِنَا<sup>10</sup>

1. الهيفا : اليفاء : الجميلة.

2. أهياو . كلمة نداء، يالله، هيا ايها.

3. شايفه : أي على كل ما تراه العيون. وبرج . اسمها بارجية رحاومان . نوع من المد.

4. كما الجمر : أي كالجم.

5. انفاض : مدافع.

6. من حازت : أي لنا حارث. والخريان . المخربون . المدمرون.

7. يسفون عاجفه : أي سواك طلبة الشر . وجبانة . مقبرة. اي عاشوا أن أهل الجزائر كالمتي.



لَنْ وَلَّتْ تَرْمِي مَرَادِفَا      بصواعق نيرانا<sup>1</sup>  
أَمَا يَدْرِي الْكُفَّارُ كُلُّهُمْ      بأن البهجي هي عذابهم<sup>2</sup>  
دِيمَ تَخَلَّ فِي بِلَابِهِمْ      بهيات القراصنا<sup>3</sup>  
عَسْكَرُهَا مَعْلُومٌ عَنْدهُمْ      يزضّمُ بسيوف أخشاننا<sup>4</sup>  
جَاوًا بَنِينَ الرُّومِ يَحْسَبُ\* \*      بلد الجير بقات سايبه<sup>5</sup>  
اعْيَاوَا الْكُفَّارُ يَكْذِبُ      بالمدافع يرميو بونبه<sup>6</sup>  
مَا لِحَقُ فِيمَا تَعَذَّبُوا      وامشات الخزيان خايبه<sup>7</sup>  
وَاللَّهِ يَا لَوْ كَانَ قَرَبُو      لصاروا حيطان رايبه<sup>8</sup>  
لَكِنْ قَوْمُ الرُّومِ خَائِفَا      شافوا الموت عيانا<sup>9</sup>  
مَا صَابُوا لِلصَّلْحِ سَعَفَا      ومشاو في إهانا<sup>10</sup>

\* \* \*

كَيْفَ شَافُوا كَيْمَا يَصْدَرُ      العسكر ذا الكفار ظنهم<sup>1</sup>  
صَارُ فِي حَيْرَةٍ يَدْبَرُ      في ذا الرأي وضاق أمرهم<sup>2</sup>  
مَا صَابُوا مَنْ هُوَ يَشَاوُرُ      للصّح ولا من يفيدهم<sup>3</sup>  
بَعْدَ مَا كَانُوا تَنَاصَرُوا<sup>4</sup>      اخذلهم ربي وذلهم<sup>5</sup>  
وَالسُّلْطَانُ اللَّهُ يَنْصَرُو      عازم للزّمة<sup>6</sup> بشرهم<sup>7</sup>

1. لن ولت : أي إلى أن صارت
2. القراصنا: القراصنة جمع قرصان Corsaire.
3. أي يهجمون بسيوف عريضة خشنة.
4. الجير : الجزائر (نطق أوروبي) Algire.
5. رايبه : مهدمة.
6. سعفا : إسعاف، مساعفة، سبيل.
7. ما صابوا : ما أصابوا أي ما وجدوا.
8. تناصرو : انتصروا.
9. للزّمة : للصدمة.

وصاً صال<sup>١</sup> اعجب ما نفع الاسلام اعاناً  
بمدافع فوقه مكلفاً يهزم به اعداناً

\* \* \*

يوماً به ابغوا<sup>٢</sup> يزض<sup>٣</sup> الاسلام بلاد شك عازمين  
عرفوا الكفار عوموا<sup>٤</sup> ذاك اليوم امشوا هاربين  
والله يا لو كان دأوموا لكانوا الكفار حاصلين  
يا رب بجاء من اسمو محمد الصادق الأمين  
احمي مزغنه<sup>٥</sup> من الآفا واجعلها مطمئناً  
بجاء الي فيها من اهل العفا الرجال العياناً<sup>٦</sup>

\* \* \*

اتفقت الاسلام للجهاد وصار بالفرح يخدم  
في المتارز خادين عناد<sup>٧</sup> بلاد سيف القوم يعزم  
وأهل العلم مصابح البلاد معهم زادوا تحزم  
تبات الرياس<sup>٨</sup> واقفا تربط في الميزاناً  
بقلوب على الحرب لاهفا ما هم شي شبعاناً

١. فيه خلل ونقص، وفي ترجمته الفرنسية ما يلي :

Il avait ordonné de construire un radeau et de l'armer de canons pour aller attaquer les vaisseaux ennemis.

٢. يزض يصدمون

٣. عومو : أبحروا .

٤. مزغنة : مدينة الجزائر، ويقال لها جزائر بني مزغنة وبنو مزغنة : القبيلة التي كانت تسكنها .

٥. العيانا : الاعيان، ويقصد بهم الأولياء الصالحين .

٦. في المتارز : في المتاريس . خادين عناد : أي يتنافسون وبلا سيف أي بدون ضغط ولا إكراه .

٧. الرياس : جمع ريس : وهم رؤساء البحر، وتربط في الميزاناً أي تصوب المدافع

كَيْفَاش<sup>1</sup> الْكُفَّارُ يَطْمَعُ فِي الْبَهْجَى سَلْطَنَةِ الْمَدَنِ  
 مَنْ فِيهَا رُجَالٌ يَدْفَعُوا عَنْهَا كُلَّ بَلَدٍ مِنَ الْفَتَنِ  
 كُلُّ وَلِيٍّ يَرْمِي بِمَدْفَعٍ مَا يَخْطِئُ مَنْ قَابَلُوا مَطْنُ  
 بَعْدَ مَا كَانُوا فَزَعُوهُ اتَّفَقَ نَصْرُ لِهَذَا الْوَطَنِ  
 وَرُجَالُ الْبَهْجَى مُسَاعِفًا مَا تَغْفَلُ سَهْرَانَا  
 انْتَبَهَ فِي الْخَلْقِ رَايِفًا بِالطَّلَبِ وَالْإِحْسَانَا

\* \* \*

أَوَّلَهُمْ سَيِّدُ الثَّعَالِبِيِّ<sup>2</sup> هُوَ السَّيْفُ وَصُورُ حُرْمَتِهَا  
 بَحْرُ الْعِلْمِ خَلِيفَةُ النَّبِيِّ صَاحِبُ الْأَسْرَارِ وَالْبَهَا  
 بِحَدِيثِهِ تَفَجَّى كُرَايِسِي نَوَّارُ الْحَضْرَةِ وَسِرِّهَا  
 غَايَةُ مَقْصَدِي وَمَطْلَبِي سَلْطَانُ أَهْلِ السَّرِّ كُلِّهَا  
 فِي حِمَاةِ الْبَهْجَى مُشْرِفٌ وَبُسْجَاهُ مَطْمَمانَا  
 صَاحِبُ الْأَسْرَارِ وَالْبَهَا حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَنْسَانَا

\* \* \*

سَيِّدِي بُوْجَمَعَهُ مَسَاعِفُو شَيْخُهُ مَا يَبْغِي يَكْلِفُهُ<sup>3</sup>  
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَيْدٌ نَعْرِفُو جَلَبٌ فِي يَدِهِ زَانَا<sup>4</sup>  
 مَنْ ضَرَبُ بِهِائِتَلَفُو مَا يَظْهَرُ لِأَنَّا

1. كيفاش : كيفما - كلها

2. هو أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي صاحب الضريح الشهير في مدينة الجزائر.

3. سيدي بوجمعه : من أولياء مدينة الجزائر، وهو مدفون في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

4. هو سيدي أحمد بن عبد الله من أولياء مدينة الجزائر، وقبره خارج باب الواد بمقربة من البحر، والصيد : الأسد، وزانا : عصا أو هراوة من الزان وهو شجر معروف.

سيدي الكتّاني نَحَقُّ دَائِمًا مَدْفَعٌ مَا لَحَقُ...<sup>1</sup>  
 والرجالُ السَّبْعُ اتَّفَقُوا جَاوًا فِي غَيْظِ اشْحَانٍ<sup>2</sup>  
 سيدي السعدي ما يَفَارِقُوا سَيْفُ لَاهِلِ الْجَوَانِ<sup>3</sup>  
 هَا دُو هُمَا صُورُ حُرْمَتِهَا وَالْيَ فِيهَا رِجَالُ قَائِمَةٍ<sup>4</sup>  
 سيدي الفاسي ما يَهُونُهَا وَالْجُودَى بِحُمَاهُ سَالِمًا<sup>5</sup>  
 وَلِي دِيدي صَيْدٌ فِدَاهَا وَاسَا الْكُفَّارُ مَعْظَمًا<sup>6</sup>  
 جَاتُ بَنِينَ الرُّومِ قَبْلَهَا جَا لِلْبَحْرِ وَقَالَ لَهُ اطْمَأْ  
 هَاجُ الْبَحْرُ كَسْرٌ سَفُونُهَا وَابْقَاتُ غَيْرِ الْوَاحِ عَائِمًا  
 عَبْدُ الْقَادِرِ حَرَمُهَا الْكَفَا هُوَ الْيَ يَرْعَانَا<sup>7</sup>  
 واهل الله فِيهَا مُجَاوِفًا حَاشَا تَلَقَّا الْهَانَا

\* \* \*

جَازَتْ نَزْهَةً فِي بِلَادِنَا وَالْأَبْرَاجُ تَبَاتُ زَاهِيَا  
 بَاكِيَاتَرُ وَمُضَارِبُ الْغَنَّا وَالرَّجَالُ عَلَى الْحَرْبِ مَاضِيَا<sup>8</sup>

- 
1. هو سيدي أحمد الكتّاني له قبر بقرب البحر خارج باب الواد.
  2. هم إخوة شهداء توجد قبورهم بالقرب من مقبرة النصارى خارج باب الواد.
  3. هو أيضا مدفون خارج باب الواد.
  4. أي هؤلاء هم سور حرم الجزائر.
  5. سيدي علي الفاسي وسيدي علي الجودي لكل منهما ضريح في مدينة الجزائر بالقرب من باب الواد.
  6. الولي ديدي كان يعيش عند نزول شارلكان بالجزائر سنة 1541م ويقول الجزائريون إنه في هجوم سابق دعا فهاج البحر ودمر الأسطول الإسباني، ويوجد ضريحه بالقرب من دار القنصلية الفرنسية القديمة.
  7. هو مولاي عبد القادر الجيلاني دفن في مدينة بغداد، وله مزارعة في مدينة الجزائر خارج باب عزون.
  8. كياتر : جمع كيتار من آلات الموسيقى.

الْأَغَا وَاصْحَابُهُ مَشْحَانَا نِيرَانُ عَلَى الْحَرْبِ قَوِيًّا  
وَالْخَزَنَةُ جِي صِيدَ كَامِنًا وَاصْحَابُهُ اسُودُ ثَانِيًا  
زِيدُوا الْوَكِيلَ خَرَجَ فِي الثَّنَا سَلْطَانُ الْمَرْسَةِ الْمَسْوِيًّا  
وَالْخَوْجَةُ مَنْ فَازَ بِالْهَنَاءِ وَاعْثَمَ سَرُّ الْجُودِ وَالْحَيَا  
هَادُوا هُمَا أَهْلُ السَّلْطَنَةِ لَطِرَادُ الْكُفَّارِ هَاوِيًّا  
تُبَاتِ الرِّيَاسُ وَاقْفَا مَا يَغْفُلُ سَهْرَانَا  
بَقْلُوبَ عَلَى الْحَرْبِ لَاهِفَا تَخْفَقُ كَالْعُقْبَانَا

\* \* \*

بِالْحَمْدِ نَخْتَمُو ذَا الْقِصَّةِ وَبِالسَّفَرِ وَالطَّرَبِ  
وَالصَّلَاةِ عَلَى الَّذِي اسْمُو مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ أَوْفَرُ الْعَرَبِ  
مُحَمَّدٌ مَنْ فِيهِ نَغْنَمُو رِضْوَانُ الْمَوْلَى بِلَا كُذْبِ  
صَلُّوا يَا أُمَّةَ وَسَلِّمُوا وَالتَّزَمُوا بِالصَّلَاةِ وَالْأَدَبِ  
صَلَاةَ دَائِمِهِ مَضَائِفَا مَا دَامَتْ الْأَقْرَانَا  
وَعَلَى آلِهِ كَافَا وَاصْحَابُهُ السَّعْيَانَا

\* \* \*

١. الأغا قائد الخيالة وأمر الجيش، والخزنجي صاحب بيت المال ووكيل الخراج كان بمثابة وزير البحر، والخوجه كان عندهم صاحب الخيل وهؤلاء هم أصحاب السلطة بعد الداي، وإذا مات الداي يختار خلفه من بين الثلاثة المذكورين. ويلاحظ أن الشاعر قدم أصحاب السلطة الروحية وآخر أصحاب السلطة الزمنية وقوله لطراد الكفار هاويا يعني أنهم راغبون ومتعطشون لقتالهم  
٢. العيان الأعيان

تَمَّتْ ذَا الْقِصَّةِ الْمَوَافِقَا فِي شَهْرِ الْمَوْلُودِ عَزَّ يَقِينٌ<sup>١</sup>  
بَعْدَ الْمَايَةِ وَالْأَلْفِ لَاحِقَا فِي الرَّابِعِ مِنَ الثَّمَانِينَ<sup>٢</sup>  
تَارِيخُ الْبُونَبَةِ الْمُحَقَّقَا سُقُطَ ظَاهِرُ يَا سَامْعِينَ<sup>٣</sup>  
وُلِدَ عَمْرٌ يَبْغِي كَمَا شَقَا تَدْعُو لَهُ بَدْعَا صَالِحَ زَيْنٍ<sup>٤</sup>  
مَدَحَ الْهَادِي الْمُصْطَفَى يَبْغِي يَا إِخْوَانَا  
فِي حَمَا سَيِّدِ الْخَلْقِ يَعْتَفَى وَالْحَضَارُ<sup>٥</sup> مَعَانَا<sup>٦</sup>  
وَجَمِيعِ الْإِسْلَامِ كَافَا فِي الْجَنَّةِ مَسَاوَانَا<sup>٧</sup>



١- يعني عام ١١٨٦ للهجرة

٢- ولد شهرة هذا الشاعر، ولا يعرف عنه غير هذا

٣- والحضار والحاضرون، ومعانا : معنا

٤- يسألون أي متساوين

كيسو اسمع السلطان ذا الخبر اغتاض ولا ابالي كلامهم  
 قال لهم نعطيهن الكور والله يا لو يجوا كلبهم [L. 179]  
 ما نبرضى نعطيهن الحجر يحرق باباهم وجدهم  
 امرع الساعة باليتى جاءت رجال الحرب كلهم

سلطان البهجي المهيبة - من نصر مولانا  
 عذاب الكبار كافة - بجيوشه البتانا  
 كيسو شاب السلطان ذا العدو نادى لاهل الحرب كلهم  
 قال لهم اميوا وجتوا في الابراج الى يخصصهم  
 واملاهم برجال يوكدوا من كل صنایع من اهلهم  
 والمدافع نيران يوفد يضيوا الى جا فبالهم

يرميوا على كل شايعة (i) - من برج وطوبانه  
 والرجال على الحرب وافيه - كالسبوع غضبانه  
 ولت البهجي كها الجمر ترمي الموت بنار شاعله  
 تحرف من الابعاد من كبر بانقباض (U) اسبوع مفايله  
 وعدوها لو جار ينكسر وجيوشه يضحاوا باشله

صورة صفحة من الطبعة القديمة للقصيد



## UN CHANT ALGÉRIEN DU XVIII SIÈCLE\*

---

\* أثبتنا هذه الترجمة التي قدم نشرها لنا الأستاذ من فائدة في إيضاح النص العربي



Après avoir invoqué le nom du Tout-puissant, je vais chanter cet événement mémorable dont nous avons été témoins, l'histoire de ce fameux bombardement tenté contre Alger. Nos ennemis sont prudents, ils nous attaquent de loin et se tiennent toujours hors de portée.

O toi, grand Dieu, à qui rien n'est caché, rappelle-moi les circonstances de cette guerre, et dissipe ces essaims d'infidèles qui cherchent à troubler notre tranquillité.

Peuples, prêtez l'oreille à mes chants. Des infidèles qu'on appelle Danois, et daigne le Ciel en exterminer la race, irrités de ce que nos corsaires leur avaient enlevé plusieurs bâtiments richement chargés, vinrent ici, à main armée, pour nous forcer de les leur rendre.

Ils juraient, les maudits, par tous les serments de leur idolâtrie, que si nous tardions à les satisfaire [f. 123, v.], ils détruiraient notre ville de fond en comble.

Le Diable aveugla sans doute ces infidèles, et leur persuada que la brillante Alger était une place aisée à surprendre et à intimider. Ou plutôt Dieu, pour les confondre et augmenter la gloire de l'Islamisme, les conduisit lui-même dans cette rade.

Le Seigneur qui, par une faveur particulière, nous a destinés à faire la guerre aux chrétiens, a voulu que, sans quitter nos foyers, nous pussions obtenir le prix attaché à l'accomplissement de ce précepte.

Ces infidèles, fort empressés, vinrent mouiller dans la baie, mais fort au large, et ils attendirent ensuite tranquillement et sans bouger le bon effet que produirait cette disposition ambiguë.

Le Sultan lui envoya en ambassade un consul, qui leur dit de sa part : « Êtes-vous venus ici pour faire la guerre, ou bien désirez-vous la paix? »

Ils répondirent fièrement : « Nous sommes armés et préparés à combattre, et nous ne nous prêterons à aucun accommodement avant qu'on ne nous ait restitué nos effets. »

(f. 124). Le Sultan, que ce propos menaçant irrita plus Qu'il n'inquiéta, s'écria : «Par Dieu, nous n'avons que des boulets a leur donner, quand tout le Danemark ensemble se réunirait contre nous. Nous ne voudrions pas même leur rendre le lest des bâtiments que nous leur avons pris. Que le Diable emporte le père, l'aïeul et toute la génération danoise !. En même temps, le Sultan donna des ordres pour rassembler l'armée.

Le Sultan de la superbe Alger, dont la victoire suit partout les pas, est la terreur des infidèles par ses troupes intrépides.

Dés qu'il vit l'audace de ses ennemis, il dit a ses guerriers :

«Allez dans les châteaux tout disposer pour les Combats ; et faites travailler sans relâche aux fortifications nécessaires ; que chacun prenne son poste, et que les canons, de leur feu dévorant, embrasent et consomment tout ce qui se présentera devant eux.»

Aussitôt, des tours et des redoutes on se mit à foudroyer les vaisseaux ennemis. Les Héros ottomans, semblables à des lions irrités, ne respiraient, que le carnage. Alger, eu un instant, devint comme un incendie (f. "124 v.) qui porte au loin la destruction. Ses bouches d'airain faisaient voler la mort au milieu de ces infidèles qu'une prudence pusillanime tenait si éloignés.

S'ils s'étaient approchés, c'en était fait d'eux ; leurs mains, glacées par l'effroi, auraient laissé tomber les armes. Les proscrits. ! Comment ont-ils pu s'imaginer qu'Alger, que l'invincible Alger pouvait être accessible à leurs coups?

Ils sont venus, avec des vaisseaux, conjurés a sa perte, et ils la prenaient pour un cimetière, jusqu'au moment où ils l'ont vue lancer sur eux ces foudres exterminateurs, qui se succédaient si rapidement.

Les infidèles ignorent-ils donc qu'Alger est bâtie pour leur supplice ? Ses braves corsaires ne cessent de porter sur leurs côtes le ravage et la désolation.

Les héros chargés de la défendre sont assez connus par leur bravoure, aucun obstacle ne les arrête et tout cède à leur redoutable épée.

Ces Danois avaient cru apparemment qu'Alger avait perdu ses défenseurs. Après avoir pendant longtemps essayé inutilement l'effet de leurs boulets (f. 125], ils se mirent à tirer des bombes. Vains efforts ! peines

perdues ! leurs noirs projets se sont réduits en fumée. Pardieu, si cette flotte ennemie avait osé s'approcher, elle aurait bientôt ressemblé à ces mesures qui s'écroulent sur leurs fondements.

Mais tous ces chrétiens d'Europe sont lâches et timides; la crainte de la mort fit tenir constamment nos ennemis à l'écart, et à la fin, reconnaissant leur impuissance et sans espoir d'obtenir la paix, il ne leur resta d'autre parti à prendre qu'une honteuse retraite.

Dès l'instant que ces infidèles virent la bonne contenance de l'armée algérienne, à laquelle ils ne s'attendaient pas, leur esprit se troubla. leur courage s'abattit, et ils regrettèrent d'avoir perdu l'occasion de traiter d'un accommodement qui les aurait tirés de l'embarras

où les avait jetés leur présomption.

Le Seigneur, en punition de leur culte idolâtre, a voulu, sans doute, les confondre et les couvrir d'humiliation.

Cependant le Sultan, que Dieu le rende à jamais victorieux, s'occupait des moyens de les faire repentir de leur témérité. Il avait ordonné de construire un radeau et de l'armer de canons pour aller attaquer les vaisseaux ennemis.

O invention précieuse et vraiment utile à l'islamisme ! Le même jour que tout était prêt pour fondre sur eux, ces chrétiens aperçurent l'orage, qui les menaçait, et ils disparurent. S'ils étaient restés, ils seraient immanquablement devenus la proie des musulmans.

[f. 125 v.] O grand Dieu, protège Mezganna, préserve-la de tous maux et assure sa tranquillité. Nous t'en conjurons par un nom qui t'est cher, celui de Mohammed le véridique, le fidèle. Nous t'en conjurons aussi par le mérite de ces bienheureux qui reposent sur cette terre. Daigne récompenser le zèle de tes fidèles adorateurs pour la défense de ta sainte religion !

Chacun travaille avec joie, et à l'envi l'un de l'autre au service des batteries. Le peuple même, sans armes, ne

crain pas d'affronter l'ennemi. Les docteurs de la loi, ces flambeaux de l'État, donnent l'exemple du dévouement et excitent l'émulation des vrais croyants.

Voyez les reïs sur ce radeau, occupés à dresser le mât et à lier les cordages. On lit dans leur air l'ardeur qui les anime pour les combats; ils n'en sont jamais rassasiés.

Comment peut-il venir dans l'esprit des infidèles d'attaquer Alger, cette superbe reine des villes et des cités, Alger qui possède tant de saints personnages, uniquement occupés à éloigner d'elle tout désastre?

Chacun de ces bienheureux lance des foudres qui ne tombent jamais en vain. Dès qu'ils la voient menacée ils se réunissent et ils accourent tous ensemble pour concourir à son triomphe, [f. 12G] Animés du même zèle ils veillent à l'envi à sa prospérité et à son bonheur, et ils ne cessent de répandre sur le peuple d'abondantes bénédictions.

Le premier de ses protecteurs est Seïd Abd ul Rahman Etthealebi, c'est l'épée et le rempart de la ville. Mer de science, vicaire du Prophète, possesseur des trésors de la grâce, ses divins écrits dissipent mes peines et mes chagrins, je les compare à un parterre de fleurs qui récrée les yeux et natter l'odorat. Toute mon ambition est de marcher sur les traces de ce Prince des dévots et des mystiques. Alger sous sa protection jouira d'un repos inaltérable et d'une gloire constante. N'ayons aucune inquiétude. Ce chef-d'œuvre des perfections angéliques ne nous oubliera jamais.

Sidi bou Giumaâ, son maître dans la vie contemplative, est à ses côtés : il est toujours plus empressé à parer des peines à son disciple.

Sidi Ahmed ben Abdalla, semblable à un lion rugissant, s'avance à grands pas, tenant dans sa main un bâton ferré. Malheur à celui qu'il en frappe; il est anéanti à l'instant !

Sidi Ahmed el-Kattani s'élève d'un air menaçant sur son mausolée, que les boulets ont toujours respect.

les sept martyrs, unis après leur mort comme pendant leur vie, pour la défense d'Alger, viennent à son secours, les yeux étincelants de la colère qui les anime, contre les ennemis de la foi.

Sidi el-Saadi les suit de près, ce sabre exterminateur des chrétiens. (f. 126] Tous ces bienheureux, qui reposent autour de la ville, en sont les plus solides remparts, et combien encore n'a-t-elle pas de protecteurs puissants dans l'enceinte de ses murs !

Sidi Ali el-Fassi (G) et Sidi Ali el-Gioudi ne veillent-ils pas aussi à sa conservation?

Que dirons-nous du grand Weli Dédé, dont le zèle a déjà été si fatal aux chrétiens? Ils vinrent autrefois avec une nombreuse flotte, méditant la perle d'Alger. Weli Dédé s'approche de la mer et ordonne aux vagues de s'agiter; aussitôt les flots se déchainèrent, les vaisseaux des infidèles se brisent et la surface des eaux est couverte de planches et de mâts flottants. Notre bon Patron, Sidi Abdul Cadir, ne suffirait-il pas seul à notre défense? Sa main protectrice nous préserve de tous maux. Et comment serait-il possible qu'une ville entourée de tant de saints pût être exposée à des revers?

Mais quelle nouvelle scène s'offre à mes regards? Les tours et les châteaux d'Alger ne me présentent plus que des spectacles agréables. Je n'entends résonner de toute part que les doux sons des guitares et des instruments de musique. Et qui pourrait, en effet, n'être pas tranquille, lorsqu'une armée de héros se charge de nous défendre?

Voyez l'aga à la tête de sa cavalerie; le feu martial qui l'anime pétille dans ses yeux et inspire le courage.

(F.127). Examinez le khasnadj : ne le prendriez-vous pas pour un lion qui va s'élancer sur sa proie ? qu'il est



digne de conduire les jeunes lionceaux qui l'entourent !

N'oublions pas dans nos éloges le brave wekil khardj, qui tient la marine et l'arsenal dans un si bel ordre.

Chantons aussi les louanges de ce respectable codja dans qui la modestie et la générosité sont les moindres vertus.

Ces grands officiers du gouvernement, excités par une noble émulation, brûlent d'envie de se distinguer contre les infidèles.

Les reïs sont toujours debout et les armes à la main : leur cœur ne respire que pour la guerre et les combats. Ennemis du repos, vous les voyez dans une continuelle agitation, comme des aigles qui planent dans les airs.

Béni soit l'Éternel ! J'ai terminé mes chants dans la Joie et l'allégresse. Adressons nos vœux au plus noble, Au plus généreux des Arabes, à cet envoyé du Ciel, dont Le nom ouvre les portes du Paradis, Muhammed, qui nous procure par sa puissante intercession les bontés et les complaisances du Roi des Rois. O vrais croyants, cessez de le prier et pratiquez l'oraison et les bonnes œuvres ! Bénissez aussi la famille de ce glorieux Prophète ainsi que tous les apôtres de sa mission divine.

L'événement que j'ai chantée est arrivé dans le mois où nous célébrons la naissance de l'Envoyé de Dieu, l'an de l'hégire 1184. C'est là l'époque fixe de ce fameux bombardement, dont nous avons été les témoins.

Le fils d'Omar vous demande, mes frères, pour prix de sa chanson, un souvenir dans vos bonnes prières. puisse-t-il mériter les bontés du directeur des hommes, de cet Élu de Dieu qu'il a tâché de célébrer dans ses vers et avoir un jour le bonheur de se voir réuni dans le saint Paradis avec tous ceux qui l'écoutent et tous les autres musulmans !



زجل يامة نبينا  
لمجهول من ناحية قفصة

- لقد قوبل دخول الفرنسيين إلى بلدان المغرب العربي الكبير بمقاومة شعبية ودعوة إلى الجهاد، وكان للشعراء عموماً والزجالين خصوصاً دور كبير في بث الحماسة في نفوس الناس وحضهم على النهوض إلى الدفاع عن أوطانهم وتحريضهم على قتال أعدائهم والتصدي لهجومهم، وقد تحدث المؤرخون عن هذه المقاومة والجهاد بتفصيل كما عني بعض الباحثين بتدوين الأزجال التي صدرت في ذلك عن زجالين معروفين أو مجهولين في المغرب والجزائر وتونس.

ومن الأزجال التي قيلت بمناسبة احتلال الفرنسيين للبلاد التونسية ونصب حمايتهم عليها سنة 1881م قصيدة لزجال من ناحية قفصة يحرض إخوانه على قتال الفرنسيين حين سمع بتوقيع محمد الصادق باي على معاهدة الحماية التي عرضها عليه الجنرال بريار غداة حصاره لقصر السعيد بباردو، وذلك في يوم 12 جمادى الثانية 1928هـ (12 ماي 1881م).

وقد جاء الاحتلال الفرنسي لتونس بعد أن اضطر المصلح التونسي المعروف خير الدين إلى التخلي عن تسيير أمور الدولة وخلفه مصطفى بن إسماعيل فساعت الأحوال وظهر عجز الحكومة وكثرت المشاكل وتعددت دسائس بعض القناصل ممن يهتمهم اضطراب الأحوال وقوي طمع الدول الأجنبية ولم يلبث الفرنسيون أن استغلوا شجاراً بين تونسيين وجزائريين على الحدود فوجهوا من الجزائر إلى تونس جيشاً يتألف من ثلاثين ألف جندي احتلوا مدينة الكاف وتقدموا إلى العاصمة التونسية وحاصروا باردو حيث مقام الباي وتم لهم إعلان الحماية على تونس.



ويعتبر هذا الزجل الذي نشره سونك SONNECH من شعر الزجل السياسي الذي نظم فيه الزجالون في بلدان المغرب الكبير وسجلوا فيه الأحداث الوطنية وصاحب الزجل يقول إن الباي الذي كان الناس يطيعونه ويتحملون ظلمه باع البلاد للنصارى وخان الأمانة وخرب الدين وهو يخاطبه خطابا قاسيا فيه سخرية ونقد وهجاء بل يقول إنه دخل في دين النصارى وبعد هذا يدعو الشاعر عامة الناس إلى حمل ما يمكن من السلاح والالتحاق بالمجاهدين في الجبال والتصدي للجيش الفرنسي والاستبسال في مقاومته والاستشهاد في سبيل الله وهو يعدد القبائل التي قاومت الغازين وينوه بشجاعتهم ويسمى بعض رؤسائهم وأبطالهم ويهجو بعض القبائل التي لم تقم بواجب الجهاد. وقد ختم الزجل بالسلام على رسول الله وذكر التاريخ الذي نظم فيه وهو فاتح رجب من عام 1298هـ أي بعد نصف شهر تقريبا من إعلان الحماية الذي كان في جمادى الثانية 1298.

وفيما يلي نص الزجل مع حواشينا عليه :

## يَا مَةَ نَبِينَا

1. يَا مَةَ نَبِينَا
  2. ضَمُونَا الْكُفَّارَ
  3. مَنْ هَانَا اللَّهُ يَهِينُهُ \*
  4. وَلَا حَازَ مُوجِبُ عَلَيْنَا
  5. كُلُّ مَا طَلَبَ اعْطَيْنَاهُ
  6. عَلَى أَجَلٍ مِلَّةٍ نَبِينَا
  7. حَتَّى خَانَ وَخَرَّبَ دِينَهُ
  8. وَعَظَى الْقَصَبَ الْحَصِينَةَ
  9. وَافْرِيقِيهِ الْأُمَّ الْحَنِينَةَ
  10. جَبَلَ الْمَدِيرَ عَلَيْنَا
  11. كُلُّ يَوْمٍ مُتَحَزِّمِينَ
  12. بِأَمْحَالٍ مُثْقَافِينَا
  13. وَيُعِيطُوا مَنْ يُجِينَا
  14. أَدُّوا كَسْبَنَا مِنْ أَيْدِينَا
  15. نَحْنُ الْحَيَا نَاسِيَهُ
  16. مَكْبَرُ هَالْعُسْرَةِ
  17. انْتَعَتْ لَكَ مِثَالُ
  18. فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ
  19. يَا أُمَالِي الْخَسْرَةِ
  20. تَبَعُّتُوا جَنْرَالُ ابْرِيارُ
- يَا مَنْ طَالَبَ عَلَى الْجِهَادِ يَجِينَا  
 كَانَ خَرَّتُوا فِينَا الْعَيْطَةُ لِلْقَهَارِ  
 وَمَنْ بَاعَنَا لِلنُّصَارَى  
 وَلَا بَيِّنَ فِينَا دَعَاةَ  
 فِي كُلِّ يَوْمٍ طَائِقُ الْغَارَةِ  
 طَقْنَا أَحْكَامَ الْجَسَارَةِ  
 وَدَخَلَ سَوْقُ الْغَفَارَةِ  
 فِي الْكَافِ عَالِي اسْوَارِهِ  
 قَعَدَتْ دَشْرَهُ قَفَارَهُ  
 هَاهُمْ يَرْجُمُوا فِي حِجَارِهِ  
 عَلَى الْيُمْنَى وَالْيَسَارَةِ  
 فِي الْبَرِّ شَاطِئُهُ اخْبَارَهُ  
 يَانَا قَصِيرِ الدِّبَارَةِ  
 لَا يُصِيرُ مَا شِئِ خَسَارَهُ  
 وَأَنْتُمْ رَضِيتُوا الْعُقَارَةَ  
 مَا بَعْدَ الْمَعَارِ كَانَ الْيُسْرَى  
 إِذَا بَرَمَ نَصْرَهُ  
 هَذَا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ يَا حَسْرَةَ  
 يَا إِلَهِي بَعَثُوا دِينَكُمْ بِالْكَسْرَةِ  
 كَانَ خَرَّتُوا فِينَا الْعَيْطَةُ لِلْقَهَارِ

21. يَا بَايَ تُونَسَ نَعَزِيكَ  
 22. وَخَطَاكَ وَاعْوَاجَ كُرْسِيكَ  
 23. وَالْإِسْلَامَ مَسْتَنْصِرِينَ  
 24. الْمَالَ فِي بَارْدُوا يَجِيكَ  
 25. السَّلَاطِينَ تَسْمَعُ عَلَيْكَ  
 26. سَقَطَتْ أَجْفُونُكَ وَسَنِيكَ  
 27. دَرْبَاكَ شَيْطَانٌ وَأَهْلِيكَ  
 28. وَتَقَطَعَتْ وَثَاقُ فَيْكَ  
 29. يَا سَامِعَ عَلَى حَدِّ رُكْبِيكَ  
 30. شَمَّرَ عَلَى حَدِّ رُكْبِيكَ  
 31. أَرْفَعُ طَوِيلَهُ وَغَدَّ رِيكَ  
 32. تَلْقَى عَسَاكِرَ أَتْرَايِكَ  
 33. تَمْنَعُ عَلَى مَنْ يَعَادِيكَ  
 34. وَالْحَوْرُ يَسْتَبْشِرُوا بِيكَ  
 35. كَانَ عِشْتَ رَبِّي يَنْجِيكَ  
 36. أَوْصَى ذَرَارِي ذَرَارِيكَ  
 37. مَنْ بَعْدَ حَمُودِهِ  
 38. وَأَمَّا الصَّادِقُ لَاشْ  
 39. بَاعَ عَمَالَهُ بِأَهْيِهِ مَقْدُورَهُ  
 40. ادْخَلَهَا بِجَنُودِهِ

فِي دِينَ بَدْرَ تَمَامَهُ  
 وَدَخَلْتَ دِينَ النَّصَارَةَ  
 مَسْتَوْدِيَهُ بِالْغَرَامَةِ  
 وَالْخَلْفَ بِيَدِكَ كَلَامَهُ  
 وَشَيْبَكَ وَلَّى رَغَامَهُ  
 وَدَخَلْتَ سُوقَ الْعَدَامَةِ  
 فِي يَرِ سَتِينَ قَامَهُ  
 وَبَقِيَتْ تَحْتَ الظَّلَامَةِ  
 بَاتَ السُّفَى عَلَى طَعَامِهِ  
 وَالْحَرْبَ شَعَشَعَ عَلَامَهُ  
 وَاقْصَدَ جَبَلَ السَّلَامَةِ  
 لَا يَفْهَمُوشَ الْكَلَامَةَ  
 وَتَفُوزُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 يَا طَمَهَا مِنْ كَرَامِهِ  
 كَانَ مَتَ مَا هِيَ نَدَامَهُ  
 عَلَى بَايَ بَايَ مَقَامَهُ  
 نِعْمَهُ لِلْكَفَّارِ هَزْ جُنُودَهُ  
 [هُوَ] يَخْدَمُ فِي السُّودَةِ  
 إِلَى رُومِي مَا يَسْوَاشُ [دُودَهُ]  
 بِمُدَافِعِهِ وَعَسَاكِرِهِ وَبَارُودَهُ

41. تُوقُ فِيهَا النَّارُ

42. يَأْسَعِدَ مَنْ جَاهِدَ \* نَهَارُ \*

43. يَرْتَّاحُ مَنْ عَذَابُ النَّارِ

44. كَانَ مَاتَ مَا يَشُوفُ الْإِتْكَارُ

45. كَانَ عَاشَ الْخَلْفُ يَزَارُ

46. نَرْجِعُ عَلَى وَطْنِ الْأَحْرَارِ

47. وَشَرَّاهُ غُرْمَاهُ شَطَّارُ

48. دَمَعِي مَنْ الْعَيْنُ قَطَارُ

49. وَالْقُوتُ فِي الْفَمِ أَمْرَارُ

50. لَوْ مَا الْجَبَلُ دَارُ بَازَارُ

51. أَحْيِ سُنَّتَكَ يَا الْمُخْتَارُ

52. بَجَاهُ زَيْنِ الْحُلَّةِ

53. بَجَاهُ حَسَنَ وَحْسِينِ

54. وَيَسْلَطُ فِي الْمَلَّةِ

55. سَلَّمَ فِي الْمَلَّةِ

56. أَدَاهُ بِالْأَسْحَارِ

57. يَا سَامِعَنِي لَا شَيْءَ تَشْدُ \* فِي \*

58. تَقَاشُ فِيهِ عِتَابُ وَالْأَلِي

59. لَوْ مَا جَبَلُ عَمْدُونِ دَارِ مَزِينِ

60. زَيْدٌ مَعَهُ خَمِيرٌ وَالشَّيْخِيَّةُ

كَانَ خَرَّتُوا فِينَا الْعَيْطَةُ لِلْقَهَارِ

فِي \* مُخَالَفِينَ الشَّرِيعَةَ \*

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَسِعَتْهُ

لَا حَرَجَ لَهُ وَجِيعُهُ

وَتَنَالُ مِنْهُ النَّفِيعَةُ

بِأَعْمُوهُ بَيْعُ الْقَطِيعَةِ

أَبْدَلًا مَالُ عَقْدُوا الْبَيْعَةِ

وَهَمُّومُ قَلْبِي لِسِيَعِهِ

كُلُّ يَوْمٍ تَنْزَادُ لِيَعِهِ

وَاطْفَى مِنَ الْكُفْرِ شُنُيعُهُ

لَا يَتَرْضَى بِالصَّنِيعَةِ

وَرَجَالُ الدِّيَّانِ وَأَوْلِيَا اللَّهِ

يَعْطِيهِ مَذَلَّةُ

هَذَا خَارِبُ دِينِهِ

وَتَبَعَ جِنْرَالُ لَابَسُ بَرِطَلَّةُ

كَانَ خَرَّتُوا فِينَا الْعَيْطَةُ لِلْقَهَارِ

وَاصْفَى قَوْلِي كَانَ قَلْتُ غَالُ

وَالْأَكَلْمَةُ خَاطِيَةُ الْمِثَالِ

اللَّهُ غَدِينَا رِيَشُ عَلَى شَعَالِ

جَبَلُهُمْ مَا يَسْكُنُهُ ذَلَالُ

61. جَاءَهُ جُنُودُ الْفَرَنْسِيْسِ دِيْبَةً  
62. سَبَاسِيسُ تَخْدَمُ فِيْهِ بِالشَّهْرِيةِ  
63. زَادَ بَعَثَ لِلنَّاحِيَةِ الظَّهْرِيةِ  
64. سَرَى مِنْ عَنَابِهِ فَزَعَ بِأَلْقِيَةِ  
65. عَرَبَ وَأَنْدَلُوسَ مَرْزُوقَ وَابْحَرِيرِيَةِ  
66. تَسْمَعُ طُبُولُهُمْ كَأَنَّهَا رَعْنِيَةِ  
67. حَطَّوْا عَلَى عَدُوْنِ ضَيْقِ عَشِيَةِ  
68. خَلَّوْا فَرَايِسَهُمْ لِلنُّسُورِ هُمِيَةِ  
69. حَزَنَ بَنَ الْأَطْرَشِ فِي الْجَيْلِ تِي  
70. وَلَى جَنْبِرَالٍ نَاقِلَاتُهُ هِيَةِ  
71. الْإِسْلَامَ لَا مَنْ عَانَهُمْ بِسَرِيَةِ  
72. يُلُومُوا عَلَى مَنْ يَطْلُبُ الْمَشْلِيَةِ  
73. بَنِي زَيْدٍ وَالْهَمَامَةِ أَتَشَاشْنَ فِيهِ  
74. أَمَّا الدُّرَيْدِيُّ كَمْثِيلٌ وَلِيَةِ  
75. يَدَوَّ كَبَاشُ أَفْحُولُ شَمَانِيَةِ  
76. بِيَاعَةِ الْقَطْرَانِ بِالثَّمْنِيَةِ  
77. عَلِيُّ بْنُ عَمَلِهِ صَيْدٌ فِي التَّرْعِيَةِ  
78. وَطَنُ السَّاحِلِ فِيهِمُ الرَّجْلِيَةِ  
79. قَفْصُهُ وَتَفْرَاوَةٌ وَجَرِيدِيَةِ  
80. إِنَّا قَدَرَبُ شُورِ كُلِّ ثَنِيَةِ

حَتَّى الْيَهُودَ رَكُوبَ عَلَى الْبُغَالِ  
مَنْ عَيْنَ مَاضِي إِلَى سَوْحٍ وَادٍ هَالِكٍ  
مَنْ وَطَنُ سَيْدِي غُرُيسُ جَاوَهُ مُحَالٍ  
مَنْ قَلْعَةُ بَنِي عَبَّاسٍ الْخُتَالِ  
وَسُوقُ أَهْرَاسٍ يَجِي فِي الْمَنْزَالِ  
وَأَمَّا الْعَسَاكِرُ عَلَى الْخَنْقِ أَطَالِ  
وَهُمْ هَجَمُوا عَلَيْهِمْ نَسُوهُ وَرَجَالِ  
وَالْهُوشُ يَأْكُلُ فِي لُحُومِ الْأَرْفَالِ  
وَقَالَ لَهُمْ غَدْوَةٌ كَمَلُوا إِلَيَّ مَا زَالَ  
وَقَالَ هَازِدُونَ فُورْصَهُ وَهَبَالِ  
الْجَنَّةِ حَازُواهَا مَشَاتٌ قَدَالِ  
وَيَسْلُ سَيْفُهُ فِي الْعَدُوِّ حَالِ  
الْحَرْبِ لَهُمْ مَنْ قَدِيمُ ابْطَالِ  
حَازُوا الْحَوَايَةَ مَقْطَرِينَ أَسْفَالِ  
بَابُ الْجِهَادِ فِي حَقِّهِمْ بَطَالِ  
وَالْهِنْدَايَ وَالْجُزَارَ وَالنُّحَالِ  
مُحَمَّدُ بْنُ هَذِيلِي بَطْلٌ مِنَ الْأَبْطَالِ  
الْوَاحِدُ يَلْزُ كَبْدُهُ عَلَى الْمَالِ  
مَعَ وَعْدِ رَبِّي مَا يَقْدِرُ الْحَالِ  
يَجِي صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ وَالْأَعْمَالِ

81. تَجِينَا فَصْرَهُ مِنَ الْبَحْرِ عَتْرِيهَ

82. تَفْرَحُ النَّسْوَانُ وَالذَّرِيَّةَ

83. فِي أَوَّلِ رَجَبٍ جَبْتُ قُضِيهَ

84. نَبْلَغُ سَلَامِي لِلرَّسُولِ هُدِيهَ

85. عَلَى قَدَمَا فِي الْأَرْضِ مِيَّةَ وَحِيَّةَ

86. سَلَامِي عَلَى سَامِعِينَ كَلَامِي

نَبَشِّرُكُمْ يَا سَامِعِينَ الْفَالِ

وَتَطْفِي شِيْعَةَ الْكُفْرِ وَالْمَحَالِ

ثَمَانِيَةً مَعَ تَسْعِينَ عَامُ كَمَالِ

عَلَى قَدْ مَوْجُ الْبَحْرِ وَالنَّمَالِ

عَلَى قَدْ مَاذَا فَصَلَ الْفَصَالِ

عَلَى قَدْ حَبَّ الزَّرْعِ وَالْفَصْوَالِ



## شرح بعض الألفاظ

2. ضامونا : ظلمونا وخرتوا فينا : اخترتم لنا. العيطة للجهار : النداء للقتال.
3. من هانا الله يهينه أي من أهاننا وتركنا وتخلي عنا أهانه الله.
4. موجب : سبب، دعاره : عمل قبيح.
6. طقنا : تحملنا، الجسارة : التعدي.
7. سوق الغفاره : سوق العبودية.
8. الكاف : مدينة معروفة في تونس.
9. إفريقية : مدينة تونس.
10. المدير : المتدائر أي الدائر..
12. بامحال : بمحلات أي جيوش، مثقافينا أي يتابعوتنا، شاطة . شاة أي شائعة.
13. ويعيطوا : أي ينادون، الدبار : التدبير.
14. ادوا : خذوا واحملوا.
15. العقارة : كلفة الحرب.
16. ما كبرها العسره : ما أكبر هذه العسرة وكان في الشطر الثاني بمعنى إلا. وهذا من الآية : (سيجعل الله بعف عسريهرا)
18. انتعت : أنا انتعت أي أذكر، برم = أبرم.
18. يشير إلى الآيات 5- 12 من سورة الأنفال.
19. يامالي : ياموالي : بالكسرة : بقطعة من الخبز
20. جنرال ابريار : le general breard وهو قائد الجيش الذي دخل تونس وجعل الباي محمد الصادق يوقع على معاهدة الحماية.
21. ياباي تونس : هو محمد الصادق الذي تولى من سنة 1276 هـ إلى سنة 1299 هـ.
22. وخطاك : ضاع منك.
23. والاسلام أي المسلمين، مستوديه : تؤدي.
25. وشيبك أي شيخوختك، رغامه أي رد ورجوع.
26. العدامه : العزم والفناء.
27. درباك أي ضربك ورماك.
29. بات السفى على طعامه . كانه مثل ومعناه أن الحاله مضطربة وغامضة.

31. طويلة : بندقية. وغدريك : مسدسك. جبل السلامة : عين دراهم الذي كان يومئذ مركز المقاومة.
32. اترايك : ترك.
34. ياطمها : ما أعظمها.
37. حموده : هو المشير أحمد باشا باي تونس من 1253هـ إلى 1271 (1837-1855) وفي البيت إشارة إلى الجيش الذي أرسله للمشاركة في حرب القرم.
41. توق فيها النار أي أوقد.
44. الانكار : ما ينكر ويخشى بئس كان مات : إذا مات.
45. النفعية : النفع.
46. بيع القطيعة أي بئس بئس.
48. قطار : كالقطر، لسيعة : تلسع.
49. ليعة : لوعة.
50. بازار : سوق، شنيعة : شناعة وشهرة.
51. لايترصى لا يترصى أيلا يتثبت بالصنيعة : بالعمل السيء
52. ورجال الديوان : الابدال.
55. برطلة : برنيطة.
56. اداه بالاسحار : سحره أو سحر له.
57. تنشد تطلب وتسال، غال : غلط،
59. جبل عمدون : من جبال خمير. دار مزين : عمل أعمالاً جميلة، غدينا : غدونا. شعال : جمر.
60. خمير : جبل من ولاية جندوبة. الشحيحة : جيران الخميريين.
61. ذيبة : على عجل وفي المغرب يقال داب.
62. سبايس : خيالة من الأهالي كانوا في خدمة الفرنسيين.
63. عين ماضي وواد هلال وغريس وعنابة وقلعه بني عباس ومزاب وواد بومرزوق وسوق آهراس كلها أسماء بلدان معروفة في الجزائر ومنها جند الجيش الذي دخل به الفرنسيون إلى تونس.
66. اطال : تطل.
68. الهوش : السباع
69. حسن بن الاطرش : من ثوار تلك المرحلة.



- تبي : أعلن نفسه بايا .
- 70- ناقلاته : ناقلته، هاذون : هؤلاء، فورصه، قوه، والكلمة أجنبية.
- 71- الاسلام : المسلمون. بسرية : مجموعة قليلة، مشات كدال : صارت حمى وكلمة كدال أو أكدال أمازيغية ومعناها حمى الملك.
- 72- المشلية : القتال والحرب.
- 73- بني زيد والهمامة : قبائل عربية في ولاية قفصة.
- 74- الدريدي : شخص من قبيلة دريد، وليه : امرأة عجوز، الحواية : خيام قبيحة الشكل.
- 76- الثمنية : مكيال، مقداره ثمن، والهندي : الهندية في لهجتنا اي التين الشوكي.
- 77- صيد : أسد وعلي بن عمارة ومحمد بن هذيلي من رؤساء المقاومين في ذلك الوقت.
- 79- يلز : يرمى الملل : السعير.
- 80- شور كل تنيه : من كل طريق.
- 81- إشارة إلى مساعدة منتظرة من تركيا.
- 83- هنا تاريخ النظم وهو فاتح رجب عام 1298هـ الموافق 30 ماي 1881.



## APPEL A LA RÉSISTANCE CONTRE LES FRANÇAIS\*

---

\* أثبتنا هذه الترجمة لارتباطها بالنص العربي وقدم عهدنا وندرة وجودها

## APPEL A LA RÉSISTANCE CONTRE LES FRANÇAIS



PEUPLE du Prophète! que ceux qui veulent la guerre sainte viennent à nous. L'infidèle nous opprime. Que ne préférez-vous pour nous l'appeler au combat!

3. Que Dieu l'abandonne celui qui nous a abandonnés, celui qui nous a vendus aux chrétiens; qui n'avait pas de motif de nous traiter ainsi et n'avait relevé contre nous aucune vilaine action! Tout ce qu'il demandait nous le lui donnions; chaque jour il déchainait contre nous une incursion. Pour la foi de notre Prophète nous supportions les injonctions de son audace; enfin il a trahi, il a ruiné sa religion et est entré dans le marché de la servitude!

8. Il a livré la citadelle puissante dont les remparts altiers s'élèvent sur la montagne (1); et l'Ifr̄yqyya (2), cette douce mère, est devenue une bourgade déserte. Cette montagne qui nous protégeait (3), ils (les Français) en lapident les roches [à coups de canon]. Chaque jour, ceints de leurs armes, tantôt à droite, tantôt à gauche, ils nous poursuivent à l'envi avec des colonnes dont le renom se répand dans le pays. « Qui viendra à notre aide? disent [les montagnards]. O hommes de peu de sens: pre-

1) La ville du Kef. Le mot كهف *kāhf*, caverne, a pris en Maghreb le sens de roc, montagne escarpée. Le *ṣ hā*, très doux, s'est usé jusqu'à devenir *alif*. Le nouveau mot, ayant l'apparence d'un dérivé d'une racine concave, a reçu le pluriel des substantifs de cette catégorie et l'on dit كيعان *kīfān*. كاب *kāf* a conservé comme كهف *kāhf* le sens figuré de refuge, asile : كهف الحصين الامنع (formulaire épistolaire).

2) On donne en Tunisie le nom d'Ifr̄yqyya (vulg. Fr̄yqyya) à la partie N.-E. de la Régence.

3) Le massif de la Khroumirie.

nez nos biens pour qu'ils ne s'en aillent pas en pure perte. Nous faisons, nous, le sacrifice de la vie, tandis que vous consentez, vous, à payer la contribution de guerre. Combien est grande notre infortune ! Mais après ces mauvais jours le bonheur reviendra-t-il ? » Je vais te citer un exemple à suivre : quand il lui eut donné la victoire, Dieu révéla au Prophète la sourate du butin (4). Hélas ! hommes égarés, ô vous qui avez vendu votre foi pour un morceau de pain, vous avez suivi le général Bréard. Que n'avez-vous préféré pour nous l'appel au combat !

21. Bey de Tunis, reçois mes condoléances pour [la perte d'une religion qui avait l'éclat de la lune en son plein. Ton trône va te manquer ; déjà il se disloque. Tu as embrassé la croyance des chrétiens, alors que l'Islam implorait ton secours. Il te payait volontairement l'impôt et l'argent affluait au Bardo ; ils avaient mis leur parole entre tes mains et les rois écoutaient ta voix. Ta vieillesse est devenue un objet de répulsion : tes paupières pendent, tes dents tombent et tu prends le chemin du néant. Que Satan vous précipite toi et les tiens dans un puits de soixante brasses ! Les pactes sont rompus et tu resteras soumis à l'oppression !

29. Toi qui entends mes paroles, écoute mon conseil : la balle du blé est restée sur le grain (5) ; relève [ta tunique] jusqu'aux genoux car l'étendard de la guerre flamboie. Prends un fusil et ton pistolet et gagne la montagne du salut (6). Tu y trouveras des guerriers [vaillants comme des] Turcs et qui ne veulent rien entendre. Tu résisteras à ceux qui te traitent en ennemi et tu mériteras les récompenses du Jugement dernier. Les houris se réjouiront en apprenant ta venue. De quelle immense vénération tu seras entouré ! Si tu vis, Dieu te sauvera ; si tu meurs, [tu n'auras] pas de regret. Dans tes exhortations signale à tes petits-enfants un bey qui vend sa souveraineté, et pourtant successeur de Hammouda l'excellent, qui fit connaître aux mécréants

4) Voy. *Qor.*, VIII, particulièrement les versets 5-12.

5) C'est-à-dire la situation est trouble, n'est pas nette. Voy. *سعى* au glossaire.

6) Les montagnes d'Ayn [čd]-drāhīm (عموم الداهم), centre de la résistance.

la puissance de ses armées (7). Mais pourquoi Es Sādōq a-t-il commis tant de noirceurs? Il a vendu un pays orné de toutes les beautés et réunissant toutes les perfections à un vil chrétien qui y est entré avec ses troupes, ses canons, ses soldats et ses munitions et y a allumé l'incendie. N'eussiez-vous pas préféré pour nous l'appel au combat!

42. Quelle heureuse fortune que celle de l'homme qui combat, [même] un [seul] jour, les révoltés contre la loi divine! Il est en repos quant au châtiment du feu car la miséricorde de Dieu est immense; s'il meurt, il ne connaîtra pas les déboires; blessé, il ne ressentira pas la douleur; s'il vit, il sera le but des visites [des fidèles] et par lui on obtiendra [du Ciel] de précieux avantages.

46. Revenons au pays des hommes nobles et libres. On l'a vendu à prix débattu; ses habiles créanciers l'ont acheté et, sans bourse délier, ont conclu le marché. Mes larmes dégouttent de mes yeux et les soucis aiguillonnent mon cœur. La nourriture prend dans ma bouche le goût du fiel: chaque jour s'ajoute [à mes peines] un nouveau tourment.

50. N'était la montagne qui avait fait le marché [de vendre chèrement sa vie] et a éteint la renommée de l'infidèle.....! Fais revivre ta tradition, ô Élu de Dieu; qu'il ne soit pas affermi par ses mauvaises actions!

52. Par la grâce de Celui qui est revêtu d'un splendide manteau et les vertus des saints et des hommes amis de Dieu qui composent le sacré divan; par les mérites de Hasān et de Hōsēyn, Dieu veuille jeter Es-Sādōq dans l'abjection et faire naître la maladie dans ses entrailles, ce destructeur de la foi, qui a livré son peuple et s'est mis à la suite d'un général coiffé d'un chapeau, devenu son maître par des sortilèges! N'eussiez-vous pas préféré pour nous l'appel au combat!

57. Toi qui m'entends, pourquoi me questionnes-tu? Écoute attentivement mon discours. Ai-je dit quelque chose d'erroné?

7) Aḥmēd Bey, qui régna du 11 octobre 1837 au 30 mai 1855. Il envoya en 1854 huit mille hommes de ses troupes se joindre en Orient aux armées alliées.

Y trouves-tu matière à reproche ou une parole détournée de la vérité ou quelque propos non conforme à la réalité?

59. Sans la montagne des 'Amdōun(8) qui a accompli de belles actions, par Dieu! nous eussions été entraînés comme des plumes au-dessus d'un brasier! Avec eux étaient les Khēm̄yr et les Ch̄yhyya (9) : l'abaissement n'habite pas leurs sommets!

61. Les armées françaises se portèrent vers eux, pressant la marche, trainant avec elles jusqu'à des Juifs juchés sur des mulets et des spahis qui y servent au mois. D'Ayn Mād̄y jusqu'à la région de l'Ouād Hēlāl (10), ils avaient envoyé de nouveaux contingents dans le Nord. Des colonnes vinrent de la contrée de S̄yd̄y Ghēr̄ys (11). Partis de Bône dans la nuit, ils s'élancèrent par milliers. Il en vint de la Qāl'a (12) des Bēn̄y Abbās perfides (13); les Arabes de l'Ouād Bōu-Mērzōug (14) et les Algériens et aussi ceux de Sōuq Ahrās arrivaient au camp. On entendait leurs tambours qu'on eût dit la voix du tonnerre. Quant aux soldats, ils débouchèrent du défilé et campèrent chez les 'Amdōun au moment où le soleil allait disparaître. Alors, attaqués par les femmes et par les hommes, ils laissèrent leurs cadavres en présent aux vautours et le lion se reput de la chair de ces misérables. Hasān Bēn El Atrēch, proclamé bey dans la montagne, dit à ses guerriers : Demain vous achèverez ceux qui restent! Le général, transporté par leur attitude, s'écria : Quelle valeur! Ces gens sont fous! Personne n'aida les musulmans même d'une poignée de combattants; ils conquièrent le paradis qui devint pour eux comme une prairie réservée. On blâme ceux qui demandent à combattre : tirer son sabre contre

8) Tribu berbère de la Khroumirie.

9) خمير Khēm̄yr, orthographe exacte du nom dont nous avons fait Khoumir ou Kroumir. Les Ch̄yhyya (شحية) leur sont voisins.

10) Cours d'eau qui naît à l'O. de Tebessa et va se perdre dans les s̄ūbkha au midi de Biskra.

11) La plaine dite d'Eghris, près de Mascara.

12) Gros bourg kabyle au N. de Bordj-bou-Arēridj.

13) Texte : au lieu de واختال, lisez اختال.

14) Affluent de droite du Rumel (واد الرمل), dans lequel il se jette en amont de Constantine.

l'ennemi est cependant licite. Les Bēny Zēȳd et les Hāmāma (15) forment douze tribus; la guerre depuis longtemps leur est familière; ils s'y montrent des héros. Pour l'homme des Drȳd (16), il est comme une vieille femme. Avec de mauvaises tentes qui laissent dégoutter l'eau par le bas, ils apportent [aux troupes] des moutons gras. A leurs yeux la guerre sainte n'a pas de raison d'être. Ils vendent du goudron au petit pot (17) et des figues de Barbarie; ils sont bouchers et marchands de miel!

77. 'Al̄y Bēn 'Amāra (18) est un lion au courroux prompt, au courage aveugle; Mohammed Ben El Hed̄ȳl̄y (19) est un héros parmi les héros. C'est dans le Sāh̄el qu'on trouve la virilité: la chieue se jette dans la fournaise. Avec la promesse de Dieu, Gafsa, le Nefzāoua et le Djerȳd n'auront à subir aucune fortune contraire. Si Dieu en ordonne ainsi, par tous les chemins arriveront ceux qui nous apporteront leur généreux appui et leurs bonnes actions. Un secours puissant nous viendra de la mer (20); je vous en donne l'heureuse nouvelle, vous qui écoutez mes pronostics. Les femmes et les enfants se rejouiront et l'on verra s'éteindre le renom de l'impiété et de l'absurdité!

83. J'ai achevé ce récit le premier rēdj̄eb de l'année [mil deux cent] quatre-vingt-dix-huit — 30 mai 1881 (21).

84. J'envoie mon salut en hommage au Prophète autant de fois qu'il y a de vagues dans la mer; autant qu'il y a de fourmis;

15) Tribus de la Tunisie méridionale.

16) Tribu arabe, mêlée aux Khroumir, fixée sur le cours de la haute Medjerdā.

17) On pourrait presque traduire « au détail ». La *ثنية* *ṭemmya* (pour *ثنية* *ṭemmya*) est un petit pot qui contient le 1/8 du *ṣā'* tunisien, lequel vaut 2 1/7.

18) Chef d'insurgés qui tint quelque temps la campagne dans la région du Kef et de Teboursouq. Il appartenait aux Zlās et se fit tuer à Stax à la tête des contingents de cette tribu.

19) Autre chef des Zlās qui fut tué au combat d'El Kher̄ȳr̄yb, au sud de Zāghouān (زغوان).

20) Allusion à un secours attendu du gouvernement turc.

21) Le traité de Qsar ʿs Sā'ȳd (Ksar-Saïd) a été signé le 12 mai 1881 et copiée a été achevée le 30. Si l'on tient compte des distances, on voit que l'auteur n'a pas mis longtemps à la composer.

autant qu'il y a sur la terre de vivants et de morts; autant de fois que le Créateur a donné la forme à une créature.

86. Enfin, j'adresse mon salut à ceux qui écoutent mes paroles, en nombre aussi considérable que celui des grains de blé, que celui des tiges de chaume!







# زجل المصرية لمحمد الشريف ولد ارزين

كان الشعور بالتضامن بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها شيئا شائعا بين الخاصة والعامة، ومن المعروف أن ثمة آيات كريمة وأحاديث شريفة في الحض على التعاضد والتراحم بين المسلمين ومنها على سبيل المثال قوله تعالى : «إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم»، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

وفي التاريخ الإسلامي أمثلة لهذا التضامن أذكر منها بمناسبة هذا الزجل الشاعر التي عبر عنها بعض شعراء مصر عند احتلال البرتغاليين مدينة سبتة وعند حصار الإسبان غرناطة<sup>1</sup>.

وتعتبر هذه القصيدة التي نضمها إلى محورنا مثالا لهذا التضامن عبر عنه هذا الزجال ابن علي الشريف ولد أرزين بمناسبة الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م؛ وهي تعتبر أيضا وثيقة تاريخية تسجل مساهمة المغاربة في مقاومة تلك الحملة التي عاصرها هذا الزجال إذ أنه ولد سنة 1154هـ (1742م) وتوفي سنة 1237هـ (1822م) وهو فيلالي الأصل، عاش في مدينة فاس ومات بها.

ووصفه بعضهم بأنه «أعظم شعراء فاس في القرن الثامن عشر»<sup>2</sup> وقد تحدث عنه بخوشه وشريكه في الأنطولوجية<sup>3</sup>، وعرف به الدكتور عباس الجراري<sup>4</sup> وترجم له الأستاذ محمد الفاسي<sup>5</sup> وذكر أنه أحصى له نحو

---

1. مقدمة تحقيقا ديوان ابن مكرّم 91 ومقالة حسن البغدادي في سجدات الأئمة ج 6، ص 49 ومن بعدها.

2. القصيدة : 621

3. Anthologie d'auteurs arabes p 3

4. القصيدة : 620 - 625

5. معلمة الملحون ج 2، ق 2 : 54 - 61

السبعين قصيدة وقال إن عنده منها نحو الستين. وقد سرد أسماء جلها وذكر حربات معظمها وختم الترجمة بقوله : «ومن قصائده النادرة قصيدة المصرية، وهي عبارة عن وثيقة تاريخية فريدة، ذكر فيها أن جماعة كبيرة من المجاهدين المغاربة قصدوا القاهرة ليساهموا في جهاد المسلمين ضد جيش نابوليون بوناپرت، ولم يتعرض لهذا الحادث مؤرخ لا في المغرب ولا في المشرق»<sup>(1)</sup>.

وقد يكون هذا القول صحيحا بالنسبة للمؤرخين المغاربة أما المؤرخون في المشرق فقد تحدثوا عن مغاربة قادوا المجاهدين أو شاركوا في الجهاد ضد الفرنسيين في مصر، ومن هؤلاء المؤرخين المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي والمؤرخ اليمني لطف الله بن أحمد جحاف وهما معاصران للحملة، فقد تحدثا عن الشيخ المغربي محمد الجيلالي الهاشمي الذي كان مجاورا بمكة ولما علم بدخول الفرنسيين إلى مصر دعا الناس إلى الجهاد فتطوع عدد كبير من أهل الحجاز والمغاربة وغيرهم وجهز منهم جيشا وقادهم ونزل بهم في صعيد مصر وجرت بينهم وبين الفرنسيين معارك استشهد فيها المجاهد الجيلالي المغربي المذكور<sup>(2)</sup>.

وتحدث الجبرتي أيضا عن مغربي آخر كان في محافظة البحيرة ودعا إلى جهاد الفرنسيين ثم زحف بأتباعه إلى القاهرة فأقضى مضاجع الفرنسيين<sup>(3)</sup>، وأما المغاربة الذين كانوا في الغورية وأشار إليهم زجالنا

---

1- نفسه ص 61 و ج، 3 ص 255.

2- عجائب الآثار، في التراجم والأخبار ج. 3 ص 66 وما بعدها (أحدث شعبان 1213هـ) ونصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر (ط القاهرة 1975) ومجلة العربي ع. 250 ص 35 وما بعدها.

3- المصدر أعلاه.

فقد تحدث عن دورهم ودور الذين كانوا في رواق المغاربة الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن في بحثه «دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث»<sup>(1)</sup>؛ وتجدر الإشارة إلى أن الجالية المغربية في القاهرة كانت يومئذ كبيرة وقوية وظهر فيها تجار كبار كآل الشرايبي الذين كانت لهم مكانة كبيرة في المجتمع القاهري<sup>(2)</sup>.

ونرجع بعد هذا إلى زجالنا فنجده يتحدث في القسم الأول عن وجوب الجهاد على المسلمين وفوز المجاهدين في مصر كما فاز الصحابة المجاهدون في غزوة خيبر ويتحدث في القسم الثاني عن فتح مصر سنة عشرين للهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص ثم يشير إلى ما وجده من عادة إلقاء بنت بكر في النيل بعد تجهيزها كعروس وذلك في تاريخ محدد فمنعهم منها فقلت مياه النيل وتوقفت عن الجريان فكتب عمرو إلى الخليفة عمر يخبره فبعث إليه ببطاقة ليلقيها في النيل وكان فيها : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك» ففاض النيل بعد إلقائها . ويعبر الزجال في أول القسم الثالث عن إعجابه بمصر التي لا مثيل لها ولا يستثنى إلا مكة والمدينة وبيت المقدس ويذكر المحمل الشهير ويقول إن مصر أم المشارق والمغارب ويشير إلى عمرانها وورود ذكرها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف<sup>(3)</sup>. ثم ينتقل إلى ذكر الحملة البحرية

1. المجلة التاريخية المغربية ع. 12

2 تاريخ العلاقات المصرية المغربية (يونان ومزين) ص 182 وما بعدها

3 حسن المحاضرة 2 - 186

4 عقد السبعين في حسن المحاضرة فذكر مصر في القرار والذي ذكر مصر في الحديث.

الفرنسية التي قادها بونايرت وكيف دخل مصر وزعم أنه حصل على موافقة السلطان العثماني<sup>(1)</sup> فصدقه الناس أول الأمر وبسط نفوذه في البلاد ويقول الزجال في القسم الرابع إن المساجد عطلت وزيارة سيدنا الحسين أبطلت وانتشر خبر أفعال الفرنسيين في كل مكان فبكى المسلمون على مصر بالدم لا بالدمع وهب أهل المغرب لنجدتها وكذلك الأتراك، وأهل الشام، وما أكثر الذين شاركوا في الجهاد من أوطان المغرب بأسلحتهم المتنوعة، وكان للمغاربة الأبطال الذين خرجوا من الغورية الدور الأكبر في إنهاء الوجود الفرنسي بمصر، ويشير في القسم الخامس إلى أن البلاد بعد ذلك رجعت كما كانت يقصدها التجار والحجاج وقد ختم الزجال قصيدته بالصلاة على رسول الله وآله وصحبه ثم بالرمز إلى اسمه بحروف الجمل مثلما فعل في قصائد أخرى : ويرجع الفضل إلى الأستاذ الفاسي في العثور على هذه القصيدة ونشرها أولا في سنة 1974 بمجلة دعوة الحق<sup>(2)</sup> وذلك بعد تقديم وتحليل ثم أعاد نشرها في الجزء الثالث من معلة الملحون<sup>(3)</sup>، أما الدكتور عباس الجراري فقد تحدث بتفصيل عن هذا الشاعر ولاحظ خمس ظواهر في شعره، ونقتبس منها قوله : «الأولى أنه - على ما نعلم - أول من نظم زجلا سياسيا على حد ما تثبت قصيدته المصرية التي يكاد يجمع كبار الأشياخ أنه قالها في حملة نابليون على مصر، وللأسف أنا لم أعثر على أثر لهذه القصيدة التي لا شك تكشف عن تجاوب المغاربة مع إخوانهم المصريين في هذه النكبة التي حلت بهم»<sup>(4)</sup> ونسوق بعد هذا نص القصيدة مع شرحنا لبعض ألفاظها :

1- مجلة العربي ع. 250 ص 36.

2- مجلة دعوة الحق (مارس 1974).

3- معلة الملحون ج، 3، : 256 - 258.

4- القصيدة : 622.

مبحان من فرض علينا الجهاد فرض واجب  
فالمبدأ وقالا خروا  
فازوا اهل الجهاد في مصر وهوان كل صاعب  
وخلق مومن وكافر  
وقل أرض بيعت فيها ما تمّ من المواهب  
واحد سامع وباصر  
بأر المشرق جانا حتى للمقارب  
لنا ولك يا مصر  
فمدينة الخلافة ظاهر بين لصحاب صاحب  
بها حفت عساكر  
وفتحها على يد ابن العاص اهل المناقب  
أو كان في اقدم عاصر  
يرمى فيه بكره يحمل بها على المذاهب

وخير كل موت فالجهاد وكل خير يغانم  
بالجهاد يتفوق الاسلام على النصارا  
فغزوة خيبر فازوا ناس الجهاد الكرام  
كلهم من آدم انشاوا بالإشارة  
وفكل أرض الحكيم فيها دايماً حكيم عادم  
ما خفاء الظاهر واللي نهو توارا<sup>1</sup>  
بشار الاسلام ببصر ولات لإسلام<sup>2</sup>  
وأجب البشار لا كيفها بشارا<sup>3</sup>  
بعد ان مضت عشرين من الهجرة سنين وعوام  
بأمر ابن الخطّاب أمير الأمّارة  
به البلاد سعدت وصبح فيها مؤيد همام  
كل عام يسير معه بلا خياراً<sup>4</sup>  
رد للخليفة لخبار منين جاء لكلام<sup>5</sup>

1. بشار : بشارة، ولات : رجعت.

2 لا كيفها : لا مثلها أي لا تعد لها بشارة.

3 واللي نهو : والذي هو، توارا : توارى أي خفي.

4 بلا خيارا : أي بالاضطرار لا بالاختيار.

5 منين جاء : أي لما جاء والمذاهب : الجداول والفروع.

وَبَقِيَ إِلَيَّ غُدُو حَايِرُ  
قَبْطُ لِكِتَابِ عُمَرُ فَيَدُّو وَبِحَقِّ وَاجِبُ  
أَلَا أَنْتَ عَلَى الْخَاطَرِ  
وَالْأَنْتَ بَاذَنْ مَوْلَاكَ أَحْمَلُ عَلَى الْمَذَاهِبِ  
وَرَوَى سُوَاحِلُ يَاسِرُ  
أَزَيَانَتِ لِبِلَادِ وَشَيْدَ فَتْرَابِهَا مَضَارِبُ  
لَهَا عُلُومٌ تَتَكَاثَرُ  
بُشَارِ الْمَشَارِقِ جَانَا حَتَّى لِلْمَغَارِبِ  
لَنَا وَلِلَّكَ يَا مَصْرُ  
مَا رَيْتَ مَا يَشَابَهُ مَصْرَ فِي سَائِرِ الْمَغَارِبِ  
صَالُوا بِمَحْمَلِ الظَّاهِرِ  
مَصْرَامِ الْمَشَارِقِ مَصْرَامِ الْمَغَارِبِ  
فِي كِتَابِ رَبِّنَا الْقَاهِرِ  
وَكَذَلِكَ الْكَرِيمِ حُجَّتُهُمَا مَنْ لَا سِوَاهُ حَاجِبُ  
قَامُوا أَبْطَالُ الْغُضَافِرِ

كَاتَبَ لَعُمُرُ وَخَبَرُوا بِالْجَهَارِ  
لِلنَّيْلِ سَيْفُ كِتَابِ جَوَابِ كَلَامِهِ فِيهِ وَسَلَامُ<sup>(1)</sup>  
لِلَّاهِ قَلْتُ تَحْمِلُ لَكَ رَدَ لَا تُجَارَا  
النَّيْلِ فَاضْ فَيُضْ فَاتُ حَوُونُ وَشَقَّ الْأَوْهَامُ<sup>(2)</sup>  
بِالْأَحْكَامِ أَمِنْ وَظَهَرَتْ النُّضَارَا  
وَبُنِيَ مِنَ الْمَسَاجِدِ فِيهَا وَاخْيَارَهَا لِقَدَامُ<sup>(3)</sup>  
بِالْأَسْبَاطِ رَدَمَهَا وَرَدَّهَا سَيَّارَا<sup>(4)</sup>  
بُشَارِ الْإِسْلَامِ بِمَصْرَ وَلَا تَ لِلْإِسْلَامِ  
وَأَجَبَ الْبُشَارَ لَا كَيْفَهَا بُشَارَا  
إِلَّا أَرْضُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَقُدْسُ الشَّامِ  
مَحْمَلُ الْكَعْبَةِ لَهُ الْحَجُّ وَالزِّيَارَا<sup>(5)</sup>  
فِيهَا مِنْ لِمَذَاهِبِ بَاشِ يَقُومُو مَدُنَ وَخِيَامُ  
جَاتُ مَصْرَ مَدْكُورَ جَاتُ مَخْتَارَا<sup>(6)</sup>  
عَادَ الْغَزْوُ فِيهِمُ الْقَادِمُ كِبَارَهَا وَالْقِيَامُ<sup>(7)</sup>  
حَاضِرِينَ الْمَلَا وَحَيَاتُهُمْ خُسَارَا<sup>(8)</sup>

- 1- قبط : قبض، سيفط : أرسل.
- 2 شق الأوهام : جاوز الوهم وفات الحد.
- 3 يشير إلى جامع عمرو بن العاص الذي ما يزال قائما.
- 4 يشير إلى الخليج المعروف بخليج عمرو وردمه
- 5 يشير إلى محمل الحج المنسوب لتنظيمه إلى الملك الظاهر بيبرس والذي كان يخرج من مصر في كل موسم حج.
- 6 ذكرت مصر في القرآن الكريم خمس مرات.
- 7 يشير إلى الحديث : «مصر كتانة الله من رماها بسهم أصيبت مقاتله».
- 8 الغضافر : جمع غضنفر وهو الأسد.

جاها فرانسيس في البحر بسفن والمراكب  
 تاقو بميرة الكافر  
 حاز البلاد وصبح جمهورهم فيها غالب  
 بطلوا مساجد لاجر  
 اخبرها من طول ومن عرض فالمنكب  
 والغرب له جا امر  
 بشار المشارق جانا حتى للمغرب  
 لنا ولك يا مصر  
 واطنيان جونها العامر  
 الاثراك ريت فيهم رايات شحال من كتاب  
 اخذ ما كتاب فمصر ويجول كل حاسب  
 واتى شحال من خاطر  
 اهل الصوارم المفروغه واقواس النشاب  
 والبالات والخناجر  
 اعطوا الكشوط البيعه وتبرموا اللواب  
 وقال جبت من عند الفذ كتب يا فهم<sup>(1)</sup>  
 والبلاد معهم فيها دار دارا  
 حصن سوارها وبني فالقعة بساط لحكام  
 بني على باب الحسين بطل الزيارا  
 وبكات الاسلام عليها بكى القلوب بالأم  
 وناضت النفس فهل الايمان لاغارا<sup>(2)</sup>  
 بشار الاسلام بمصر ولا ت لاسلام  
 واجب البشار لا كيفها بشارا  
 ضاعت كلها لا هل الغنى والبشارا  
 واتوا للسواحل وطلع جزاها من الشام<sup>(3)</sup>  
 قطع ركايتها ما تدخل الا تحت لحكام  
 من اوطان المغرب للحرب والسقارا  
 ورماح للفتك والبترات الا انشق لحسام  
 والزرايم لاهل التلحيق والعمارا<sup>(4)</sup>  
 صبحوا المغرب فالتوريه شادين لحزام<sup>(5)</sup>

1. وناضت : ونهضت، وناضت النفس أي ظهرت الحمية.
2. يشير إلى زعم نابليون أنه يحمل فرمان من السلطان العثماني.
3. يقصد أحمد باشا الجزائر والي العثماني على الشام.
4. ذكر في هذين البيتين أسماء الأسلحة.
5. الغورية : حي في القاهرة ينسب إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري.



شجعانهم وغناضر<sup>١</sup> جرحوا كشوطها وتلاقى مطلقها وطالب<sup>٢</sup>  
 الرماح غير تتقاطر<sup>٣</sup> والي بالحياة تبقى منهم صار عاطب<sup>٤</sup>  
 فاكبألها وقناطر<sup>٥</sup> هذي رثية الكفار على راي كل راهب<sup>٦</sup>  
 والا محية زدا آجر<sup>٧</sup> بشار المشارق جانا حتى للمغارب<sup>٨</sup>  
 لنا ولك يا مصر<sup>٩</sup> دابا تجارها تشوق ويفرح كل كاسب<sup>١٠</sup>  
 والي رايد يسافر<sup>١١</sup> دابا نشاهد فمصر ثم نشاهد الكواكب<sup>١٢</sup>  
 دابا نشاهد الطاهر<sup>١٣</sup> عليه الصلاه من الله وعلى كل صاحب<sup>١٤</sup>  
 لهم سلامنا عاطر<sup>١٥</sup> واسمي نبينو للقاري نبي لكل حاسب<sup>١٦</sup>  
 إلا ربعه فالآخر<sup>١٧</sup>

وقاتلوا وقتلوا فحومة السقارا<sup>١٨</sup>  
 مغلوب له جا غلاب<sup>١٩</sup> وعليه هد الرسام<sup>٢٠</sup>  
 والسيوف حفات من رقاب النصارا<sup>٢١</sup>  
 والي بقي اداة انگليزيسير<sup>٢٢</sup> كيف قلام<sup>٢٣</sup>  
 ما ينفدى بالمال ولا بالاغارا<sup>٢٤</sup>  
 ومحاتهم الاسلام كما تمحي النار لحطام<sup>٢٥</sup>  
 او كسرى فملوك الفرس دار دارا<sup>٢٦</sup>  
 بشار الاسلام بمصر ولات لالاسلام<sup>٢٧</sup>  
 واجب البشار لا كيفها بشارا<sup>٢٨</sup>  
 والبيع والشر ايتحرك وتجوذ به الايام<sup>٢٩</sup>  
 يدير زاد التقوى زاد للزيارا<sup>٣٠</sup>  
 ونزور الحسن والحسين اسباط خير الانام<sup>٣١</sup>  
 يا سعد من زار القاصي المزارا<sup>٣٢</sup>  
 والال والزواج والانصار وسباط سيد الامام<sup>٣٣</sup>  
 والسلام على ناس الذوق والاشارا<sup>٣٤</sup>  
 اربعين سابقا وثمانية من بعدها والختام<sup>٣٥</sup>  
 ما وراها غير الرابعه باختصارا<sup>٣٦</sup>

١. غناضر : جمع غنصور (غندور) وهو الصنديد، وحومة السقارا أي ساحة المعركة

٢. يسير : أسير، كيف : مثل.

٣. زاد جرد : يزد جرد. اسم آخر الاكاسرة.

٤. الطاهر من أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام.

٥. يتألف من الأرقام التي ذكرها اسم محمد.

٦. دابا : الآن.

٧. من قوله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)



زجل السلوانية  
لمحمد بن الحسن  
السلوي

- تعرضت مدينة سلا في تاريخها - مثل بعض المدن المغربية والمغربية الساحلية - إلى هجمات بحرية أجنبية ومن أشهرها الهجوم القشتالي الغادر في سنة 658هـ وقد وصفه المؤرخ بن عذارى بتفصيل تحت العنوان التالي : اختصار الخبر عن كائنة مدينة سلا، التي كل قلب عن همها تسلى ولا سلا<sup>(1)</sup>. ومن ذلك الهجوم الفرنسي الذي كان في سنة 1178هـ (1765م) وتحدث عنه الغزال في رحلته نتيجة الاجتهاد<sup>(2)</sup> والناصري في الاستقصا<sup>(3)</sup>، ثم الهجوم الفرنسي الثاني في سنة 1268هـ (1851م) وهو موضوع هذه القصيدة الزجلية التي تسمى السلوانية<sup>(4)</sup>.

وناظمها هو السيد محمد بن الحسن السلاوي كما سماه الأستاذ محمد الفاسي<sup>(5)</sup> والحاج أحمد معنينو<sup>(6)</sup> أو محمد ابن الحاج عبد الغني بلحسن حسبما عند السيد مصطفى بوشعرا<sup>(7)</sup>.

وقد مهد الأستاذ الفاسي لقصيدته بقوله : «صاحب هذه القصيدة غير معروف في أوساط شيوخ الملحون»<sup>(8)</sup>، وترجم له في موضع آخر وقال : «وهو تلميذ القعبوري وكان له إمام بالطب»<sup>(9)</sup>. أما الحاج أحمد معنينو فقد نعتة بالشاعر الموهوب<sup>(10)</sup> وقال فيه السيد بوشعرا أنه «أحد أشياخ الملحون السلاويين»<sup>(11)</sup>.

1- البيان-المغرب - قسم الموحدين - : 418 - 425

2- نتيجة الاجتهاد :

3- الاستقصا 7 : 30-31.

4- نسبة إلى سلوان من أسماء مدينة سلا وتسمى القصيدة أيضا بالجهادية وثمة في الملحون قصائد سلوانية أخرى لعل أقدمها القصيدة السلوانية لعبد العزيز المدغري

5- معلمة الملحون 3 : 73

6- مجلة البحث العلمي ع . 35 ص 203.

7- في تحقيقه لكتاب ألتاحاف الوجيز (الحاشية 13)

8- معلمة الملحون 3 : 73

9- نفسه ج 2 ق 2 ص 22.

10- المصدر أعلاه.

وقد ذكر الزجال اسمه وشهرته - كما جرت العادة في آخر قصيدته فقال :  
من فُكّر وُصِفَ ضِعِفَ واسمي فارقايق الأشعار محمد والكنوا  
الواضحا بن لحسن نسعى لقبول من كون الباصر.

وذكر قبل هذا اسم شيخه القعبوري فقال :

اراوى خذ المجد حفظو والغى اهل الخطا والقوم العميان  
ما دركوه ولا يحفظو ولا رووا في خزانة بوعثمان  
القعبوري الفصيح لفظو شيخي نبينو هزام الطغيان

ومن الواضح أنه كان من معاصري هذه الحادثة التي تحدثت عنها  
المصادر العربية والأجنبية وتحدث عنها صاحب الزجل في القسم الأول  
وأول القسم الثاني ومحصل ما قاله أن العدو ضرب مدينة سلا ورمها  
بالقنابل نهار الأربعاء (2 صفر 1268) وكان يوما مشؤوما. إذ امتلأت  
دروب البلد بشظايا القنابل وقد ردت عليه مدافع سلا فكسرت مراكبه  
فرجع مهزوما لم ينل شيئا رغم عدد مراكبه وكثرة قنابله وذلك بفضل  
مقاومة المجاهدين وبركة الصالحين، وهذا هو قوله :

او الله في صباح صبحو في نهار الاربعاء كان نهارو شوم  
والكور بغيض لاحو وبقي فالدروب مسيب مقسوم  
ومدافعنا فرعو لواحو هذي شفاية بين جنوس الروم

وقوله :

جانا ومشى مهزوم ليس روح خصله من بعد ظل بالكور يشاير  
واستغيظ بكفرو وزادهم الكافر تغيار  
حافت له الاسلام الرجال التياك غزاو فيه بالطعن الباتر  
هدوه بحرب شديد بعد جانا سقوف النار  
ولقاوه هل الايمان بالمدافع والكور حتى دهاو الكريه الدائر  
طاح علامو وتشتت الواحو معى لبصار  
عاد في كربة وبقى يروج من كيد الكافر عليه صار مكوي بمحاور  
صار في قهره مغلوب ما بقات صوله للغدار  
والصلاح اسيادي اهل الاغار خصلوا فالكافرين بالسر الظاهر  
من قبل تروح الشمس بينو فالكافر عتبار

أما سبب الهجوم الفرنسي فهو أن مركبين لتجار فرنسيين كانا مملوعين قمحا نشبا بساحل سلا فاعتبرهما الناس غنيمة فتوزعوها فيما بينهم ولما لم يحصل أصحاب المركبين على التعويض المطلوب قامت الحكومة الفرنسية بتوجيه حملة بحرية تتألف من عدد من المراكب المجهزة بالمدافع إلى مدينة سلا فقبلتها طول نهار ثم انسحبت لما نفدت ذخيرتها.

وقد أحدث القصف أضرارا في بعض المباني واستشهد بعض السكان، وتذكر الروايات التاريخية أن مدافع سلا ردت عليها وأحدثت أضرارا في مراكب الحملة. ولعل أبرز ما في هذه القصيدة الزجلية هو أسماء

الصالحين المدفونين بسلا كابن عاشر وابن حسون وسيدي موسى الدكالي وغيرهم، وصاحب القصيدة يرى أنهم حماة المدينة وحجابها وأنه كان لهم دور في الدفاع عنها لا يقل عن دور الأحياء من أهل سلا وقبائل عامر جيران سلا وكبيرهم ابن الحفيان.

هذا باختصار مضمون هذه القصيدة التي نشرها بباريس في سنة 1902م المستعرب سونيك SONNECK مع ترجمتها إلى اللغة الفرنسية وقال إنها فقيرة جدا سواء من حيث الأفكار أو من حيث اللغة، ولعلّ لموضوع القصيدة أثراً في هذا الحكم، وقد نشر القصيدة أيضاً في العدد 35 من مجلة البحث العلمي الحاج أحمد معنينو وعبر عن إعجابه بها ثم نشرها الأستاذ محمد الفاسي في الجزء الثالث من معلمة الملحون وعدها من روائع الملحون وقال إنها من بحر المبيت وأن قياسها 22 وهي تتألف من خمسة أقسام ذات حربة ونواعير؛ وكلام القصيدة واضح ماعدا كلمات قليلة منها : التايك ومعناها الذي له نخوة، والداسر وهو قليل الأدب وأصلها الجاسر، والكور أي القنابل، وخصل بمعنى إغاثة، وشنادق جمع شندق أي صقر وأصلها شوذانق، والأقواط جمع قوط أي شجاع بطل والسراتا أي الخيل، والسيتل ومعناها الأسد وفرع لواحو أي كسروا مراكبه وفيما يلي نص القصيدة مع شرحنا لبعض كلماتها :

يَا مُوَلَايَ حُرْمَ النَّبِيِّ وَحُرْمَ أَصْحَابِ تَحْمِي لِسَلَامٍ وَاهْزَمَ الْكَافِرَ<sup>1</sup>  
غَلَبْنَا يَا رَبِّي أَعْلِيَهُ وَاهْزَمَ جَيْشَ الْكُفَّارِ  
جَانَا وَمَشَى مَهْزُومٌ لَيْسَ رُوحٌ خَصْلَةً مِنْ بَعْدِ ظَلٍ بِالْكَوْرِ إِيشَايِرَ<sup>2</sup>  
وَاسْتَغِيْظَ ابْكَفَرُ وَزَادَ هَمَّ الْكَافِرِ تَغْيَارُ  
حَافَتُ لِيَهْ لِسَلَامٍ الرَّجَالُ التِّيَاكُ غَزَاوُ فِيهِ بِالطَّعْنِ الْبَاتِرَ<sup>3</sup>  
هَذُوهُ ابْحَرْبُ اشْدِيدَ بَعْدُ جَنَا بِشَقُوفِ النَّارِ  
وَلِقَاوَهُ هَلْ لَايْمَانُ بِالْمَدَافِعِ وَالْكَوْرِ حَتَّى دَهَاوُ لَكْرِيَهْ الدَّاسِرَ<sup>4</sup>  
طَاحُ أَعْلَامُ وَتَشْتَتُ الْوَاخُ مَعْمِي لَبَّصَارَ<sup>5</sup>  
عَادَ أَفْكُرْ بِهِ وَبَقَا أَيْرُوجُ مَنْ كَيْدُ الْكُفْرِ عَلَيْهِ صَارَ مَكُو بِمُحَاوَرِ<sup>6</sup>  
صَارَ فِي قَهْرَةٍ مَغْلُوبٌ مَا بَقَاتُ صُولَا لِلْغَدَارِ  
وَالصَّلَاحُ أَسْيَادِي هَلْ الْإِغَارُ خَصَلُوا فَالْكَافِرِينَ بِالْسَرِّ الظَّاهِرِ<sup>7</sup>  
مَنْ قَبْلُ اتْرُوجُ الشَّمْسُ بَيْنُو فَالْكَافِرِ عَتَبَارِ<sup>8</sup>  
أَبْنُ حَسُونُ أَفَارَسُ لَعْنَايَا سُلْطَانُ أَسْلَا أَنْتَ وَسَدِي بِنْعَاشِرِ<sup>9</sup>  
حَشَى وَاللَّهِ أَبْلَادَكُمْ لَا دَخَلُوهَا كُفَّارُ

- 1- حرم : حماية.
- 2- لس روح خصل : لم يحصل على طائل، يشاير : يرمي.
- 3- حافت : نزلت وجاءت وهبطت.
- 4- دهاو : شغلوا وفتنوا.
- 5- طاح : وقع وسقط، علام : علم أي راية.
- 6- عاد فكر به : صار في كربة وضيق ، ومحاور جمع محور وهو قضيب من حديد يحمي في النار حتى يحمر.
- 7- خصلوا فالكافرين أبلوا في جهادهم بلاء حسنا
- 8- عتبار : عقاب.
- 9- ابن حسون : هو سيدي عبد الله صاحب الضريح الشهير المتوفي سنة 1013هـ وبنعاشر هو سيدي أحمد صاحب الضريح الشهير أيضا المتوفي سنة 764هـ.

إِيَّاكَ اللَّهُ فِي صَبَاحٍ صَبَحُوا      فِي أَنْهَارٍ لَارْبَعًا كَانَ نَهَارُ شُومٍ  
 وَالْكُورُ ابْغِظْ أَكْثَرَ لَاحُوا      وَبَقَا فَالْدَرْوَبُ أَمْسِيَّبٌ مَقْسُومٌ<sup>1</sup>  
 وَمَدَافَعُنَا فَرَعُ الْوَاخُو      هَدِي أَشْفَايَةَ بَيْنَ أَجْيُوشِ الرُّومِ<sup>2</sup>  
 فَرَحْنَا وَسَعَدْنَا فِي مَدِينَةِ سَلَوَانَ عَلَى الْجَهَادِ مَا كَانَ فِي مَصْرٍ  
 فَمَدُونُ الشَّرْقِ وَنَاسُ الْجَزَائِرِ تَعْطِي لَخْبَارٍ  
 غَارُ صُلَاحٍ أَسْلَا عَلَى مَدِينَتِهِمْ أَسْيَادِي جَمِيعَ نَائِمٍ وَالْحَضَرَ  
 وَظَهَرَ السَّرَّ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَالْكِبَارُ وَلِصْفَارٍ  
 وَرَوَاحُ اتَّشُوفُ السَّرَّ فِي أَمْدُونِ رَجَالٍ سَلَا فَالْمَجَالِسُ وَالْمَنَابِرُ  
 وَالتَّقْوَى وَالْقُوَى مِنْ الْغَنِيِّ تَعْظِيمُ الْمَقْدَارِ  
 اللَّهُ أَيْعَزَّ أَسْلَا وَكُلُّ مَنْ يَبْغِيهَا سَعْدُ اللَّهِ بِالْفَرَحِ اتَّبَاشَرُ  
 وَيَكْرَمُ بِالْجَنَّةِ وَطَيْبَهَا فِي شَرِيبِ الْكُوثَارِ  
 أَبِنْ حَسُونُ أَفَارَسُ لَعْنَايَا سُلْطَانُ أَسْلَا أَنْتَ وَسَدِي بَنَعَاشَرُ  
 حَشَى وَاللَّهُ أَبِلَادِكُمْ لَا دَخْلُوهَا كُفَّارُ  
 صُلَاحُ سَلَا لَأَسْيَادُ نَمَجَدُ      هُمَا أَحْجَابَنَا وَيَقْهَرُ بِالطُّغْيَانِ  
 مُوَلَا الْقَمْرِي سِيدِي أَمَحْمَدُ      وَنَقُولُ لِمَفْضَلٍ أَمِيرُ الشُّجْعَانِ<sup>3</sup>  
 وَالطَّلَابُ فِيهِ أَكْثَرُ نَمَجَدُ      وَذَا أَمَجَدْتُكُمْ أَسْيَادِي ضُمَّانُ<sup>4</sup>

1- لَاحُو : رموا، أَمْسِيَّب : موجود بكثرة.

2- فَرَع لَوَاخُوا : كَسَرُوا مَرَآكِبَهُ، شَفَايَةَ : شِمَاتة.

3- مَوْلَا الْكَمْرِي : لَقَبُ الْوَلِيِّ الصَّالِحِ سِيدِي مُحَمَّدِ الْمَفْضَلِ الشَّرْقَاوِيِّ دَفِينِ مَدِينَةِ سَلَا وَالْكَمْرِي الْفَرَسِ الْأَبْيَضِ.

4- الطَّلَابُ : هُوَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ سِيدِي أَحْمَدُ الطَّلَابُ، مِنْ صُلَحَاءِ مَدِينَةِ سَلَا، وَضُمَّانُ : حِمَاة



هَدُوا فَقُصُورَ الْحُورِ وَالْكَرَائِمِ سَعْدَاتُ اللَّيِّ يَكُونُ فَالْدَيْنِ الطَّاهِرِ  
 أَبْحَالَ اسْلَا وَقَبِيلَةَ الرَّجَالِ اشْنَادَقُ الْعَقَارِ<sup>1</sup>  
 وَبَنَ الْحَفْيَانِ امْعَ اقْبِيلَةَ وَاخُوتُوا هَادُوا اجْوَادَ لَقْبَائِلِ عَامَرِ<sup>2</sup>  
 هَادُ عَامَرِ نَاسٍ لَمْشَالِيَا يَتَمَجَّدُ لَاحِرَارِ<sup>3</sup>  
 بِهِمْ نَفَخُرُ وَنَصُولُ كَيْفَ صَالُو وَحَضَاوُ اسْلَا بِالسَّرَاتَا تَشَاخِرِ<sup>4</sup>  
 مَحْزُومِينَ لِلْجِهَادِ مَا يَقَعْدُو فِي كُلِّ أَنْهَارِ  
 اَوْ اللَّهُ أَمْسَلَمِينَ عَزَّهُمُ السُّلْطَانُ عَلَى عَدَاهُ دَائِمًا تَسَاقِرُ  
 لَأَمَانَ أَفْجَرَتْهُمْ جَمْعُهُمْ صَايِنُ كَايُشْكَارِ  
 بِالطَّاعَةِ لَسُلْطَانِ زَادَهُمُ اللَّهُ التَّنْوِيرَ بَيْنَ لَعَرَبٍ وَبَرَابِرِ  
 بِمَحَبَّتِهِمْ فَاسْلَا وَلَا يَعْمَلُو حَالِ التَّقْصَارِ

أَبْنُ حَسُونُ أَفَارَسُ لَعْنَايَا سُلْطَانِ اسْلَا أَنْتَ وَسَدِي بِنْعَاشِرِ  
 حَشَى وَاللَّهِ أَبْلَادَكُمْ لَا دَخْلُوهَا كُفَّارِ

امْدِينْتَنَا بِالْفَرْحِ زَادَتْ	وَزَهَاتُ بِالسَّرُورِ فَرَحَتْ لِلْجِهَادِ
شِيَابُ وَشُبَّانُ فَاضَتْ	بِيَمَانٍ بِالْغَوْهِ وَصَلَاةُ الْمُرْشَادِ
وَأَهْلُ الْجَنَّةِ بِالزَّيْنِ لَدَّتْ	مُحَمَّدَ الشَّفِيعِ حَبِيبِ الْجَوَادِ

1. اشنادق : جمع شندق أي صقر وأصله شوذانق  
 2. وبين الحفيان : كان رئيس قبيلة عامر المجاورة لاسلا.  
 3. ناس لَمْشَالِيَا : أهل الإقدام والقتال.  
 4. السراتا : الخيل السريعة، جمع سرتي وتتشاخر : تتدافع.

سيدي ميمون الكوش لمَخْنَتَرِ قِلَاعِ الضِّيمِ زَادُ لِلرَّفْعِ حَاضِرٌ<sup>1</sup>  
 وَبَقَا يَضْرِبُ بِالْكُورِ فَالْعَدَا وَيَسْطَرُ تَسْطَارُ  
 وَالْجِيلَانِي مَتَخَلَّفُ الْحَمَائِلِ سِيدي جَلُولُ لَيْسَ غَمْرُ يَسْتَاَجِرُ  
 هَذَاكَ انْهَارُ الصَّالِحِينَ حَضَرُوا مِنْ كُلِّ أَمْرَارٍ  
 وَالدُّكَالِي وَرَجَالُ السَّوَاَحِلِ هَذُو بِجَمِيعِ يَاكَ خَصْلُ فَالْكَافِرُ<sup>2</sup>  
 وَسِيادي صِيَارَهُ ابْحَقَهُمْ انْهَزَمُ الدَّسَارُ<sup>3</sup>  
 سِيدي بِالْعَبَّاسِ لَهُمَامُ عَزَّ الْمَسْكِينُ وَاللِّي يَكُونُ فَالْبَحُورُ امْسَافِرُ<sup>4</sup>  
 وَالْمَظْلُومُ التَّايِكَ مَا خَفَاشِي سَيْتَلُ لَقْفَارُ<sup>5</sup>  
 سِيدي لَحْسَنُ الْعِيْدِي شَنْدَقُ الْغُرَّارِ اللَّيِّ مَاخَفَاكَ شَيِّ فَالْظَّوَاهِرُ  
 بُرْهَانُ وَكَّحَ الْبَحْرِ يَوْمَ جَاتِ الزُّيَّارُ  
 عَلَيَّ بَنُ يُوْبُ وَلَالَّةُ الشَّهْبَا وَالتُّرْكِي كَامَلِينَ خَصْلُ فَالْفَاجِرُ  
 سِيْدُ السَّبْعِي وَلَالَّةُ اَرْقِيَّةَ يَفْدِيُو التَّارُ  
 سِيدي يَدَّرُ وَاللِّي قَرِيبُ جَارُ بِالْبَرَكَاتِ لَفْضِيلُ غَنَّامُ الزَّيْرِ  
 مُوْلَايَ أَحْمَدُ حَجِّي مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ الْجَزَّارُ<sup>6</sup>

- 
1. سيدي ميمون اسم أحد المجاهدين الذين حضروا ذلك اليوم.
  2. الدكالي هو سيدي موسى صاحب الضريح المعروف وخصل فالكاfer أي جاهدوا فيه.
  3. وسيادي صبارة هم الصلحاء المدفونون في مقبرة صبارة خارج باب فاس.
  4. سيدي بلعباس : صالح يوجد قبره خارج باب فاس كذلك،
  5. سيدي عبد الله المظلوم يوجد قبره كذلك خارج باب فاس وسيتل لقفار أسد البراري
  6. سيدي لحسن العيدي من صلحاء سلا، وكح البحر ييسه وجعل ماءه يجف.
  7. الجميع من أهل الصلاح المدفونين في سلا.
  8. سيدي أحمد حجي له ضريح مشهور في سلا وعبد الله الجزار ولده مدفون في نفس الضريح

أَبْنُ حَسُونُ أَفَارَسُ لَعْنَايَا سُلْطَانِ اسْلَادِ أَنْتَ وَسُدِّي بِنْعَاشِرُ  
حَشَى وَاللَّهِ أَبْلَادَكُمْ لَا دَخْلُوهَا كُفَّارُ

أَرْوِي خُذْ الْمَجْدَ حَفْظُو      وَالْغِي الْحَطَا وَالْقَوْمَ الْعُمَيَّانُ  
مَا دَرَكُوهُ وَلَا يَحْفَظُو      وَلَا رَوَاوُ فَالْخِزَانَةَ بُوعُتْمَانَ  
الْقَعْبُورِي<sup>١</sup> الْفَصِيحُ لَفْظُو      شَيْخِي أَنْبِيئُو هَزَامُ الطُّغْيَانُ

مَنْ بَحْرُ صَدَتْ جَوَاهِرُ لِمَعَانِي نَلَتْ مَنْ رِضَاهُ طِيبُ لَعْنَا وَدُخَايِرُ  
وَعَمْرُ سُوْقِي بَسْلُوعُ نَافِذَ مَا بَيْنَ التُّجَّارِ  
وَقَطَفَتْ مَنْ الدِّيْبَاجُ نَظْمُ الْحَلَّةِ فِي جِيدِهَا عَقُودُ أَمْنُ أَجَوَاهِرُ  
حَنْطَتْ فَقْمَاشُ وَتَاجُ حَامِلَةٍ امْرُصَعُ بَدْرَارُ  
عَذْرَةٌ تَشْتَمَلُ بَنَوَارَهَا وَتَسْلَبُ مَنْ شَافَ أَجْمَالَهَا مَنْ الْحُسْنُ الْبَاهِرُ  
حَضَرَتْ فَاتِّيَابُ الْعَزْزِ فَانْهَارُ الْمِيزِ وَالْعَقَارُ  
بَيْنَ الْيُوتِ الْحَرْبِ الشَّجَاعِ الْقَوَاطِ<sup>٢</sup> هَلْ الثُّغْرُ السَّعِيدُ بَنُ عَزْرُ يَاسِرُ  
نُخْبَةٌ لَاسِبَاطُ مَعَ لَفْضَالِ أَهْلِ لَصْحَابُ وَلَا نَصَارُ  
شَاهَدَتْ النَّاسُ أَسْرَارَهُمْ مَنْ حَضَرُوا فَالْغَزُو وَضِيحُ لَاعِيَانُ تَنَاضَرُ  
كُلُّ أَبْطَلٍ ذَاكَ الدِّيغِيرِ<sup>٣</sup> عَلَى لَعْدَا فِي تَشْمَارِ<sup>٤</sup>

١- القعبوري كان من شعراء الملحون في مدينة سلا، وقد ترجم الاستاذ الفاسي لثلاثة من شعراء الملحون هم القعبوري السلوي هذا والقعبوري الفاسي والقعبوري الأسفي انظر معلمة المنحون 2 ق 2 ص 443-543.

2 القواط : جمع قوط وهو الحازم.

3 الديغر : لعلها محرفة عن الثغر

4 تشمار : تشمير أي استعداد.

وَعُطِيَ مَنْ لَهُ النَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ وَوَانْهَزَمَ جَنْدُ اللَّعِينِ وَرَغِمَ عَلَى النَّكَرِ  
 وَمَشَا مَدْلُولٌ أَحْقِيرُ صَادَفُوهُ هُمُومٌ وَتَكَدَّرُ  
 نَالَتْ عِزٌّ وَتَعْظِيمٌ أَهْلَ الْفَضْلِ أَسْيَادِي الْمَجَاهِدِينَ مَنْ فَضَّلَ النَّصْرَ  
 انْشَرَحَتْ أَقْلُوبٌ هَلْ لَإِيْمَانٍ وَعَلَامُ الدِّينِ أَنْمَارٌ<sup>1</sup>  
 وَزَهَرَتْ أَقْطَارُ الْغَارِبِ حَازَتْ رُجَالُ إِسْلَامٍ تَوْقِيرَ صَحَّهَا فَضْلٌ وَآجِرُ  
 وَحَضْرَاتُ ابْغِرَاتِ أَهْلِ الْجُودِ فِي أَنْهَائِهَا الْإِخْتِصَارُ  
 وَسَلَامُ الْحِلَّةِ لِلشَّرَافِ وَدَهَاتِ الْعِلْمِ أَهْلَ التَّنَا أَسْيَادِي لِقَمَاهِرٍ<sup>2</sup>  
 وَأَشْيَاخِ الْمُوهُوبِ سَلِيسٌ مَا فَاحَتْ كُلُّ أَزْهَارٍ  
 وَيَعْمَ سَلَامِي كُلُّ مَنْ سَمِعَ هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ أَشْدَاتُ بِالطَّيِّبِ الْعَاطِرِ  
 مِنْ فِكْرٍ وَصِيفٍ أَوْصِيفٍ وَاسْمِي فَارْقَائِقُ الْأَشْعَارِ  
 مُحَمَّدٌ وَالْكُنُوءُ الْوَاضِحَةُ بِنٌ لِأَحْسَنِ نَسْعَى لِقَبُولٍ مَنْ كَوْنُ الْبَاصِرِ  
 نَرْجَى يَجْعَلَنِي فِي حِمَا الْهَادِي سَيِّدٍ لَسَرَّارٍ

أَبْنُ حَسُونُ أَفَارَسُ لَعْنَايَا سُلْطَانِ إِسْلَامٍ أَنْتَ وَسُدِّي بِنْعَاشٍ  
 حَشَى وَاللَّهِ أَبْلَادَكُمْ لَا دَخْلُوهَا كُفَّارُ

1- انمار لعل المعنى أنار ونحيل إلى قول الشاعر : كانه علم في راسه نار  
 2- لقماهر الالهة العظام، الفطاحل.



## BOMBARDEMENT DE SALÉ PAR LES FRANÇAIS \*



---

\* سنينا هذه المرحمة لارتدتها بالنس العربي أفيد عهدا ويدر وجودها

Seigneur, rends sacré le Prophète, rends inviolables ses compagnons; soutiens l'Islam et défais l'infidèle ! Donne-nous sur lui la victoire, Ô mon Dieu, et mets en déroute l'armée des mécréants.

Il est venu et s'en est retourné vaincu ; il n'a obtenu aucun avantage, après avoir tout le jour déchiré l'air de ses boulets. Irrité par son incrédulité, l'impie a vu par les soucis accroître son dépit. Il a été durement traité par l'Islam : les hommes déterminés l'ont combattu, lui portant des coups destructeurs et l'ont anéanti dans une lutte ardente quand il est venu chez nous, monté sur des bateaux à feu.

4. Les sectateurs de la vraie foi l'ont reçu avec des canons et des boulets et ont abasourdi cet exécrationnable impudent. Son pavillon est tombé (2) et les planches de ses navires se sont éparpillées. Pauvre aveugle ! il s'est trouvé dans l'angoisse, tournant de toutes parts, en proie au trouble. Trompé dans son espérance par son incrédulité, il a été brûlé comme par des fers rouges. Il est vaincu dans sa force et il ne reste plus aucune puissance à ce perfide !

6. Les saints personnages, mes seigneurs, empressés à nous secourir, l'ont emporté sur les mécréants par l'évidence de leurs vertus, et, avant que le soleil n'eût disparu, ils avaient montré à l'infidèle un exemple [de leur pouvoir]. O Ben Hasoun, ô chevalier protecteur, prince de Salé, toi et Monseigneur Ben 'Acher, à Dieu ne plaise, je le jure, que les infidèles pénètrent dans votre cité !

8. Eh ! oui, par Dieu, ils ont commencé dès le matin, le mercredi, qui est un jour de malheur (3), à lancer en grande fureur leurs boulets qui restèrent dans les rues, gisant à terre, brisés en éclats. Nos canons enfoncèrent les planches [de leurs vais-seaux] et ce fut toute la satisfaction [qui leur fut accordée] aux yeux des nations chrétiennes !

11. Nous nous sommes réjouis, nous avons été heureux, dans la ville



de la consolation (4), de cette guerre sainte sans pareille en Egypte ni dans les villes de l'Orient; les gens d'Alger en rapportent la nouvelle. Tous les saints de Salé ont combattu pour leur cité, - tous mes seigneurs, tant ceux qui dorment [sous la terre] que ceux qui sont présents [en ce monde] ont manifesté le pouvoir attaché à leurs éminentes vertus en faveur des grands et des petits.

13. Venez voir leur protection [s'exercer] sur les villes;

[voyez] les hommes de Salé dans les conseils et dans les chaires des mosquées ! La crainte de Dieu et la force qu'ils reçoivent de ce Maître magnifique ajoutent à leur puissance ! Dieu accroisse la puissance de Salé et donne à qui l'aime la félicité d'apprendre avec joie une heureuse nouvelle ! Qu'il leur accorde généreusement le paradis et leur en adoucisse davantage le séjour en les abreuvant de l'eau du Kouter{5} !

15. Je célèbre les saints hommes seigneurs de Salé (ce sont les voiles qui nous couvrent; ils subjuguent l'iniquité) : Moulây El-Gômry, S'ydy Mehammêd et, je le dis aussi, El-Mofeddel, chef des braves. Je loue encore beaucoup Et-Taleb, si je vous chante, mes seigneurs sont garants [de la véracité de mes éloges].

18. Ils sont dans les palais des houris et les faveurs [qu'ils reçoivent] font la joie de ceux qui pratiquent la religion pure ; tels les gens de Salé et de cette tribu d'hommes qui semblent des faucons déchirant leur proie. Ben El-Djefyen, avec ses contingents et ses frères, ces 'Amer, les plus nobles des tribus, ces 'Amer qui vont porter le défi à l'ennemi; ces guerriers de race méritent d'être glorifiés !

20. Je suis fier d'eux et comme eux je m'élance au combat. Ils rendent Salé victorieuse par leurs coursiers rapides et rugissants; ceints

pour la guerre sainte ils n'arrêtent pas de tout le jour. Eh! oui, par Dieu, ce sont des Musulmans que le Monarque [suprême] a rendus forts contre ses ennemis et qui, le glaive en main, combattent sans cesse. La sécurité marche sur leurs traces ; tous sont nos protecteurs et ont droit à notre reconnaissance. Pour leur obéissance à leur prince. Dieu a augmenté la splendeur de leur éclat parmi les Arabes et les Berbères. Par amour pour Salé, ils ne font pas montre de négligence !

23. Notre ville croît en joie, elle se divertit dans l'allégresse, contente de cette guerre sainte. Vieillards et jeunes gens, tous ont [couru au combat comme un fleuve] débordé, animés d'une foi efficace et appelant les bénédictions du Ciel sur le Prophète au sens droit. Les bienheureux du paradis goûtent le charme de la beauté. Mahomet l'intercesseur est l'ami des guerriers d'illustre origine.

26. Sydy Mymoun El-Kouch, le téméraire, extirpateur de l'injustice, a ajouté à sa grandeur en assistant [à la lutte] ; il lançait des boulets sur l'ennemi et le déchirait en morceaux. El-Djylany revient le dernier dans les charges (6) et Sy Djelloul n'a reculé de sa vie. Ce fut la journée des saints; ils accoururent de tous les sanctuaires. Les guerriers des Dôkk?la et les hommes du S?h?l, tous, sache-le bien, Font emporté sur l'infidèle. Mes seigneurs sont patients; [mais] au nom du respect qui leur est dû, Les insolents ont été mis en fuite.

29. Sydy Bel'Abbàs, le vaillant, est le soutien du pauvre de celui qui voyage sur les mers et de l'opprimé. [Héros] intrépide il ne s'est pas dissimulé. C'est le lion des campagnes désertes. Sydy El Ahsen El-'Aydy est le faucon impétueux qui ne te reste pas caché dans les circonstances où il faut se mettre en évidence Par un de ses miracles il creusa la mer jusqu'au fond (7) le jour où sont venus les partisans des fausses doctrines. -Aly Ben Youm, Lalla-Ech-Chahba et Et-Tôrky; tous ont abattu le per-vers. Sydy-Es-Sebty et Lella Rôgeyya se sont



vengés. SydyYdder est un ami proche de son voisin (8). El-Fôdyl enrichit de ses bénédictions celui qui lui rend visite. Moulây Ahm?d Haddjy et avec lui -Abd 'Allah-El-Djezzar [se joignent à eux].

33. O conteur, écoute ces éloges et conserve-les dans ta mémoire. Méprise les partisans de l'erreur. Les gens aveuglés ne les ont pas compris et ne les ont pas retenus : ils ne se sont pas abreuvés aux réserves (9) de Bou'Otm?n El-Ga'boury à la parole éloquente.

Je le donne pour mon maître ; il met en fuite les rebelles à la volonté divine.

36. J'ai pêché dans l'océan de son savoir les perles de mes figures de style; j'ai acquis avec son agrément de précieuses richesses et des trésors et mon marché a été fourni de marchandises ayant cours parmi les commerçants.

37. J'ai, de fleurs diaprées, cueilli les ornements d'une tu-nique. Au cou [de cette belle] (10) sont des colliers de pierres fines. Coiffée de riches étoffes, portant un diadème incrusté de perles, c'est une jeune vierge dans le teint de laquelle se marient toutes les fleurs et qui ravit quiconque voit la perfection de son éclatante beauté. Elle se montre dans l'appareil de la puissance le jour de la revue des guerriers, le jour des habits de fête et de parade!

39. Parmi les lions de la guerre et les vaillantes troupes de défenseurs de ce boulevard [de l'Islam] sont Es-Sa'yd Ben'Azeraet la nombreuse élite des tribus, jointe aux hommes généreux qui furent les compagnons du Prophète et ses auxiliaires. Chacun de ceux qui ont assisté à l'action s'est rendu compte des effets de leurs vertus et dès le matin (11) les yeux voyaient chaque héros, celui-ci à côté de celui-là, fondant sur l'ennemi, les vêtements relevés pour la lutte.

41. Celui qui dispose de la victoire l'a donnée à l'Islam. L'armée d du maudit (12) a été défaite et Dieu a humilié l'incrédule qui est reparti abaissé et méprisé, n'ayant rencontré que soucis et chagrins. Les hommes de mérite, mes seigneurs, les combattants de la guerre sacrée, ont conquis par la libéralité du Dieu secourable la puissance et la grandeur. Les cœurs des sectateurs de la vraie foi se sont dilatés et le drapeau a été victorieux (13).

43. Les contrées du Couchant ont refleurì; les hommes de Salé ont joui d'une considération que confirment la munificence et les récompenses [divines] et j'ai rapporté aussi succinctement que possible le concours empressé de ces généreux personnages.

44. Un salut paré d'ornements soit adressé aux nobles [descendants du Prophète], aux savants à l'esprit pénétrant qui sont dignes de nos éloges, nos seigneurs, comparables aux astres(14)

et aux cheykh qui cultivent cette douce poésie, don du Ciel, a ussi longtemps que toutes les fleurs exhaleront leurs senteurs.

45. Mon salut s'étend également à tous ceux qui écoutent ce récit merveilleux, tissé sur une chaîne de parfums embaumés,[émané] de la pensée d'un faible esclave. Mon nom qui se trouve dans de délicates poésies, est Mohammed et mon surnom manifeste est Ben El-Ahsen. Je m'efforce de mériter l'agrément de Celui qui, par son essence même, voit tout, et j'espère qu'il me mettra sous la protection du guide qui est le prince des hommes bienveillants!

1) Sur ce bombardement, qui eut lieu le 26 octobre 1851, voy. Léon Godard, Description et histoire du Maroc, Paris, 1860, 2<sup>s</sup> partie, pp. 620-624.

Cette pièce est d'un Salétin nommé Mohamm'd Ben El Ahsen • elle débute, d'une façon très engageante et permet d'espérer le récit intéressant de cette démonstration navale; mais elle tourne bientôt à la litanie et n'est plus qu'une sorte d'ordre du jour où sont cités les marabouts et maraboutes, enterrés à Salé et protecteurs de la ville, qui se sont distingués en prenant une part active à la lutte pour repousser cette attaque, terminée, suivant l'habitude, par la défaite et la honte de l'assaillant.

Cette œuvre est très pauvre et comme idées et comme Langue. Le vocabulaire de Mohammed Ben El Ahs'n est d'une indigence surprenante et il lui faut sa vanité de rimeur pour parler avec autant de complaisance d'une pareille médio-crité. C'est d'ailleurs le jugement que l'on porte en dernière analyse sur la généralité de ces productions de l'Extrême Maghreb, presque toujours, même quand elles chantent le vin et l'amour, dépourvues de poésie et de grâce et inspirées par le mysticisme et le fanatisme seuls à des auteurs, aux mains mal- habiles desquels la langue arabe est un instrument d'un maniement trop délicat.

2) La chute d'un drapeau ou la rupture de sa hampe ont toujours été considérées par les Musulmans comme un présage funeste. Voy. à ce sujet dans Daumas, La vie arabe et la société musulmane, Paris, 1869, p. 26, une anecdote relative à Khaled Ben Yëzyd Ben Mo'eouya.

3) Ben El Ahsen a placé le bombardement un mercredi, sans doute pour corser son récit; il a eu lieu en réalité un dimanche.

4) Jeu de mots sur Q' s? louan, n. d'act. du verbe ^o s? l ?, f.o se consoler, être consolé, réconforté (pop. J^ f. i), hémogramme et homophone du nom arabisé de Sala [Colonia].

5) Fleuve du paradis dont l'eau est plus blanche que le lait et plus douce que le miel (Aine, Le Paradis de Mahomet, op. cit. p. 52).

6) Le texte est fautif, sans doute par suite d'une erreur de chanteur ou de copiste : hamayl n'est pas le pluriel de h?mla; il faut lire , hamaly.

7) Pour engloutir les vaisseaux français.

8) C'est-à-dire un bienfaiteur toujours disposé à obliger le dévot qui fréquente assidûment son tombeau et s'est pour ainsi dire fait son client.

9) khezana ne donne pas un sens satisfaisant; il faut corriger le texte en khezyna, réserve d'eau, citerne le de la poésie classique eau conservée

dans des puits. Dozy, Suppl. aux dict. ar.]

10) Les poètes marocains comparent volontiers leurs compositions à une jeune femme dont la beauté est encore rehaussée par les ornements et la parure (voy. LIX, v. 83).

11) Corrigez le texte; au lieu de lisez sabbʿh.

12) Le démon, Satan.

13) Dans le texte, au lieu de lisez énsar, XI- forme pop. de nʿsʿr.

14) Texte : au lieu de , lisez , lʾl ʿqmahʿr est le pluriel

ʿ qmʿr (sing. qʿmʿr, lune), auquel l'auteur a ajouté un ʿ hʿ, lettre très douce qui, agissant comme un accent circonflexe, n'altère que fort peu la prononciation et lui fournit ce pendant la rime en ʿr dont il a besoin C'est un mot formé comme.





زجل «التطروانية»  
للهاج إدريس السناني

كان هجوم الإسبان على تطوان واستيلاؤهم عليها سنة 1276هـ (1860م) من أبرز الأحداث في تاريخ المغرب الحديث وقد جاء هذا الهجوم عقب انتقاض الصلح الجاري بين المغرب وإسبانيا بسبب حادث على حدود سبتة تذرع به الإسبان الذين كانوا كغيرهم من الأوروبيين يتشوفون إلى بسط نفوذهم على المغرب فوجدوها فرصة لإعلان الحرب والهجوم على تطوان وقد دافع المغاربة ما وسعهم الدفاع ولكنهم غلبوا على أمرهم لأسباب ذكرها المؤرخون ومنهم مؤلف الاستقصا الذي روى بعض أخبار الحرب عن حضرها وانتقد الطريقة التقليدية في القتال التي كان المجاهدون يتبعونها وقال في آخر كلامه عليها «وقعة تطاوين هذه هي التي أزال حجاب الهيبة عن بلاد المغرب واستطال النصارى بها وانكسر المسلمون انكسارا لم يعهد لهم مثله»<sup>1</sup> وقد انسحب الإسبان من تطوان بعد أن مكثوا فيها سنتين وثلاثة أشهر ونصفا ولم يخرجوا من البلد إلا بعد حصولهم على مبلغ من المال.

وقد كان لحرب تطوان أو حرب إفريقيا كما سماها الإسبان صدى في الأدبيات المغربية والإسبانية<sup>2</sup> ومن أشهر ما قيل فيها من الشعر المعرب قصيدة الأديب السيد المفضل أفيلال التي مطلعها

يا دهر قل لي على مه كسرت جمع السلامه<sup>3</sup>

وقد نشر الأستاذ محمد ابن تاويت في مجلة تطوان جملة من القصائد تصف ما حل بتطوان وأهلها خلال الحرب المذكورة وكان لبعض

1. الاستقصا 8 : 116 (ط. 2001)

2. هذا مطالعته حرب تطوان في الآداب الإسبانية السيد محمد الحبيب سبتة الساهر ع 13 من ص 186 إلى ص 206

3. انظرها في الاستقصا 7 : 108 - 110

4. مجلة تطوان ع 1 ص 8 إلى ص 30



شعراء الملحون قصائد تسمى بالتطوانيات لعل أشهرها قصيدة الشاعر الزجال المشهور الحاج إدريس الحنش السناني من مدينة فاس وقد توفي بها سنة 1910م له ديوانان أحدهما في الشعر الفصيح سماه الروض الفائح بآزهار النسيب والمدائح والآخر في الملحون الذي يعد من أكبر وأشهر رجاله<sup>1</sup> وقصيدته التطوانية نظمها لتذكير المغاربة بما وقع لتطوان وأهلها ودعوتهم إلى أن يأخذوا حذرهم ويستعدوا لعدوهم الذي أصبح يطمع في الاستيلاء على أرضهم، والقصيدة من بحر المبيت قياس 8 ب وهي تشتمل على سبعة أقسام<sup>2</sup> وأولها في الافتتاح باسم الله والصلاة والسلام على رسوله وآله الذين جاهدوا في الله حق جهاده والدعاء إلى الله أن ينصر أعلام الدين ويكتب الكرة للمسلمين، وفي القسم الثاني نداء إلى الساهين والغافلين أن يستيقظوا ويهبوا إلى جهاد العدو الجائر الذي دخل تطوان واستباح أحوازها ذات المتنزعات كمثل كيتان وهو يتوجع لما أصاب المدينة ويسلم بآته أمر مقدر ويسأل الله أن يكشف الغمة ويبدد شمل المعتدين ويهيئ أسباب الانتقام منهم والغلبة عليهم حتى تعود للمغرب صولته، ويستغرب الشاعر في القسم الثالث من أن العدو كان يعد العدة بينما المغاربة غافلون عن أمره، وهو يبكي في القسم الرابع غربة الإسلام ويقول أن ما حدث من خذلان سببه الإقبال على جمع المال والانصراف إلى الزراعة والتجارة ونسيان أمر الجهاد وقد أشار إلى حديث «ما دخلت السكة دار قوم إلا ذلوا» والحديث الذي يرويه ابن عمر وهو «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر

1. انظر ترجمة إدريس السناني في الأعلام لابن إبراهيم 3 - 42 وإتحاف المطالع لابن سودة في موسوعة أعلام المغرب 8 - 2826 ومعلمة المغرب الملحون لمحمد الفاسي ج 2 ق 2 - 173 - 176 ومقالة لزمامة في مجلة البحث العلمي، ومعلمة 11 ص 3621  
2. نفساً عن كتاب مظاهر نقطة المغرب الحديث ج 1 من ص 369 إلى ص 377. وقد استشهد الدكتور عباس الجراري بأبيات منها في كتابه القصيدة : 357 - 359

ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» وقد أحال في هذا الموضوع على حلية الأولياء لأبي نعيم وبعد هذا سأل الله أن يصلح حال المسلمين ويعينهم على القيام بواجب الجهاد مع متطلباته وحسب شرطيه وهما الصبر والتقويم وهنا أيضا يحيل على حديث نبوي آخر رواه أبو ذر وذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم ثم ذكر في القسمين الأخيرين بما حدث في غرناطة وغيرها من المدن التي بات أهلها مسلمين وأصبحوا كفارا وذكر أيضا بمحنة أهل تطوان الذين خرجوا من مدينتهم وبقيت الديار والمساجد خالية ثم ختم قصيدته كما بدأ بالدعاء والتصلية والترضية مع ذكر اسمه وفيما يلي نص القصيدة مع شرحنا لبعض ألفاظها:



نَبِّدَا بِاسْمِ الْجَبَّارِ

وَاسْمِ الْمَوْلَى رَبُّحِي مَعَ اتِّجَارَا

أَخْيَارَ مَا يَقُولُ الْقَائِلُ . مِفْتَاحُ كُلِّ قَوْلٍ أَوْ تَذَكُّرُ

وَصَلَاةُ اللَّهِ أَجْهَارُ

وَالْتَسْلِيمُ عَلَى بَارِعِ الْمَنَارَا<sup>١</sup>

أَصْلًا مُشْرِفًا مَكْمُولًا . وَسَلَامٌ مَا يَنْتَهِي تَكَرُّرُ

وَعَلَى آلِ الْمُخْتَارِ

وَاصْحَابُو مَنْ هَزَمُوا أَهْلَ أَدِمَارَا<sup>٢</sup>

اضْرَاغَمَ اضْرَاغَمَ مِنْ خَرَبُوا . أَبْلِيْمَانِ لِلْكَفْرِ أَدْيَارُ

فَبَوَادِيهَا وَأَمْصَارُ

صَبَرُوا لِلْبَرْدِ وَغَايَتُ لِحَرَارَا

بَاعُوا نَفُوسَهُمْ لِلْمَوْلَى . بَنِيهِ جَنَّتِ الْخُلْدُ وَسَارُ

كَانُوا بِيْزَانَ أَحْرَارُ

يَصْطَادُوا عَلَى لَعْدَاةٍ فَلَقْطَارَا<sup>٣</sup>

حَتَّى وَضَحُوا دِينَ إِمَامٍ . لَنَبِيَا وَخَبَرُوا بِسَرَائِرِ

بِفَضْلِهِمْ يَا حَضَارُ

نَسَالُ مُوَلِّ الْمُلْكَ وَاقْتَدَارَا

١. المنارة = المنارة وهي التي يوضع فوقها السراج، وبازغ = مشرق ومضي.

٢. أهل أدمارا = أهل الجبل والضلال

٣. فلقطار = في الاقطار

يَهْدِي قُلُوبَنَا وَيَتَبَّنَّا . بَلِيمَانُ حَتَّى نَنْصَارُوا  
مِنْ دَارٍ نَفْدِيوُ التَّارَ<sup>١</sup>

وَيَفْدِنَا رَبُّ مَعَ النِّصَارَا  
نَسْعُو النَّصْرَ وَالْفَتْحَ مِنْ اللَّهِ بِالْمَفْضَلِّ وَأَنْصَارُوا  
نَسْعَاوُ اللَّهَ فَالنَّصْرَ نِعْمَ الرَّحْمَانُ وَالْفَتْحَ لَا يَزُولُ وَالظَّفْرَ وَالتَّمَكِينَ  
وَجَبَ نَتَوَجَّهُ وَنَحْتَالُ بَبِيَانُ لِقِتَالِ الْكَافِرِينَ وَنَسْأَلُ الْمُعِينُ  
فَلَوْفَقُ مَعَ لَيْمَانُ وَيَنْصُرُ السُّلْطَانُ نِعْمَ الْمَنْصُورُ سَيَدُنَا سَبْطُ الْحَسَنِينِ  
اللَّهُ يَجُودُ بِالنَّصْرِ لَعَلَّامُ الدِّينِ<sup>٢</sup>

يَا سَاهِي خُذْ أَخْبَارُ  
وَافْهَمَ تَعْبِيرَ الْقَوْلِ وَلِإِشَارَا  
نُوصِيكَ يَا غَفِيلَ احْتَالِ<sup>٣</sup> . لِأَمْرِ الْجِهَادِ وَالْعَدَا جَارُوا  
مَهْمَا سَكَنُوا فَدْيَارُ

تَطْوَانُ بِلُحَيْلَتِ وَأَشْطَارَا  
حَازُوا حَوَازَهَا وَأَمْنَارَهَا . كَيْتَانَهَا وَغَلَاتِ أَشْجَارُوا<sup>٤</sup>  
مَا تَسْتَهْلُ لَغْيَارُ

مَا لِحَقَّتْهَا مَنْ قَوْمُهَا إِيغَارَا<sup>٥</sup>  
وَعَدُ الْكَرِيمِ كَيْتَصَرَّفُ . وَلَا بَيْدِينَا مَا نَخْتَارُوا

١- من دار : هكذا في المطبوع، ولعلها : من درى نفديو التار أي هل سناخذ ثأرنا = ويفدنا ربي أي ينتقم لنا.

٢- لعلام الدين : لراية الدين.

٣- احتال : تهيأ واستعد.

٤- كيتان : من متنزعات تطوان.

٥- لغيار : الكدر أي ما يغير خاطر ويكرهه، إيفارا : نجدة.

ويلا زاد السَّارُ

ايفَج على لَسَام دَلْكَدَاراً<sup>١</sup>  
يَرْحَمُ ضَعْفَنَا وَيَعْمَلُنَا . بِالْفَرَاغِ فَعَسَى نَجْبَارُو  
وَانْغَزُوْ فَلَكَفَارُ

حَتَّى يَرْضُو الْقُلُبَ بَلَجَهَارَا  
وَيَبْدُدَ لَكَرِيمَ شَمْلَهُمْ . وَسَفُونَهُمْ لَهُمْ يَكْسَارُو  
تَكْمَلُ لَنَا لَوَطَارُ

وَنَلْبَسُوا ثَوْبَ الْعَزِّ وَاتْيَارَا<sup>٢</sup>  
وَيَعُودُ الْمَغْرَبِيُّ صَائِلٌ . فِي كُلِّ فَجٍّ عَانِي<sup>٣</sup> بَخْبَارُو  
كَيْفَ أَيْكُنْ لِعَمَالٍ يَا نَاسَ الدِّيَّوَانِ الْأَمْرَ اشْتَدَّ لَا غْنَا بِالْمُسْلَمِينَ  
الْغَرْبُ بِلَا خَفَا لَبَسَ كَسَوْتَ لَحْزَانُ وَضِيَاقُ لَجُونِ كَيْفَ سَارُو عَادَ احْزِينُ<sup>٤</sup>  
وَشَهَاوِنَا دَهُونَا عَلَى الْحَتْلَانِ<sup>٥</sup> وَاعْدَانَا بِلَجْمِيعِ لَنَا مُحْتَالِينَ<sup>٥</sup>  
اللَّهُ اِيْجُودُ بِالنَّصْرِ لَعْلَامُ الدِّينِ  
حَارَتْ لَنَا لَفْكَارُ

مَنْ هَذَا الْأَمْرَ عَقُولُنَا احْيَارَا  
وَحْنَا غَافِلِينَ أَوْلَعَدُو . مَشْغُولٌ كِيَحْصَنُ فَجْدَارُو

١. ايفج : يفرج و دلكدار : هذا الكدر.

٢. اتيارا : النخوة.

٣. عاني : مفتخرة

٤. الغرب : المغرب، وضياق لجون : ضيق الموضع.

٥. الحتلان : الاستعداد ودهونا : شغلونا.

بلجهد مع لَكَدَارْ

وانُوا يَسْقِي لَقْلوبنا مرارا

والبَعْض غَابِطِينَ فالدُّنْيَا . وهل لِيَمَانُ بالغَصَا حَارُوا

والبَعْض نَسِي مَا صَارْ

ما يَعْرِف بَيْن الرُّومِ أَهْل لُكَارَا<sup>(2)</sup>

مَهْبُول كُلُّ مَنْ يَتَغَرَّ . أفهذا الزَّمان والكُفَّارُ جَارُوا

الرُّومي مثل النَّارْ

قَالُوا نَاس التَّشْبِيهِ وَالْعَبَارَا

إلى ا طُفَيْتِهَا فُسَاعَا . تَزِيدُ هَذَا تَحْكَارُوا<sup>(3)</sup>

ليس بِحَالُو غَدَّارْ

طَامَعٌ فَمَدُون الْغَرْبِ بِتَمَارَا<sup>(4)</sup>

لَهَذَا يَوْصَلُوا وَلَا يَوْفِي . لِيَهْ ظَنُّهُ وَانْظَارُوا<sup>(5)</sup>

يَا رَبِّ بِالْمُخْتَارْ

وَاصْحَابُوا أَهْل لُكَرَايِمَ لَبْرَارَا

1. غابطين : غارقين ، منشغلين.

2. بين الروم : بأن الروم، أهل لكارا : أصحاب حيلة وغش وخداع

3. الإشارة إلى مثل وهو قول الشاعر :  
أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون ضرام

4. بتمارا : بجد.

5. وانظارو : وأنظاره أي أمثاله.

وبحق من تزهد وأخلص . لعمال لك ليلو وأنهارو

شئت لعدو بدمار

واقطع دابرو يلتق مراراً

كيدو خرجو فنحرو . يارافع السما واضف نارو

يا عيني بدلي منامك بالسهران وابك عن غربت لسلام بدمع اهتين

ما يستهل غربنا هذا الختلان امع كثر لجنود والمال ولبنين

خلفنا قول به امرنا الديان واغبطنا فلهتوف عن امر المبين

الله يجود بالنصر لعلام الدين

فحديث بن عمار

ايلى التهاث الناس باتجاراً

والغو لجهاد اغشاهم ذلن . اكثير ويعم اديارو

هذا لقول افلسفار

مروى فلحلي حق بليماراً

نقل الشيخ ابو نعيم . موضح لحدايث فاسفارو

1. الختلان : الخذلان

2. واغبطنا فلهتوف : أى واشتغلنا بالاشياء التافهة

3. يشير إلى حديث رواد أبو نعيم فى كتابه حلية الاولياء،

أَيَا أُولِي لُبُّصَارٍ

اعْتَبَرُوا أَوْ نَظُرُوا فِذِي الْعِبَارِ  
وَاتَّامَلُوا فَهَادَ الْقَوْلُ . اللَّيَّ بَانَ يَا سَيَادِي عَتَبَارُ

الْتَهِنَا بِالْدِّينَارِ

وَاعْبَطْنَا فَالِدُنْيَا بِخُودٍ وَارَا  
وَقَوَى الْحَسَدَ وَالْبُغْضَ . فَهَذَا لُجَيْلٌ فَكُبَارُ وَاصْفَارُ  
لَا نَاهِي عَلَى الْمُنْكَارِ

لَا تَوْقِيرَ الشَّيَابِ وَلَا ائْتِمَارًا<sup>(2)</sup>  
وَقَلِيلٌ مَنَ تَصِيبُ . فَهَذَا الْجَيْلُ لَيْسَ كَيَاذِي جَارُ  
رَبِّ يَشْفِي لَضَرَارُ

وَيَفْرَجُ هَمَ لَعَرَبٍ بَلْبِشَارَا  
سُلْطَانَا يَشْعَشَعُ نَوْرُ . فِي مَنَ أَعْصَاهُ يَظْهَرُ عَتَبَارُ  
مِيزَتْ يَا مَنَ تَسْأَلُ بَلْعَقْلَ أَوْ لَذْهَانَ      فَأَلْأَمَرَ اللَّيَّ عَمَ فَالْغَرْبِ بَتَبْيِينَ  
وَانْصَبَ الْغَرْبُ فِيهِ مَا صَاحَ قَوْمَانُ      وَاقْبَابِيلُ قَهْرِينَ شَتَى مَعْلُومِينَ  
بِالْمَالِ وَالْخَيْلِ وَالسِّنَاحِ اللَّيِّ مَرْبَانَ      اخْطَانَا غَيْرَ صَبْرٍ حَقٍّ أَوْ لَيْتَمِينَ  
اللَّهُ يَجُودُ بِالنَّصْرِ لَعَلَامَ الدِّينِ

1. اعتبار عقوبة.

2. ائتمارا : المعقول والجد.

3. والسناح : والسلاح.

فلغرب جنود اكثار

ما يرضواو التَّدَمَامِ أَوْ لِحْزَارَا

فِيهِمْ أَبْطَالٌ . أَلَيْ لَوْ صَابَ الْجِهَادُ يَوْقَعُ لُوسَارُو

فُرْسَانُ لِيُوثُ أَحْرَارُ

وَالرَّمَاتُ هَلِ الصَّيْدُ أَوْ لَشَارَا

دَابَّ غَرْبُنَا يَتَعَاَفَا . وَيَفْرَجُ الْمُهِمِّنُ تَكْضَارُو

لَا يَجْعَلْنَا فُرَارُ

بَلْ يَجْعَلْنَا كُرَارَ لِلْغَزَارَا

نَمْشُو كَيْفَ كَانَ يَمْشُو . الْفَائِزِينَ مَنْ كَايْذَكَارُو

وَنُصِيرُو بِالَادْكَارُ

وَكَلَامُ الْخَيْرِ أَلَّى بَلَا قَجَارَا<sup>4</sup>

وَالدِّينُ وَالصَّلَاةُ وَالْمَحْنَا . تَكُنْ بِهَا نُشْكَارُو

وَنُكُونُوا فَالْمَقْدَارُ

قَدْ وَاحِدًا<sup>5</sup> أَلَا مَنْ اتَّوَارَا

فَالْحَرْبُ بَاذِعِمْ هَذَا . أَشْرَفْنَا أَيْعَلْ مَقْدَارُو

وَالْمُونَا كُلُّ نَهَارُ

مَا يَقْهَرُ جُوعُ أَنْفُسٍ بِخُتْصَارَا

1. لحزارا : التملق.

2. تكضارو : تكدارو أي كدره.

3. للغزارا : للقتال.

4. بلا قجارا : بلا مبالغة ولا تكليف

5. قد واحد : أي متساوين أو كرجل واحد

لجَهَادٍ مَا يَكُونُ بِغَيْرِ التَّقْوِيمِ . كَيْفَ جَانَا بَشَارُو  
أَحَدِيثُ فَشَرَحَ النَّوَاوِي بِتَضْمَانٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ طَهَ زَيْنُ الزَّيْنِ  
لَيْسَ يَقُومُ لَجَهَادٍ يَلْمَتُ لَخْوَانَ دُونَ تَقْوِيمٍ مَعَ الصَّبْرِ هَذَا بِأَثْنَيْنِ  
أَمْثِلْ لِسَاسٍ لِلَّذِي رَايَدَ بُنْيَانَ أَشْرَ مَنْ بُنْيَانٍ دُونَ يَسَاسٍ يَكُنْ أَحْصِينَ  
اللَّهُ يَجُودُ بِالنَّصْرِ لَعَلَّامُ الدِّينِ

يَا مَنْ رَايَدَ يُحْشَارُ

فِي زُمْرَةِ طَهَ طَيْبٍ لَمْزَارُ  
أَحْضِ إِيْمَانَكَ أَوْ دِينَكَ . وَاصْبِرْ فَارْزَمَانُ لِمَذَاقٍ مَرَارُ  
الْوَقْتُ قَرَبَ بِأَجْهَارُ

وَالنَّجْمُ اللَّيْ بَدِيلُ بَانَ مَآرَا  
هَذَا عَلَايِمُ الْفَرَجِ . كَيْفَ انْضَرَّتْ صَحَّ لَخْبَارٍ فَاجْفَارُوا<sup>1</sup>  
مَا بَقِيَ لَكَ تَوْخَارُ

عَنْ تَعْلِيمِ التَّلْحِيقِ وَالْعَمَارَا<sup>2</sup>  
وَالرَّمِي مَا خَفَا . وَاحْسَابُ الْبَارُودِ كَيْفَ وَجَبَ عِبَارُ  
وَاجْمِيعُ مَا يُذْكَارُ

وَنَحْتَالُو لِحُرُوبِ انْصَارَا  
وَيَدِيرُ كُلُّ مُسْلِمٍ سَكِينُ . أَوْجُجٌ دَلَمَكْحَلُ فِدَارُوا<sup>3</sup>

1. فاجفاروا اي في أجفاره، والأجفار عبارة عن مقيدات تشتمل على تنبؤات بما يقع

2. التلحيق : تلقيم المكحلة (البندقية) بالبارود، والعمارا : مثل التلحيق.

3. جج ذالمكل : بندقيتان



اعْتَبِرُوا يَا لَأَبْرَارَ

مَنْ غَرَّنَا طُ وَا مَدُنْ فَلَقُطَاراً

باتو سلام صبحو کفار . جميع او ندمو عن ما دارو

كيف مديننت لجدار

مَنْ قَصَّتْهَا نَجَلَاتِي اسْهَاراً

بقعا ونعم بقعا . شيد فيها الشرك بنيان اسوارو

ايا حمات ديننا لعنو الشيطان هذ الغفلا على عداكم حتى لين  
ما تتفكرو نهار دخل لتطوان وخرج منها الكافر لمسلمين  
وابقت الناس حيرا بين الضرقان وهل ليما نكتقول بصوت حنين  
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

خَرَجُ فَالْلِيلِ ابْكَارُ

وَالصَّبَّانِ وَنَسْوَانِ بَلْجَهَاراً

فالباب كينوحو على المدينا . او كل جار افرق جارو

كَمْ مِنْ شِيَابٍ اكْبَارُ

وَاعْكَائِزُ صَارُوا فَلَخْلَا حَيَارَى

واشغال من المرضي يبت . عنها شفيق بدموع ابصارو

1- يشير إلى ما وقع لمسلمي غرناطة بعد استسلامهم وانخداهم بوعود النصارى وعهودهم.

2- مدينة الجدار هي سبتة في بعض الأقوال وقد أخذت على غرة.

حتى لين = إلى متى

يا حَسْرًا عن اَدْيَارٍ  
 واجْوَامَعٍ بادُوا بَعْدَ العِمَارِ  
 وامسايِدٍ للقرَآيِ بالوَاحِ . مسطرين جاحوا وامجارو  
 هَذَا حُكْمُ القَهَارِ  
 مَنْ نَسَعُوهُ العَفْوُ مَعَ الطَّهَارِ  
 ينصُرُ دينَنَا على مَلَّةِ العَدَا . بجَاهِ طِهٍ مُخْتَارِ  
 بِيَا بَكْرَ وَعِمَارُ  
 وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ أَوْ بَلْبَكَارُ<sup>1</sup>  
 وَبِحَقِّ أَمِهِمُ الزَّهْرُ . وَزَوَاجُ لَمْفَضَلٍ<sup>2</sup> وَاصْهَارِ  
 قَالَ النَّاضِمُ لَشَعَارِ  
 عَرَبِيٍّ مِنْ هَلْ لَجَحَافٍ لَخِيَارِ  
 ادْرِيسُ بْنُ عَلِيٍّ حَجَّ لَيْتَ . أَوَاشَفَ قَبْرَ لُحَيْبٍ وَزَارِ  
 اَنْمَجَدُ خَاتَمُ لَبْرَارِ  
 مَنْ جَالِنَا مَبْعُوثٌ بَلْبِشَارِ  
 اَعْلِيهِ اَصْلِي مَا لَمَعَتْ لِرَمَاحِ . أَوْ لَخِيُولُ أَوْ مَا غَارِ  
 وَمَا جَاهِدَ غَزَارِ  
 أَوْ قَتَلَ لَكِشَطُ اخْتَارُوا نَصَارَا  
 أَوْ مَا دَعَا أَدِيبٌ لِلْجِهَادِ . أَوْ قَالَ بَلْفَصَاحٍ فَاشْعَارِ  
 مَدَرَ نَقْدِيوُ الثَّارِ  
 وَنَادَا<sup>3</sup> رَجِيٍّ مَعَ نَصَارَا  
 أَوْ نَزَرَ وَالْفَتْحِ . مِنْ اللَّهِ بَلْمَفَضَّلٍ وَانصَارِ

1- وامسايد : كتابيبي قرآنية، وأصلها مساجد  
 2- يقصد السبطين سيدنا الحسن وسيدنا الحسين  
 3- من أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام

لا إله إلا الله



قصيدة دخول وحدة  
للسعداني

طوفان  
الأمم

- لما وقع احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 ارتفعت في المغرب أصوات تطالب بتجديد الجيش المغربي وتنادي بالجهاد لتحرير الجزائر.

وقد تجلى هذا فيما كتبه التسولي المتوفي عام 1258هـ (1842م) والكردودي المتوفي عام 1268هـ (1851م) وابن عزوز الذي توفي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وظهر كذلك فيما قيل من شعر وملحون فأما الشعر فنجد في قصائد الشاعر الوزير ابن إدريس العمروي المتوفي عام 1264هـ (1847م) كقصيدته التي ذكرها صاحب الاستقصا وفيها يقول :

يا أهل مغربنا حق النفير لكم إلى الجهاد فما في الحق من غلط  
فالشرك من جنبات الشرق جاوركم من بعد ما سام أهل الدين بالشطط  
ومطولته التي تشتمل على مائتين وعشرين بيتا ومطلعها :  
فرض على كل مسكين وسلطان حمل السلاح على عبّاد أوّثان  
وقصيدته التي قالها عند استيلاء الفرنسيين على تلمسان ومطلعها  
يا ساكني الغرب الجهاد الجهاد فالكفر قد شارككم في لبلاد  
ومنها :

واسطة المغرب قد حازها وراع حاضرا بذاك وباد  
حوى الجزائر ووهرائها بكى من الاشفاق منها الجماد  
مصنوب صبت على معشر على حشاه وتذوب الصلاد  
يكاد يتضي المرء من حرّها

إخوانكم دينا وجيرانكم أضحوا رعايا الشرك بين أعاد

ثم يدعو أهل المغرب إلى أن يكونوا يدا واحدة ويأخذوا حذرهم لأن  
الفرنسيين لن يقفوا عند الجزائر ويستعمل المثل العامي فيقول :

من حُلقت لحية جار له فلتكن لحيته في اعتداد

ومع مرور قرون على ضياع الأندلس فإن الشاعر يستحضرها إذ الشجى  
يبعث الشجى :

تذكروا وقعة أندلس وأبصروا منها سبيل الرشاد

ونجد مثل هذا أيضا عند الشاعر الوزير كذلك محمد غريط المتوفي عام  
1280هـ (1863م) فقد قال قصيدة في الموضوع نفسه مطلعها :

مالي أرى جفن أهل الغرب وسنانا من بعد ما أخذ الرومي تلمسانا  
كأنهم ما دروا ماذا يريد بهم عدو دينهم لا نال إمكانا  
ولا على فعله في دفتر وقفوا بأهل أندلس يا بيس ما كانا

ونجده كذلك في الأرجوزة التي نظمها محمد المشرفي إثر دخول  
الفرنسيين إلى توات التي كانت تابعة للمغرب وأولها :

دعْ عنك داعي السرور والمزاح واسلك سبيل من بكى الدين وناح

ونجد مثل ذلك أخيرا في قصيدة للشاعر السوسي الطاهر الايفراني  
يخاطب شيخه الجشتيمي قائلا :

وقد بلغ السيل الزبى بظهوره

وإن لم يدا والعُرُّ بالكي يزدد

فقد طَبَّقَ الصحراء بالنحس شومه

وأعدى نواحي التلّ بالخَبْث الردي

وجاش على هذي السواحل كلّها

ببحر سفين بالقوارب مزبد

وغضّ به الدين الحنيفي فاكتسى

لما يشتكي من بثه ثوب مُكَمَّد

وهي طويلة وكلها في الحض على الجهاد ومقاومة المعتدين الذين ظهروا في الصحراء والسواحل ولم يكن شعراء الملحون أقل وعيا أو أضعف يقظة من شعراء الفصيح بل إن قصائدهم التي تنظم باللغة التي يتكلم بها الناس كانت أقوى تأثيرا وأسرع انتشارا وقد ظهرت في الجزائر أشعار عديدة من الملحون وغيره تتحدث عن الغزو الفرنسي وجهاد الأمير عبد القادر، ومنها على سبيل المثال ما قاله قدور ولد محمد البرجي المتوفى سنة 1850م. وليس بين يدي الآن شيء مما قيل من الشعر الفصيح أو العامي في الجزائر غداة احتلالها إلا ما ذكره الدكتور عباس الجراري في كتابه القصيدة من أن الشيخ الأكل له قصيدة تنبأ فيها بما سيقع في القرن الثالث عشر ومنه احتلال الجزائر وهو يرد الأمر إلى قدر الله ومشيئته وإذنه. فقد قضى أن يرتد العرب ويفشل المسلمون وأن يحتل الكفار هذا الجزء من بلاد العروبة والإسلام :

العرب بقدرت الله تعود مرتدي وتعود بإذن الله مكان للكفرا

وقد استشهد الدكتور عباس بابيات من هذه القصيدة تتحدث بأسلوب يتراوح بين التلويح والتصريح عن بعض ما يقع للمسلمين في القرن

الثالث عشر كاحتلال الكفرة بلد الجزائر التي لم يسمها وإنما لمح إليها بوالها وحارسها الذي لم يسمه كذلك وهو سيدي عبد الرحمن الثعالبي وتذكر القصيدة بعد هذا بعض العلامات التي تظهر في هذا القرن كترك صوم رمضان وشيوع المنكر وأكل الحرام وخضوع المومنين للكفار، وقد ورد في القصيدة ذكر ابن خلوف وعلق عليه الأستاذ عباس بقوله : «ونخشى أن تكون القصيدة ليست للأكل كما يرويها الحفاظ وإنما لابن خلوف» ويبدو أنه حصل للزميل هنا سبق قلم فالأكل هو ابن خلوف نفسه، وهذه القصيدة التي يرويها الحفاظ وينسبونها إليه لا توجد في ديوانه المطبوع في مدينة الرباط، وقد تفضل الأخ الدكتور عباس فأمدني مشكوراً بنسخة منها وهي تشتمل على أزيد من ثمانين بيتاً وأخر أعجازها على حرف الراء وأما أواخر صدرها فليس فيها نظام واضح، ويبدو أن بعض الأبيات موضوعة في غير موضعها، وفي القصيدة أبيات عديدة مهلهلة النسيج وهي مبتورة الأخير، ويبدو أنها منحولة فهي تتحدث عما يقع في القرن الثالث عشر، والشيخ الأكل عاش في القرن العاشر كما أنها تسمى حسين داي الجزائر وقت الغزو الفرنسي :

وَيَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ أَمِيرٌ بِاسْمِ حُسَيْنٍ      تَتَبَغَّضُ الْخَوَاطِرُ وَتَسْبِغُ الْحَبْرُ  
هَذَا الْقَصَصُ مَذْكُورٌ عَامٌ مِنْ سَنِينَ      فِي قَرْنِ ثَالِثِ عَشَرَ بِلاَ عِبْرًا  
ولعل الإشارة هنا إلى تاريخ احتلال الجزائر وهو سنة 1246هـ وتصريح الجفرية بهذه السنة :

عَامَ السَّتِّ يُخْشَى فِيهِ وَتَفْشَلُ الرِّكْبِينَ      يَخْرُجُ عَلَى وَطَنٍ مُتِيجَةٍ وَشُوفُ مَا يَطْرَأُ  
كما تصرح بظهور محيي الدين :

عَامَ السَّبْعَةِ يُجِيهِ مُحْيِي الدِّينِ      يَهْزِمُ عَسَاكِرُ فَتْرُوحٍ مَدْمَرَا

والذي يظهر لي أن هذه القصيدة الجفرية منحولة وأنها قيلت بعد احتلال الجزائر وربما نسبها الرواة إلى الشيخ الأكل لشهرته.

إن احتلال فرنسا للجزائر وتضامن المغاربة مع إخوانهم الجزائريين وإنجادهم لهم كان من أسباب اعتداء الفرنسيين على التخوم المغربية وشنهم الغارة على قبيلة بني يزناسن ومدينة وجدة المرة بعد المرة، وقد أدى ذلك إلى مواجهة بين الجيش المغربي والجيش الفرنسي بوادي إيسلي قرب مدينة وجدة وهي المواجهة التي هزم فيها الجيش المغربي بسبب عدم استعداده الكافي واعتماده على الأسلوب العتيق في القتال، وكانت هذه المواجهة في سنة 1844م، وتكرر بعدها هجوم الفرنسيين على الحدود المغربية برغم تعدد الاجتماعات والاتفاقات حولها وظل الفرنسيون يثيرون الفتن ويختلقون المبررات إلى أن أقدموا في سنة 1907 على احتلال مدينة وجدة بدون مقاومة، وفي هذا التاريخ أيضاً كان هجومهم على الدار البيضاء والشاوية، وقد حزن المغاربة لما حدث وعبر عن ذلك بعض الشعراء والزجالين في قصائد تنذب وجدة وتنتقد التفريط في الدفاع عنها وتدعو إلى الجهاد، ومنها قصيدة لمجهول يقول فيها :

وجدتُ سَعْرَ في الأحشاء والتهبا

مذ قيل ركن من الإسلام قد ذهب

أم على وجدق قد أسلمت جزعا

من غير سيف ولا قتل ووأ حربا

أم على أسد الإسلام قد فشلت

واستنسرت من بغاة الروم واعجبا

قد أصبح الدين ينعى كل ناحية

وآخذ الشار في لهو وقد لعبا



تنافس الناس في علُو البناء وفي  
مآكل وبنا الإسلام قد خربا  
ما عيشكم وظلام الكفر عمكم  
النوم غشاكم أم جبنكم غلبا  
إن لم تخوضوا غمار الموت دونكم  
لباس زوجاتكم أو الزموا الحجا  
عهدي بأسد الشرى في الغرب ساعة  
لم يلقها بطل إلا عدا هربا  
شم الأنوف ديهاب الليث صولتهم  
أبت نفوسهم أن تشتكي اللّغبا  
ما إن لهم راحة إلا بقرع عدا  
وهين عندهم أن يضربوا الرّقبا

وقد ظهرت هذه الدعوة إلى الجهاد بعد احتلال فرنسا للجزائر وتشوفها  
إلى الاستيلاء على المغرب، ومن الأصوات الأولى التي نادى بالجهاد  
صوت الوزير ابن إدريس وزير السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام  
الذي استنفر الناس قبل واقعة إيسلي بشعر أوله :

يا أهل مغربنا حق النفير لكم

إلى الجهاد فما الحق من غلط

وتعددت بعد ذلك الرسائل التي ألفت في موضوع الجهاد، وكما رأينا في  
القصيدة التطوانية فقد كان شعراء الملحون يشاركون في هذا الموضوع  
وكان لكلامهم الأثر البالغ في نفوس العامة، فمن ذلك قصيدة دخول وجدة

لسيدي هاشم السعداني شيخ أشياخ الملحون في وقته. وقد ترجم له الأستاذ الفاسي في المعلمة وذكر أنه كان له دكان بسوق السباط بفاس وأنه توفي عام 1352هـ، وقد نظم هذه القصيدة عام 1325هـ/ 1907م وهي سنة الهجوم على وجدة، ولإقبال الناس عليها طبعت بالمطبعة الحجرية بفاس ونشرها الأستاذ المنوني في كتابه مظاهر يقظة المغرب الحديث ثم نشر معظمها الأستاذ الفاسي في الجزء الثالث من معلمة الملحون وكان الأستاذ عباس الجراري قد استشهد بأبيات منها في كتابه القصيدة، ورأينا أن ضمها إلى مثيلاتها ضمن هذه المختارات يبرز الاستمرارية في هذا الموضوع وهي تتألف من 23 قصما يحتوي كل قسم منها على خمسة أبيات وفي أول كل قسم لازمة وعروبي، وبحرها المشرقي 15 من المبيت.

ولغة القصيدة واضحة في الجملة أما رسمها فهو حسب النطق العامي، ومن ذلك على سبيل المثال الكلمات التالية : فديق : في ضيق، لصوار : الأسوار، رصام : رسام أي رسوم، مگزرات : مجزرة، تسير : تصير، وجل معانيها في الدعاء على العدو ودعوة الناس إلى مقاومته وعدم الاستسلام له أو الانخداع بوعوده وهو يصف ما تكبده العدو من بعض المجاهدين وبنوه بشجاعتهم ونهجو بعض المتعاونين مع العدو فيقول فيهم :

غروه وطمعوه يرضع كل ضفاس<sup>١</sup> وجوه كبار برزين<sup>٢</sup> بعقل خسيس<sup>٣</sup>  
ايمان<sup>٤</sup> قلوبهم مارسخت<sup>٥</sup> بلساس<sup>٦</sup> يوم الحز<sup>٧</sup> كبيرهم تلقاه خنيس<sup>٨</sup>  
فات<sup>٩</sup> بفعلهم لمطرّد<sup>١٠</sup> ييليس<sup>١١</sup>

كَيْغَرُ بَعْمَايِمَ بَرَزِينَ فَالرَّاسُ      لَوْ رَقَاو الزَّنَارِ يَزُولُ كُلُّ تَلْبِيسِ  
مُعَانِدِينَ فَالْبُنَى وَنَوَاعُ كُلِّ تَلْبَاسٍ      رِيهِمْ عَلَيْهِمْ يَعُودُ نَكَادُ نَحِيسِ  
رُضَاوً بِالذَّلِّ لِمُبْخَسِينَ بَيْنَ لَجْنَسٍ      تَبْعِينَ الشُّهُوِ وَنَسَاوُ يَوْمِ لَعِيسِ  
عَلَى مَرَادِ النَّفْسِ يَأْدِيوُ كُلَّ وَعْدَا      بَايَعِينَ رِقَابَ لَيْسَلَامِ صِيلَ لَجْجَادِ  
أَفْعَالِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَزِيدُهُمْ بُعْدَا      سِرْهِمُ الْمَوْتِ فَجِيفٌ مَتِيلٌ شَدَادُ

وقد كرّر الشاعر أمله في هزيمة العدو وتوعده بما سيلقاه قال :

عَادَ مَزَالٌ يَشْفُ قِتَالِ مَانُوى بِيهِ      مِنْ بَطَالِ كَمِينِ فُوطَانِ مِنْ عَفَاها  
مِنْ شَرَابِ الْحَنْظَلِ طَرَفَ لَكَرَابِ تَسْقِيهِ      غَرَقُومَ لَعْدِيمِ وَدَوْلَتِ فَنَاها  
سَارِيَيْنِ الدَّوَالِ مِثَالِ تَنْضَرْبِ بِيهِ      لَا نَفْسَ فَجْمَارٍ مَا تَكْبُ لُظَاها  
عَلَيْهِ تَزْنِدُ نِيرَانِ الْحَرْبِ كُلِّ زَنْدَا      يَصِيرُ مِنْهَا جَنْدٌ مَسْحُوقٌ طَيْرُ رَمَادِ  
غَاصَ فَالْوَيْلُ وَلَا يَلْقَى لِكُلِّ نَقْدَا      وَصَارَ مَكْسُوبٌ خَدِيمٌ حَقِيرٌ عَلَى لُوغَادِ

ومن جملة ما كان يقوله الفرنسيون إنهم يريدون تمدين البلاد وإلى هذا يشير صاحب القصيدة :

قَالَ حَبِّ يَمْدَنَ لِقَطَارِ بَاشِ تَطْهَجُ      وَلَا تَنْبَهُ بِشَرِّ عَيْبِ دَلِيلِ لَهْمَاجِ

ولعل النتيجة التي نستخلصها من هذه القصيدة الزجلية أن صاحبها كان يحاول رفع الروح المعنوية لدى الناس بالتقليل من شأن العدو وتهوين أمره، ولا يفوتنا أن نقف عند القسم السادس عشر من القصيدة الذي يقول فيه مادحا سلطان البلد في وقته :

يا لمولى أيد هذا لسلام بهمام      همت مصرف فالعز مجد فخيم  
يرتقى به فعز كل تنظام      يندكر ما بين الدول راسخ عظيم  
به تفخر لسلام على كل ظلام      وكل كفر يبقى محقور نكد دميم  
به يخصب هذا الوقت فلهن ورغدا      وبه تركن للجود كشوط كل تراد  
صارم لحق يمهد كل حي مهذا      ولا يخفى خارج لحدود ساط فبلاد

وقد ختم السعداني زجله رامزا بالأرقام إلى اسمه وتاريخ نظمه على  
طريقة أصحاب الملحون فقال :

بعد تختام قلبي يا حفظ يتنغام      كان سالك الودب عن حروف لسم  
قل ربع الكاف وضرب ياق تفهام      وزد خمس الرينب لكل عالم  
انتهت الكل شهر فرد لصيام      عام شرق هك لترخها موالم

ونورد بعد هذا النص الكامل لهذه القصيدة مع شرحنا لبعض ألفاظها  
المثبت في آخرها :

يا لموجود فديق محان كل شدا  
يا لباقي فضلك طول الدوام لبدا  
يا سنيدي الا لو بين العباد سندا  
فرج علينا من غلب الام لعدا  
القلوب ضعاف واكساتهم بردا  
يا لمغيت الي ندا فديق لنكاد  
يا مفرج لكروب القطع للكباد  
يا مدبر حال الا لو خير لسداد  
وايد اليسلام ولهم العز بجهاد  
ولا نظرنا مهوم بغز دين لجداد

يا ليسلام بكيو على دخول وجدأ  
دون حرب غنمها لعدو نال لمراد  
رابو لصوار<sup>1</sup> وادخل رصام العز<sup>2</sup>  
وارض بالذل كل من ضاري يبهز  
وكسى ثوب الهوان فيها كل عزيز  
وكسر نفس وعاد مثل الضان فزير<sup>3</sup>  
وقفات الذل سرها غير التحزير<sup>4</sup>

كيف يرضى بالذل الي الله عز  
موت لعنيا فنهار القى وبرز  
التنا لهل لفضل خير ما يكنز  
ما بقات فعيش الدنيا ليوم لدا  
مصرفين الوقت فعسى ليوم غدا  
بغز دين الاسلام على الديان معروز  
خير من عيش الذل فكل خير مبروز  
كل من مات على عز تناء مبروز  
عند من دين ويمان فقلب لقناد  
يغيب نجم النحس وينب هلال لسعاد<sup>5</sup>

يا ليسلام بكيو على دخول وجدأ  
يمتى وحننا قفتنا تصير للذل  
على حب لبقا فالقنا بعد يطول  
ما هي دار لمقام من جا كيرحل  
شف لقومان سيرين كفول كفول<sup>6</sup>  
وحننا فتبعهم  
فالقطر الموصول

ما يموت فالورى مخلوقٌ دون لجالٍ      ليكون فوسط الغصاب ما يوصلُ  
ومن مكمل محسبٌ لو كان كسب موالٍ      ما ينفعُ إلا دغى<sup>(7)</sup> يمدُ رجلُ<sup>(8)</sup>  
كيف يمنع من مكتوب وكيف ينضالُ<sup>(9)</sup>      من حكام الرب عليه القلام سجلُ  
كل ما راد الله على الورى توداً<sup>(10)</sup>      ولزم اللطف يفاج<sup>(11)</sup> هم ديق<sup>(12)</sup> النكادُ  
كيف معلوم الرخف بعد كل شداً      باش يذكر الله فكل ديق ورغادُ

طغى لعدو وقال فضل كبيرُ      هادي بقع سجات<sup>(13)</sup> من غير مكرزاً  
كم من ارضين حزتها من غير هدير      دخلت تحت الحكام بخلق كثرأ  
قوى عزم يجز لقطار فمرُ

جار وتجير وبلغ منتهى فجرُ      ولا بقلو إلا كسرى فخلف كسرى<sup>(14)</sup>  
عليه لسلام إلى فحكمت يدور      ايشئت شمل فمدن وكل سحراً  
تسير منزل لليوم البهي قصرُ      عليه الغراب يصيح بالخلا والعرا  
جا لأرض الدار البيضا بكل وكدا      وقال جيت نادب برهف الفساد<sup>(15)</sup>  
ولا نو يصدق من حرب ليوت فسادُ      بيدد شمل ويحقره بين العباد  
يالسلام بكيو على دخول وجدأ      دون حرب غنمها لعدو نال لمرادُ

غر جهل وراد يطمع فالمرغبُ      ولا شاف لجهت الطلع كيفربُ  
عول ونوا وقال ظن لس يخيبُ      ولعب بعقول غفل من حكم الرب  
رمى يد فساط ونثن وعقرب<sup>(16)</sup>

كيف ينج من جابين السموم يلعب      بالزفير إذ بان يبيد شباب  
 باد وتبدد شمل فالورى ونسلب      كل طاع منهم تيمم حباب  
 بعد شلا نقهر سهم الدنى وانغلب      وقت عز نتهى ومضى وف حساب

اطلع فرعون غرق رب فاليهم      ما فك من عدا زرد<sup>18</sup> وحسام  
 لفلاك الدور كتعل وتيمم      اطلع كيحف من بعد تمام<sup>19</sup>  
 والهابط لغناه يعلى فمقام

ما بقي إلا العزايا جميع الاسلام      شمر للجهاد تعمكم حرم  
 كل من مات على عز لسلام يرحم      تبعاه الحور تخطف فكل صدم  
 من كمل محسب وألقى كيوس لحمام      عاش عيش الأبد فطيب كل نعم  
 ومن بقي يتبختر فالعز بين لعدا      واسم مكتوب فوق الدور لسعاد  
 ما بحال كميده العديان ود شهدا      ولا بحال مرام العدو ديق وانكاد  
 ياليسلام بكيو على دخول وجدا      دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

لله الحمد بعد ظلمت غسق الليل      بان شريق الضيا طلع على لطلال  
 وبشر بالعز كل من كان فتدليل      وطلع فالجو صلت بعد التفوال<sup>20</sup>  
 وكسار الي طغ من سيتل<sup>21</sup> ولشبال

ويح لعدا اما يلقي فحرب لبطل      يشوف بعيان شلا كان ليه فالبال<sup>21</sup>  
 يطيع للجزى ويسلم كان ينقال      او يدخل فحديث الي مضى فلحال

شَتَّتْ رَبُّ وَتَبَهَّدَلْ بَيْنَ لَقِيَالٍ<sup>(22)</sup>      مِنْ قَبِيلٍ قَطَعَتْ سَهْرُ بِحَرْبٍ لَقْتَالٍ  
 بَعْدَ نَحْمَى بِالْغَيْرِ وَجَبَ كُلُّ عَدَا      بَقَى طَعَامُ لِلْوَحُوشِ عَلَى قَطَارِ لَوْهَادٍ  
 شَحَالُ مِنْ أَلْفِ جَابُ حُسْبِهِمْ عَدَا      وَلَا ظَفَرُ بِمَزِي قَلُ الْجَنَاسِ فَعْنَادُ  
 يَالَيْسَ لَمْ بِكِيُو عَلَى دُخُولُ وَجَدَا      دُونَ حَرْبِ غَنَمَهَا لَعْدُو نَالُ لَمَرَادُ  
 مِنْ بَعْدِ طُغْ وَجَارُ لَعْدُو تَقْوَا      نَشُو فَمَغْزَلُ لَيُوتُ الشُّوِيَا<sup>(22)</sup>  
 نَكْسَرُ بِنْدُ وَطَاحُ وَتَمَزَّقُ وَطَوَا      وَلَقَتْ مُحَالُ صُلْتُ كُلُّ بَلِيَا<sup>(23)</sup>  
 نَسَقُو كِيُوسُ مَلِيَا مِنْ لَمْنِيَا

عَلَيْهِ سَطَّتِ الْعَرَبُ مِنْ بَعْدِ هَاجِ وَاقُو      كَبَّرَنَ<sup>(24)</sup> كَانَتْ عَنْ جُعْهَا طُويَا  
 كُلُّ مِنْ عَرَشٍ<sup>(25)</sup> مِنْهُمْ فَلَقَطَرُ وَعَوَا      عَلَيْهِ تَنْزَلُ بِضَفَارُ لُصْلَتْ بَرِيَا  
 لَيَتُوبُ وَيَحْسِبُ هَذَا الْبُرُوزُ هَفُوَا      مَا بَقَتْ لِلْعَدِيمِ لُدَّتْ مُزِيَا  
 جَارُ وَظَلَمُ وَكَثُرُ مِنْ مَنْزِلُ تَعْدَا      رَحِبُ بِحَكْمُ فَسَيْدُ قَلُ كُلُّ فَسَادُ  
 رَاحُ مَكْسُورُ وَصَادَفُ فَلَوْجُودُ خَمْدَا      وَعَادُ فَخَبَرُ كَانَ يَنْذَكِرُ فَاتُ بَعْدَادُ  
 يَالَيْسَ لَمْ بِكِيُو عَلَى دُخُولُ وَجَدَا      دُونَ حَرْبِ غَنَمَهَا لَعْدُو نَالُ لَمَرَادُ

حَرْبُ<sup>(26)</sup> جَنْدُ وَقَالَ هَذَا جَيْشُ كَبِيرِ      تَمَلَّكَ بِهِ الرِّقَابُ وَنَحْوَرُ لَقَطَارُ  
 زُوكَ وَرَغَ وَدَعُ تَمَشِيلُ الْخَنْزِيرِ      صَادَهُ انْمُرُ كَسْمُ ذَاتُ بَاطِفَارُ  
 نَعَى عَلَى عِضَاهُ تَحُومُ طَيَارُ



ما سَغَ<sup>27</sup> لَتَوَارَخَ وَلَا قَرَىٰ فَلَجَفَارُ  
جَا لِلْمَصِيدِ وَالْقَىٰ كَيْفَ سَارَ لِلْفَارِ  
ضُرَعَمَ الْغَرْبِ شَرِيفَ مَا تَرِيدَ كِفَارُ  
شَحَالَ مِنْ قَصُورٍ<sup>28</sup> فَمَ غَارُ مَعَاهُ فَهَدُ  
مِنْ دَخَلَ لَعْرِينَ نَمَحَ وَصَادَ فَقَدَا

كُلْ مِنْ جَا لِلْغَرْبِ تُغْرِبُ صَفَارُ  
عَلَىٰ تَبِيعَ اللَّحْسِ يَتَمَزَقُ سِيَارُ  
مِنْ طَمَعٍ فَوْطَنَهُمْ يَجِيحُ قَرَارُ  
كَيْصِيدُ مِنْ جَا مَغْرُورُ بِهِ صِيَادُ  
وَلَا خَبَرَ عَنْ حَالٍ وَمَا لِقَاهُ يُوْجَادُ

يَا لَيْسَ لَمْ بَكِيوْ عَلَى دُخُولٍ وَجَدَا  
غُرُوهُ وَطَمَعُوهُ يَرْضَعُ كُلُّ ضَغَاسٍ<sup>29</sup>  
إِيْمَا قُلُوبِهِمْ مَارَسَخَتْ بِلَسَاسُ

دُونَ حَرْبٍ غَنَمَهَا لَعْدُو نَالَ لَمَرَادُ  
وَجَوْهُ كِبَارُ بَرْزِينَ بَعْقَلُ خَسِيرُ  
يَوْمَ الْحَزْ كَبِيرُهُمْ تَلْقَاهُ خَنِيرُ<sup>30</sup>  
فَاتُ بِفَعْلُهُمْ لَمَطَرْدُ يَبِيلِيسُ

كَيْفَرُ بَعْمَايِمُ بَرْزِينَ فَالِرَاسُ  
مَعَانِدِينَ فَالْبَنَىٰ وَنَوَاعُ كُلِّ تَلْبَاسُ  
رَضَاوُ بِالذَّلِ لَمَبْخَسِينَ بَيْنَ لَجَنَاسُ  
عَلَىٰ مَرَادِ النَّفْسِ يَادُّ يُوْكُلُ وَعَدَا  
أَفْعَالَهُمْ مِنْ اللَّهِ اتَزِيدُهُمْ بَعْدَا

لَوْ رَقَاوُ<sup>31</sup> الزَّنَارِ يَزُولُ كُلُّ تَلْبِيسُ  
رِيَهُمْ عَلَيْهِمْ أَيْعُودُ نَكْدُ نَجِيرُ  
تَبْعِينَ رَقَابِ لِسْلَامُ صَيْلُ لَجْحَادُ  
تَبْعِينَ الشَّهْوِ وَنَسَا وَيَوْمَ لَعْبِيسُ  
سَرَهُمُ الْمَوْتُ<sup>32</sup> فَجَيْفُ مَتِيلُ شَدَادُ

يَا لَيْسَ لَمْ بَكِيوْ عَلَى دُخُولٍ وَجَدَا  
أَذْمَرَهُمُ الْكَرِيمُ خَدَعِينَ الدِّينُ  
حَكَمُ بَعْقُلُهُمْ وَنَسَاوُ الْمُبِينُ<sup>33</sup>  
وَكْدَاوُ<sup>34</sup> لَهَيْبُ طَالَعِينَ فِدُخَانُ

دُونَ حَرْبٍ غَنَمَهَا لَعْدُو نَالَ لَمَرَادُ  
لَا خَيْرَ فَمَرَوْ لَيْسَ يَغِبُ بَيْمَانُ  
دَارُ لَعْدُ صَدِيقُ وَالْمُومِنُ خَانُ  
لَهَيْبُ طَالَعِينَ فِدُخَانُ

كل من برز صيل الذل بين لعيان  
 ما يبرز للحرب يلا فيوم همان  
 ما يحب بلاد صيل العراب ينهان  
 سرهم<sup>(35)</sup> بسيف لسلام غير غردا<sup>(36)</sup>  
 هبيل من يعمل جل خيارهم عمدا  
 قوم مضوب سال الحق وقت لطراد<sup>(37)</sup>  
 كيف من شيد برج على فضاء مبني  
 يشبهوه فخشب من عرفهم لدني  
 قوم باء بالذل من القديم لغني  
 جنس لخديع قصد يمانهم لنقاد

يا لسلام بكيو على دخول وجدا  
 دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

لعجول اذا رعو جبل العلفات  
 توثيق رباطهم امن للافات  
 فجزام الرباط فيه ينسجر<sup>(38)</sup>  
 والطاق منهم ناد كزار  
 يقطع له لحيال يمنح اثر

يا لجليل اهلك وادمركل طغات  
 راضين الحكر صيل الردال لمقات  
 من ترقا وصيل سلفهم محقور  
 لا سراخ الحز ولا يسكد شور<sup>(39)</sup>  
 عيشهم خسر وبرزهم افات  
 جاههم يوغل قلب لحرار وصدور  
 ما سعدت بهم اهل الشنى قبلدا  
 ولا جتمع فنصح للقراب وبعاد<sup>(40)</sup>

يا لسلام بكيو على دخول وجدا  
 دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

كان لعراب كيغص فالتدبير  
 ترفع قدر الشراف وتزدر لحقير  
 على عز لسلام والفعل المشكور  
 من لا يلقي نطال لو يعلى محقور  
 والغفل فالزمان على العدا مغرور

وَشَمَنْ عَقْلًا<sup>41</sup> يَا مَنْ فَالْعَدَّ الْفَجَارُ      بعدما هلكهم المجددين فشُرُورُ  
جَادَيْنِ الْكَفَرِ طَالِبِينَ لِلْشَارِ      ما يعملُ فترَ طولَ لعوامٍ وشُهُورُ  
كُلْ عَرَبٍ غَنَمُوهُ يَجْرَعُوهُ لَمَرَارِ      عندهم الوقعُ بسلفهم مسطورُ  
لُكُلْ وَقَعَ سَرَتْ<sup>42</sup> فِقْلُوِيَهُمْ نَكْدَا      منبُطَالِ<sup>43</sup> الصَّحْبِ جِيْدِي وَمَقْدَادُ<sup>44</sup>  
طَالِبِينَ اتَشْتَيْتُ جَمْعَهُمْ لَفْدَا      شحالُ قَطَعَتْ فِرْقَابُ سَلْفِهِمْ لَسِيَادُ  
يَالَيْسَ لَامُ بَكِيُوْ عَلَى دُخُولِ وَجَدَا      دونَ حَرْبٍ غَنَمَهَا لَعْدُوْ نَالُ لَمَرَادُ

أَغْفَلْنَا عَنْهُمْ وَنُجِبَرُ لِكَلَابِ      وَاَبْدُوا بِكَدِّهِمْ يِرْعَوُ الْوَجَبِ  
فَتَحُ لِمَسْرَبٍ لَخْدَعُ كَمْ مِنْ بَابِ      وَعَمَاهُمْ رَبَّنَا وَطَاحُ فَالْخَشَبِ<sup>45</sup>  
وَنَقْهَرُ فَالْقِتَالِ وَارْضُو الْغَلَبِ

غَرَّهُمُ الْحَالُ وَبَرَزُ لِقَاوُ لَعْدَابِ      مَنْ بَطَالُ الْغَرَبِ فَحَرْبُ الْوَعَى نَطْبُ  
نَابَهُمُ الْمَسْعُورُ يَزُولُ دُونَ كَلَابِ      حَوَالَهُمُ فَالْقِتَالُ مِنَ الدَّهَى نَقْلُبُ  
الْفَنَى تَلْفَهُمْ عَلَى عُدَادٍ لِحَسَابِ      مِنْ خَرَجَ لِبَدَنِ أَهْلِ التَّنَى تَقْصَبُ  
وَمَنْ بَقِيَ تَأْتِيهِ لُوبُ<sup>46</sup> مُتِيلُ رَعْدَا      عَلَى قَطَارُ تَفْنِي مِنْ لَا يَمُوتُ فَطْرَادُ  
يَسُوطُ فِيهِ الصَّرْصَارُ<sup>47</sup> يَجِيحُ فَلَكَدَا      يِلْتَقَى مَا لْتَقَا وَالْقَوْمُ مِنْ دَعَى عَادُ

يَالَيْسَ لَامُ بَكِيُوْ عَلَى دُخُولِ وَجَدَا      دونَ حَرْبٍ غَنَمَهَا لَعْدُوْ نَالُ لَمَرَادُ

يَا رَبِّ يَا كَرِيمُ يَا نَعَمَ الْفَرَاغِ      غَرَّقُ وَجَلِي مَرَاكِبُ فَغَمُوقُ اللَّجِ<sup>48</sup>  
تَهْزَنُ مِنَ الْأَرْضِ وَيَنْقَطِعُ لَهْرَاغِ      وَتَعُودُ فِرْقِي<sup>49</sup> لِلْسَّلَامِ وَتَطْهَجُ<sup>50</sup>  
وَيَطْهَرُهَا اللَّهُ مِنْ لَعْدُ لَسَمَجِ

يَغِيبُ ظُلْمُ الْكُفْرِ وَنُورُ لِسْلَامٍ يَسْرَجُ      وَجَنْدُ بَنُو لَصْفَرٍ<sup>51</sup> يَبْقَى دَلِيلُ مَحْتَاجُ  
 كَيْفُ بَنُو يَسْرِي يَبْقَى دَنِي مُوَلِّجُ      دَلَّتِ اللَّقْطُ مَا فِيهَا هَمَامُ بِالتَّاجُ  
 قَالَ حَبْ يَمْدَنُ لِقَطَارَ بَاشُ تَطْهَجُ<sup>52</sup>      وَلَا تَنْبَهُ بَشَرُ عَيْبُ دَلِيلُ لَهْمَاجُ  
 كُلُّ صَلَحٍ يَظُنُّ عِنْدَ لِسْلَامٍ فَسَدَا      كَيْفُ يَرِشْدُ مِنْ لَا رَبِّ هِدَاةُ لِرَشَادُ  
 مَا نَحَلَ بَصَارُ وَلَا لِحَقُّ نَهْدَا      فَالضَّلَالُ عَيْمٌ مَعْمِي طُمَيْسُ لِفَنَادُ  
 يَا لَيْسْلَامُ بِكِيُو عَلَى دُخُولٍ وَجَدَا      دُونَ حَرْبٍ غَنَمَهَا لَعْدُو نَالَ لِمَرَادُ

حَرَامٌ عَلَيْهِ غَرْبُنَا يَتَمَلَّكَ بِهِ      أَوْ يَنَالَ لِمَرَامُ الْعَدِيمُ السَّاهِي  
 رَادُّ الْمَوْتَى يَفْلَسُ وَيَبْهَدُلُ بِهِ      وَيُسِيرُ عَلَى الدَّوَامِ لِلنَّاسِ مَلَاهِي  
 وَبِلَاةُ فِغْرَبُنَا بَلْبَلَى وَدَوَاهِي

عَادُ مَزَالُ<sup>53</sup> يَشْفُ قِتَالُ مَا نَوَى بِهِ      مَنْ بَطَالُ كَمِينُ فَوْطَانُ مِنْ عَفَاها  
 مَنْ شَرَابُ الْحِظْلُ ضَرْفُ لِكْرَابُ تَسْقِيهِ      غَرُّ قَوْمُ لَعْدِيمُ وَدَلَّتْ فَنَهَا  
 سَارِ بَيْنَ الدَّوَالِ مِثَالُ تَنْضَرْبُ بِهِ      لَاحُ نَفْسُ فَجَمَارُ مَتَكَبُ لُضْهَها<sup>54</sup>  
 عَلَيْهِ تَزْنَدُ نِيرَانُ الْحَرْبِ كُلُّ زَنْدَا      يَسِيرُ فِيهَا جَنْدُ مَسْحُوقُ طَيْرِ رَمَادُ  
 غَاصُ فَالْوَيْلُ وَلَا يَلْقَى لِكُلِّ نَقْدَا      وَسَارُ مَكْسُوبُ خَلِيمُ حَقِيرُ قَلُّ لَوْغَادُ  
 يَا لَيْسْلَامُ بِكِيُو عَلَى دُخُولٍ وَجَدَا      دُونَ حَرْبٍ غَنَمَهَا لَعْدُو نَالَ لِمَرَادُ

لَوْ كَانَ الْغَرْبُ<sup>55</sup> كَانَ مَجْمُوعُ الْكَلَمِ      يَدْهِي بَدُّ وَهْيُ الزَّرْقَا جَمْعُ الرُّومِ  
 لَكِنْ نَهْلَكَ مَنْ دَعَا مَنْ قَسَمَ      أَوْيَحُ إِلَيَّ طَفَى وَجَا لِسْمَاءُ يَحُومُ  
 عَلَيْهِ يَصْبَحُ لَغْرَابُ وَصَوْتُ الْبُومِ

يا لمولى أيد هذا لسلام بهمام  
يرتقى به فعز كل تنظيم<sup>56</sup>  
ببه تفخر لسلام<sup>57</sup> على كل ظلام  
به يخصب هذا الوقت فلن ورغدا  
صارم لحق يمهّد كل حي مهذا  
يا لسلام بكيو على دخول وجدا  
همّت مصرف فالعز مجد فخيم  
ينذكر ما بين الدول راسخ عظيم  
وكل كفر يبقى محقور نكد دميم<sup>58</sup>  
وبه تركن للجود كشوط كل تراد ظلام<sup>58</sup>  
ولا يخلي خرج لحدود ساط فبلاد  
دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

يهن هذا القطار من غلب العدو  
يطلع بدرا لسعود فكمال والصحو  
ويدوم هممنا فالهن والسطو  
ويلوح على القطار بسرار يضو  
والعدو النيم بقى فالبلو

غر نجم من رقى وكان ضاوي  
فات قبل فلغرب البرد قيز<sup>59</sup> قاوي  
بعد حرب بهل لمغير كساوي  
بعد خان ليّمان خاد وكل گعدا  
حمقهم الكفر كل حمق عدا  
يا لسلام بكيو على دخول وجدا  
ولا بقى لو فالدهر ينال عز سطو  
ونكسر عرش بعد ظنين كل قو<sup>60</sup>  
صدّهم البلاء فكل دهمو  
لا سرور فدنيا ولا يدخر زاد  
غرهم الشيطان ولحمهم فكياد  
دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

ما جاز على لمثيل يحكم لمثيل<sup>61</sup>  
هاك القول الصحيح يا روي نقل  
فصحيح خبار كل معقول ومنقول  
تشهد لك فيه بالبلغ هل لعقول  
ويعرض بالكذوب من قلب مدغول

كل من ينكر شمس الجو حين تَشال<sup>61</sup>      يكذب وقت طلوع شرقها العالي  
 باش يستعدّر حين يزول شك لخيال      يعود سخر يا بين محفل الموالي  
 غابت شمس العز عرات روس لطلال      ولا بقي الوقت طلوعها الجاني  
 يطرد ظلام الكفر الي قلوب صدا      تفيق بعد السين<sup>62</sup> ومع الحق تسكاد<sup>63</sup>  
 صوارم الطغيان يصير جميع غمداً      تعيش لسلام فالهنا والمنا ولوداد  
 ياليسلام بكيو على دخول وجداً      دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

يا علي الملك يا لمتعال الديان      حقق بالجوّد والفضال جمع رجانا  
 انصر دين السلام عن جمع الاديان      وهلك وفني وجيح جموع عدنا  
 يلقو الذلّ ولمحان ولهنا

جاد رب رغب فكل مظنون      ولاحت شمس العز نورها للعيان  
 العدو ندمر وتنّف وهين مدعون      ولا بقي يتخطرل غربنا فالدهان<sup>66</sup>  
 كل ما كان نهب لعديم دون قانون      عاد لليسلام ونور الهدى وليمان  
 نام وحلم وتوعى بعد كل ركدا<sup>67</sup>      صاب رس طيح مرم فشك لحداد  
 قام مفزوع وزاد من القطار شردا<sup>68</sup>      وصار يتفكر ملك كيف كان وبداد  
 ياليسلام بكيو على دخول وجداً      دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

لا يجمع يا لنيم لمعدّي لحدود      من جار على القطار بخريق العاد<sup>69</sup>  
 بفرع نوجد ارجع نكد مردود      من طغ ودع عن كل حداد  
 ارجع بسوابق اليوت البددا

اهْلَاكَ لَعُوْهُ هَلَاكَ اَلّٰى عَلَيْهِ سَنَدٌ<sup>(70)</sup> وَكُلُّ مُؤْمِنٍ وَفَ رَبِّيْ مَنَى مُرَادُ  
وَجَبٌ عَلَيْنَا حَمْدُ الْاَتْنَامَ بِنَعْدِ تَكَلُّ فِيْهِ الْوَكْلَانُ لِحَصِي عَدَادُ  
وَالشُّكْرُ لِلْمَلٰى لَكْرِيْمٍ لَّبَسَ يَنْحَدُ مَنْ تَفَضَّلَ بِكَمَالِ الْجُوْدِ عَنْ عِبَادُ  
كُلْ وَقْتُ وَسَعِ طُوْلُ لِحَيَاتٍ لَبَدَا وَكُلْ نَفْسٌ وَلِحَظٌ هُمَا ذَكَرُ لُورَادُ  
فَالْمَنَامُ وَسِيْنَ وَزَمَانُ كُلُّ سَهْدَا مِنْ صَمِيْمٍ الْمَهْجَ وَادْخَالَ مِيْرَ لَجْسَادُ  
يَا لَيْسَلَامُ بِكِيُوْ عَلَى دُخُوْلٍ وَجَدَا دُونَ حَرْبٍ غَنَمَهَا لَعْدُوْ نَالَ لَمَرَادُ

نَهَيْتُ بَيَاتٍ حُلَّتِيْ وَلَا نَهَاتُ عَنْ فَهْمٍ الْفَهْمِيْنَ حَلِيَّتُ مَعْنَاتِيْ  
الْعَقْلُ كَيْشُفُ قَصْدِيْ بِالْمَقْلَاتِ<sup>(71)</sup> يَعْرِفُ ضَرْبَ صَوْبٍ يَنْصُرُ حُجَاتِيْ  
وَالْجَاهِلُ مَا يَلُ دُرِي لَتَقَاتِي<sup>(72)</sup>

هَآكُ يَا رُوِيْ بَاشْ اَهْلَ التَّنِي تَحَدَّثُ مِنْ سَفَاكٍ<sup>(72)</sup> يَسْرِي قَوْلِيْ فَمِيْرَدَاتِ<sup>(73)</sup>  
اَبْشَرْتُ الْخَيْرَ لَطَلَبُ فَلَهَا تَقَوَّتُ اَتَسَجَعُ الْجَبَانَ وَ لَغْفِيْلُ يَقْضَاتُ  
الْكُوَانُ عَلَى قَلْبٍ بِلَسْرَارٍ بَاحَتْ كُلُّ مَا سَبَقُ فَالْتَّكْوِيْنَ بِيْنَاتُ  
رَادُ لَكْرِيْمٍ يَبْشُرْنَا بَنِيْلُ لَفْدَا مِنْ حَبَالِ الطُّغْيَانِ الْاَرْجَا وَ لَسَعَادُ  
زَالَتْ الْكَثْرَ وَسَعَادُ لَسَلَامُ سَعْدَا وَ لَاحُ بَدْرُ ضَاوِي بَيْنَ النُّجُوْمِ وَقَادُ  
يَا لَيْسَلَامُ بِكِيُوْ عَلَى دُخُوْلٍ وَجَدَا دُونَ حَرْبٍ غَنَمَهَا لَعْدُوْ نَالَ لَمَرَادُ

وَ اَتَمَامُ الْقَوْلُ فَالْعُ<sup>(74)</sup> نَخْتَمُ بَسَلَامُ عَنْ مَنْ عَقْلُ ذَكِي لَمَعْنَاتِيْ فَاهَمُ  
مَا فَاحُ غَيْرُ كُلِّ طِيْبٍ عَبَقُ بِنَسَامُ وَمَا هَلْ لَمَزَانُ بِالْغَيْثِ السَّاجِمُ  
يَعْمُ اَهْلُ الشَّنَا وَالْمَقَامُ الْفَاخَمُ



بَعْدُ تَخْتَمُ قَوْلِي يَا حَفِظُ بِتَنْغَامٍ  
 قُلْ رُبُّعُ الْكَافِ وَضَرْبُ بَاقٍ تَفْهَامُ  
 وَالنَّسَبُ لِمُشْرِفٍ مِنْ صَيْلٍ خَيْرٌ لَأَنَامِ  
 انْتَهَتْ الْحُلُ فَشَهْرُ فَرْدٍ لَصِيَامِ  
 وَالرَّسُلُ الْهَادِي لَنَا جَمِيعٌ سَنَدَا  
 كُلُّ مَنْ عِنْدُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَمَدَا  
 كَانَ سَالِكُ الْوُدْبِ عَنْ حُرُوفِ أَسْمِ  
 وَزَيْدُ خُمْسِ الرِّينْبِ لِكُلِّ عَالَمِ  
 سَنَدَتِي لَخَطِي وَمُصِيبُ لَجْرَائِمِ  
 عَامِ شَرْقِ هَكَ لَتَرَخُّهَا مَوَالِمِ  
 فَسَعَتْ الْكُرْبُ عَلَى جَمْعِ الْعِبَادِ بِشَدَادِ  
 مَا يَخَافُ فَلِحَشْرٍ وَلَا فَدِيقٍ لِلْحَادِ

يَالَيْسَ لَمْ بِكَيْوٍ عَلَى دُخُولِ وَجَدَا  
 دُونَ حَرْبِ غَنَمِهَا لَعْدُو نَالٍ لِمَرَادِ

\* \* \*





## شرح بعض الألفاظ

1. رابو لصوار: تهدمت الأسوار.
2. رصام العز: رسوم العز.
3. فزيز: خائف، وضاري يبهز أي تعود النخوة.
4. سرها غير التحزيز: تستحق القطع.
5. وينب: ينبع ويطلع.
6. كقول كفول: قوافل قوافل.
7. دغي: حيناً، بسرعة.
8. يمد رجل: يموت.
9. ينضال: ينجو، ويهرب.
10. توداً: كان، أعطي، أدّي.
11. يفاج: يفرج.
12. ديق: ضيق.
13. سجات: لعل معناها سيق، ومكزرا = مززرة.
14. كسرى: لقب ملوك الفرس، والمراد بلاد فارس.
15. بمرهف: بمرافقي جمع مرهف أي سيف حاد.
16. أي أن العدو ألقى بنفسه إلى حيث الأفاعي والعقارب والساط (أو الصاها) . التّنين
17. يشره: يطمع ويتراعى على ما هو لغيره.
18. زرد: زرده أي درعه.
19. كحيف: أي ينزل ويهبط؛ وتيم: تنقلب.

20. التفوال : الأفل.

21م. سيتل : أسد.

21م. يهدد العدو بأنه سيرى بعينه شيئاً لم يكن يخطر له على بال.

22 لقيال : الأقيال.

22م. نشو : اشتوى، والمغزل هنا السفود.

23 محال : جمع محلة وهي الجيش..

24 كَبْرَن : كبرياء.

25 عَرَش : تمدد وبسط نفوذه.

26 حرب : أي درّب جنده وأعدّه

27 ماسغ : ما أصغى.

28 قصور : قسور أي الأسد.

29 ضغاس اللبأ وهو أول ما يجلب، وفي لحن العامة لابن هشام أدغص وهي كفة بربرية توجد في المعاجم البربرية.

30 خنيس : ذليل، والحزّ : الضيق والمحنة.

31 رقاو : عملوا ووضعوا. والزّار من شارة النصارى.

32 سرهم الموت : يستحقون القتل؛ وشداد هو شداد بن عاد.

33 المبين أي القرآن المبين.

34 وكداو : وأوقدوا.

35 سرهم : أي يستحقون.

36 غردا : أي قطع الرأس.

37 لطاراد = الطراد والمطاردة في الحرب.

38 هذا مثل وصيفته لقدسه عند الرحلى سنة ١٠١١ هـ على يد الأمير الموحدي

39. الحكر : الحقار والذل، صيل : أصل : سراخ : صراخ الحز : الاحتياج، شور :  
جهه وناحية، سكد : سار في خط مستقيم.
40. أهل الثنى : الدين يمدحون.
41. وشمّن من عقل : وأي عاقل.
42. سرت : جرت ووقعت:.
43. منبطل : من أبطال.
44. حيدرا = حيدرة وهو الأسد ولقب به سيدنا علي ومقداد هو المقداد بن الأسود.
45. طاحُ فالخشب : وقعوا في الفخ.
46. لوب : الوباء.
47. يسوط فيه الصرصار : تهب عليه ريح صرصر.
48. فغموق اللج : في أعماق البحر.
49. فرقي : افريقيا.
50. وتطهج : وتبتهج..
51. بنو لصفر هم الروم.
52. تطهج : تفرح تبتهج.
53. أي ما زال فيما بعد، سيرى بعد.
54. أي رمى بنفسه في جمرة لا يخبو لظاها.
55. الغرب : المغرب.
56. تنظام : نظم
57. لسلام : المسلمون.
58. كشوط : أوغاد، تمراد : تمرد.
59. البردقير : البرتغال.

60. يشير إلى مقتل سباستيان ملك البرتغال في معركة وادي المخازن وفقدان لبرتغال لاستقلاله وعرشه.

61. يشير إلى القاعدة الأصولية التي تقول ماجرى على المثل يجري على المماثل

62. تنشال : تذهب وتغرب.

63. السين : السنة.

64. تسكاد : تستقيم

65. يعني أن السيوف تدخل في أغمارها.

66. يعني أن العدو لم يعد يفكر في الهجوم على المغرب.

67. ركدا : ركضا.

68. شردا : شرود أي هروب.

69. بخريق لعاد : أي بخرق العادة.

70. سند : اعتمد

71. بالمقلات : بالمقل أي بالعيون. وأصل المقلة شحمة العين.

72. لتقاتي : لجواهري ودرري.

73. أي من اصغى إليك.

74. فالغ : في اللغة أي في النظم.

75. الودب : الأباء.

76. رمز لاسمه بحروف الجمل، وقوله ينيب أي يظهر..

77. صيل : أصل.

لا غالب إلا الله



# زجلية السارية نظم عبد الهادي بناني

- نعرز هذه المختارات بقصيدة تلتقي في موضوعها مع التي قبلها وكان ناظمها عبد الهادي بناني معاصراً لهاشم السعداني وكان ينافسه، وقد ترجم له الأستاذ الفاسي وقال إنه كان يجالس السلطان المولى عبد الحفيظ الذي كان مولعاً بالملحون وينسب له فيه ديوان مطبوع، وقال أيضاً إنه كان يساجل شيخه الحاج إدريس لحنش، وهو زجال مكثراً أحصى له الأستاذ الفاسي فيما قال - 141 قصيدة وقد توفي بفاس مسناً سنة 1925م<sup>(1)</sup>.

لقد طبعت هذه القصيدة كالتى قبلها في المطبعة الحجرية بفاس تحت عنوان يشبه عناوين المؤلفات وهو الدرر البهية، في مدح رجال الشاوية وهي تتألف مما يعرف بالدخول وثلاثة عشر قصماً يفتح كل واحد منها بعروبي من ثلاثة أبيات وردمة ولها لازمة تتكرر في آخر كل قسم.

كان سبب نظم هذه القصيدة أن الفرنسيين ظلوا منذ احتلالهم الجزائر يعملون على الدخول إلى المغرب وقد قوى طمعهم بعد حرب إيسلي وكان دخولهم إلى وجدة سنة 1907 ثم إلى الدار البيضاء في السنة نفسها من النذر التي سبقت ما سمي بإعلان الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912م.

ولما دخل الفرنسيون إلى الدار البيضاء بدأوا يباشرون بعض الأشغال في الميناء والمدينة وينتشرون في جهاتها مثل مديونة وبرشيد وأحس أهل الشاوية بخطر هذا التدخل الزاحف نحوهم فأجمعوا أمرهم على الوقوف في وجهه ومقاومته وكانت الدعوة إلى الجهاد تصدر من كل جهة فنتج عنها انتفاضة الشاوية التي كبدت الفرنسيين خسائر ذات بال ولكنهم بساؤوا وخططهم الحربية الحديثة تمكنوا من دخول سطات وأخضعوا قبائل الشاوية، وفي القصيدة بعض الإشارات إلى

1- معلمة الملحون 2/2 128

أحداث هذه الانتفاضة وتنويعات بشجاعة أبطالها والزجال يبدأها بالحمدلة والتصلية والترضية ثم يذكر السبب المباشر لقيام الانتفاضة وهو شروع الفرنسيين إثر احتلالهم الدار البيضاء في مباشرة أشغال الميناء وما كان من خسارتهم وقيام الناس عليهم ويقول إن بداية الحرب كانت خسارة عليهم ولكنهم أتوا بجيوش كثيرة واستولوا على قصبة مديونة وقصبة برشيد وعزموا على أخذ سطات والانطلاق إلى مراكش فواجهتهم مقاومة شديدة وقتل عدد كبير منهم ورجع كيدهم في نحرهم.

ويقول الزجال أن قائدهم درد (الجنرال DURDE) جاح أي هلك وأنه عندهم لا مثيل له وقد خلفه دما د (الجنرال D'AMADE) وقد أطنب الزجال في وصف خسائر العدو وما خلفه في ميدان المعركة من قتلى وما غنمه المجاهدون من أسلحة وذكر أن الألمان أظهروا الشماتة بالفرنسيين وفرحوا بهزيمتهم والتفت الزجال بعد هذا إلى الكلام على وجدة فدعا إلى البكاء عليها واستنهض همم أهل المغرب الشرقي للقيام إلى تحريرها وقال لهم انظروا ما فعل أهل الشاوية ثم عاد إلى مدح هؤلاء.

وقد خُتِمت القصيدة بالدعاء للسلطان المولى عبد الحفيظ الذي لقبه هذا الشاعر وغيره من حاشيته بسلطان الجهاد وبعد أن مدحه افتخر في النهاية بنظمه وصرح باسمه. ونشير في آخر هذا التقديم الموجز إلى أن القصيدة تشتمل على كلمات كثيرة من العامية المغربية فمنها : ناض أي قام وأصلها نهض، بلبطر أي بسرعة، وترنى أي وإذا به، وطاح أي سقط، الاضغان : الخدود والوجوه، تسكد : استقام، تافافا : اضطرب، گارا : ساحة، شنيار : رايه وعلم وما طلع لو شنيار أي لم يرفع له علم ولم ينجح ولم يصل إلى مبتغاه. ومثل هذا كثير في هذه القصيدة وما قبلها ومما يلاحظ في القصيدة نظرة الاستهانة بالعدو وكثرة السباب والشتم له وذلك نابع من شدة الغضب والغيط وفيما يلي نص القصيدة مع شرح بعض الألفاظ :

الْحَمْدُ لِلْغَانِي لَا يَنْظُرُوهُ لِبَصَارُ  
 وَدَنَا بِالْهَادِي طَهَ شَرِيقَ لَنُورِ  
 الصَّلَاتِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ لَيْلُ وَنَهَارُ  
 وَالصَّحَابِ الْوَدَّ بِالْمَطْهَرِينَ تَطْهَارُ  
 بِالْجِهَادِ اشْتَغَلُ وَمَضَوْ فِيهِ لِعِمَارِ  
 يَا هَلِ الشَّأْوِيَّةُ صَوْلُوا بَعَزَ وَسَرَارِ  
 سَبَبُ هَذَا الْفِتَانِ فَالْضِّيَّ أَدِيْجُورِ<sup>3</sup>  
 نَاضِ الْكَافِرَ بِالْعِزِّ يَصْنَعُ بَابُورِ<sup>4</sup>  
 حَطَّ السَّكَا وَسَارَ يَخْدَمُ ظُلْمَ أَجُورِ  
 حَمْدُ لَيْسَ يَنْتَهِي يَا صَاحُ فَلْعِبَارِ  
 إِيْمَامُ لَوْجُودُ الْمَاحِي بَارِغُ الْمَنَارِ<sup>1</sup>  
 وَالرَّضَى عَنْ آلُو وَاهِلُ هَلِ الطَّهَارِ  
 مَنْ فَنَاوَا الْكُفَّارَ سَيَاتِلُ الْغَزَارِ<sup>2</sup>  
 سَرَتْ نَمْدَحُ فِيهِمْ وَنَقُولُ بِالْجِهَارِ  
 بِالْجِهَادِ فَلْجُحُودُ خَنَازِرِ النَّصَارِ  
 بِهَا نَاسٌ لَعَقُولُ لَفَضَالُ نَخَبَرِ  
 يَعِيزُ عَلَى الْمُونِ<sup>5</sup> وَيَنْقَلُ لِحَجَرِ  
 حَتَّى فَاتِ الْحُدُودِ وَطَفَى وَتَجَبَّرِ

### قَامَ عَلَيْهِ الْهَرَجُ وَتَفَلَّسَ وَخَسِرَ

مَشَا يَغِيثُ وَرَجَعَ قُلُ لَكُنُوسُ<sup>6</sup> عَجَلَانِ  
 رَتَّبَ الْعَسَا<sup>7</sup> بَاشَ يِنَالُ كُلِّ أَمَانِ  
 بَلْبَطَرُ<sup>8</sup> حَرَكْتُ لُو مِنْ كُلِّ جِيهِ شُجْعَانِ  
 فِيهِ قَتَلُوا عَدَدَ الْآخِشُو مِنْ عَارِ  
 لَهُ حَلَفُوا ثُمَّ لَا ضَارَ قَدْ مَا دَارَ  
 جَا وَجَابَ الْعَسْكَرُ وَنَوَى يَكُونُ صَايِنِ  
 خَابَ سَعِيُوا وَلَقِيَ لَهْوَالِ وَالْمَحَايِنِ  
 رِيْتَلُو<sup>9</sup> الْبِلَادُ أَعْبَوُ<sup>10</sup> الْمَالِيزِ  
 السَّغَاصُ الظَّالِمُ وَقَاسَتْ خُسَارَا<sup>10</sup>  
 لَوْ يَعْرِفُ يَفْنَوَا عَلَى الْإِسْلَامِ غَارَا



يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار      بالجهاد فلجحد خنازر النصارا

نزل ولد الحرام بجنود كثيرا      واعمل يد مع هل الدار البيضا  
انوا يكون لهم عزو<sup>(11)</sup> ودخيرا      دخلهم فالزمام<sup>(11)</sup> تمثيل فريضا  
وترن<sup>(12)</sup> غير جر بهم لخصيرا<sup>(13)</sup>      حتى صاروا يحدثوا هاذي فيضا

### ولا علا من العلات فريضا

أبدأ أيحارب لحرامي كل يوم قتال      لين ما رد الرأس فساعت يولي  
غربت شمسوا من بعد الطلوع ونضال      طاحت سواروا وبقي فالفضا متلي  
كل يوم يجيب محلا<sup>(14)</sup> هبيل لهبال      جاح وبقي فهموم محايينوا مقللي  
نوض<sup>(15)</sup> السلطان يعينوا وشاع لخبار      غلب الله الشاويا على النصارا  
طاح ميمون الكفر<sup>(16)</sup> كبار وصغار      صادف لمحان ولقتان ولخسارا

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار      بالجهاد فلجحد خنازر النصارا

كم من كافر للرباط ادخل عريان      هذي هانا<sup>(17)</sup> وليس تشبهها هانا  
فروا وتفرقوا على جمع البلدان      ارهوط كثار جات منهم عريانا  
عبادين الاوثان يسهلوا لمحان      والدق على الاضغان<sup>(18)</sup> لكشوط<sup>(19)</sup> عدانا

فوق نقيموا على الكوارش<sup>(20)</sup> شعبانا<sup>(21)</sup>

اجتمعت الروم أقال نكثرو العداد  
نحوزُ قصبَ مديونا<sup>(23)</sup> يطيب لمراد  
جمع قاوي ما يتنهي ولا يلوا<sup>(22)</sup> حد  
عاد<sup>(24)</sup> لحكام نقولوا فيدنا تسكد<sup>(25)</sup>  
حوزوها وأصبح أوطانها منكد  
زاد فالحين لقصبَ بن رشيد<sup>(26)</sup> بطار<sup>(27)</sup>  
خاف من رشت عيّن أخف من عماراً<sup>(28)</sup>  
خارجوه بحيلات الأنوى الكارا  
جاو بعض الشاويا ينصح الغدار

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار  
بالجهاد فلجحود خنازر النصارا  
خرجوا به اللنيم فالحين اللّمحج  
ونوى يمشي سريع قاصد مراکش  
جهاز مونا وجاب كل ما يحتج  
وترند جا على المحايّن كيفتش  
ج أوصل لوعار بين لخنادق فالفج  
دارت به لبطل وتغافاً<sup>(29)</sup> ودهش

وبقى بينتهم تالف كيف الوحش

صارت القوم تكثر فالكلاب تكزير  
نزلوا لمكاحل ذاك النهار لكبير  
ما نفعهم لعدا عدداً ولا مدافع  
جأت منهم فافناب الخيل كم من يسير<sup>(30)</sup>  
والمولى عنهم عياو ما يدافع  
شوف نجم الدين فبرج السعود طالع  
دروا<sup>(31)</sup> زادوا للسلطات يا لحضار  
بعد ما قاستهم من قبلها خساراً  
زاد عمر السكتاني<sup>(32)</sup> سريع غيار  
حوز البنديراً<sup>(33)</sup> بالميز والشطاراً

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار      بالجهاد فلجحد خنازر النصارا

اخوا<sup>34</sup> يامن تسال لقصابي ورجع      لها لا يلقيه خير لحقير الكاشف  
وادخل فجواه<sup>35</sup> بالقهر من بعد دلع<sup>36</sup>      نحطم غرس وماء لحتالا<sup>37</sup> ناشف  
والبس ثوب الحزان عاجل والتقمع      ما نفعتوا قبيح لفعال مناصف<sup>38</sup>

وارجع كيد فنحر هوؤو صادف

جاح<sup>39</sup> درد ما نفدا عنهم باموال      ولا يوجدو مثل ولد الزنى فباريز  
كان لحرامي فالصوكا<sup>40</sup> يدير حيال      مع مشاكل ونواعر حير هل الميز  
خلفوا دما<sup>41</sup> فغوض جميع لردال      وليس جاب لخبار على ولاد لحريز  
ابدا يقاتل لعدو ما طلع له شنيار<sup>42</sup>      كل يوم يخلي شظيا فوسط كارا  
من مدافع وسلاح كثير ما ينحصر      والمجارح والموتى ما لها عبارا

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار      بالجهاد فلجحد خنازر النصارا

اما خلادو من كراس<sup>43</sup> ذا القرطاس      وما خلادو من مدافع ومهارز<sup>44</sup>  
وما خلادو من خوارج<sup>45</sup> في تهراس      وما خلادو فالبطاح من كنايز  
وما خلادو من شمارر<sup>46</sup> ما تقاس      وما من راس من الكسدا يتفرز  
حين بدات البطال فيهم تغير

لو نظرت ما بهم سار من الآفات  
يا لها من صوكا<sup>(47)</sup> عدات كل صوكات  
يا ندامتهم على فعلهم لو شات  
ابقوا مليوحين<sup>(50)</sup> فلفرار صادف نار  
وزعوه لكلاب آمن تسال وطيار  
شحال من يدين أرجلين ريت طارت  
في بهاها لعجيب هل العقول حارت  
يا خسارت قل العيفات<sup>(48)</sup> الشمايت<sup>(49)</sup>  
والهموم الكثر والشوم والحرارا  
كل طرف تفرق وحد مشى الحارا

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار  
بالجهاد فلجحد خنازر النصارا

لبروص<sup>(51)</sup> على الدوام فيهم تشفا  
سمع لفرنصيص وحزن والتقفا<sup>(53)</sup>  
جرحوا محال كان باقي يترفا  
وعليهم قام فشط<sup>(52)</sup> وزهى ونشط  
ومن عيون الكنوس لمفلس نسقط  
جرح الآلو طيب ولا يتخيظ

لكن كان الخبيث بلسان شيط

اشحال ما خوفنا لكوازطي<sup>(54)</sup> فجرنان<sup>(55)</sup>  
كل جمعا<sup>(56)</sup> ياتي بجريدتوا الخوان  
كلها من موبقات الدني الشيطان  
كيخوفنا من لفرانصييس لحمار  
ما قرا حرما ما عند الكل توقار  
كلام مردود عليه ايه ما رطينا  
بشي خباير شلا رينا ولا درينا  
ولد يبليس فعالوا خايبا وشينا  
اش يرجى من خير فولد لحمارا  
ما درا للصدق الاجاب لوييسارا

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار      بالجهْدْ فلجْحودْ خنازَرْ النصَّارَا

لُوريتي كيف كان لَحرامي يفرح      على وجداً مُنينْ حازوها لَكْشُوطْ<sup>57</sup>  
وأصبح ذاك النهار مسرور مطرَحْ<sup>58</sup>      ليتْ شعري وشْ طازو للمزلوطْ  
وجدنا دار الاسلام صيغْ كلام الصَحْ      دابْ ربي يردّها من دونْ شُروطْ  
وعُدوها في ترابها يَضْحَى مخبُوطْ

وينْ سيدي يحيى<sup>60</sup> سلطانها الأمير      ريتْ سرْ مصباح العارفين ظاهر  
واينْ الصالحين رُجالها هل الخير      واينْ السيد عُقبا راحتْ الخواطرْ  
واشْ ما عارْ عليكمْ يا كنوز لفقير      مشاتْ وجدا فحماكم حازها الكافر  
يا سيوف الوهاب فجُوْ هذْ لَغْيَارْ<sup>61</sup>      يا هلْ العطفَا والبرهانْ وليغَارَا  
وعُدّها خلانا تمثيلْ فارق الدَّار      غايبين بالهموم عقولنا سَكَارَا

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار      بالجهَادْ فلجْحودْ خنازَرْ النصَّارَا

واجب البكا على دخولك يا وجدا      ابكي يا درّت البها بدموع الدم  
دخولك بلا محاربْ لامتْ لَعْدَا      دخلا فالحينْ باردا دُونْ صَوَارْمْ  
هادي شداً وليسْ تشبهها شداً      لكنْ نرجى الكريم لجليل العالم

يهلكْ فقريبْ هذْ لجحيدْ الظالم

جاوبتني بلسان الحال عند لمقال  
تاه بنو آدم مع القماش والمال  
فاين خيولي ورجالي كهول وطفال  
وين السكان فقربي وكل جوار  
وين بني يزناسن ياك غير لحرار  
واين بني جيل اعربان والصحارا<sup>62</sup>  
قالت العذرا لوجيب بصوت عالي  
ولا فعل باش ماء امر ربنا العالي  
وين براجي وين مدافعي ومالي  
ما نظرت فلورا من جابت يغارا

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار  
بالجهاد فلجحد خنازر النصارا

نهضوا يا هل الشرق تغزيو فلعدو  
هذا الكافر عنكم ادفع جهد  
قوموا لله كلكم فساق الجدد<sup>62</sup>  
وعيون القلب ساهيا وغشاها رمد  
عرفوا من مات منكم مات مشهد  
قبوا ايمانكم للحرب ازيد

### مغفور الذنب ساكن فجنات الخلد

شف لفضال الشاويا هل النجاد  
شف لفضال الشاويا فالزيادا  
شف لفضال الشاويا فخرق عادا  
اتشبهوا بهم يا ناس الوفا ولسرار  
سهلوا<sup>65</sup> فالكلاب هل الشقا ولسرار  
اشحال هذا من شهر مقابلين للروم  
عانهم بفضل رب الوري القيوم  
كل هزير منهم يوم اللطام<sup>66</sup> محزوم  
فاجهاد تفوزوا بالعز والتيارا<sup>66</sup>  
يا لانتهم بغيتوا تبقوا فالعمارا

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحد خنازر النصارا

شوفوا جمع الفحول قام للجهاد يا سعد الي بحلهم قام يجاهد  
نصروا دين الاسلام وغزوا الجهاد واصبح لفرنسيس مسقور<sup>66</sup> وناكد  
ما روح طايلا وتعمى من لتماد وامداد المومنين باقي فالزاييد

واطلع بدر الاسلام بنواروا واقد

اش رامن لارا لبطل وقت لقتال مجرد من لكساوي غير فالسروال  
على الخيول المعتبرايا لفاهم رجال بالزرايم<sup>67</sup> وسيوف حداد والساييل  
الاسياد وجوه الجنا شمس لنجال امثيل هاذو تفخر بهم القبائل  
جاهدوا فالكافر وسقو له لمرار روجه ميسر<sup>68</sup> في حومت السقارا<sup>69</sup>  
ماقراشي هاذي واعمات له لبصار عمروا من هاذي لجحيد لا توارا

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحد خنازر النصارا

صولي يا درت الجمال الشاويا لك النصرا والاسرار العنايا  
حزت لقبول والحسان المزييا لك بقعا مشرفا فيك منايا  
اتغبطك ساير المدون اباديا اتبختري بالقاصرا<sup>71</sup> روح حشايا  
فحلول العز يامرامي وغنايا

يا لشاويا فيك رجال ما تنو جادُ      يا لشاويا فالبَهْزَا<sup>72</sup> مُثِيلُ الْأَسُودِ  
يا لشاويا مشهورَ أَفْيُومَ لَعْنَادِ      يا لشاويا تهزم فاللَطَامِ<sup>73</sup> لَحُودِ  
يا لشاويا يَسْبُوا لِقَرَابٍ وَبَعَادِ      يا لشاويا شَرْفَهُمُ رَبُّ لَوْجُودِ  
يا لشاويا صولَ على جميع لَقَطَارُ      يا لشاويا بهم حَلَّتْ الْبَشَارَا  
يا لشاويا جرَّ الذَّيْلَ ليل ونهار      يا لشاويا ناسكُ خَازِتِ التَّمَارَا

يا هل الشَّاوية صولُوا بعزَّ وسرار      بالجهَادِ فلجَحُودُ خُنازِرِ النَّصارَا  
يا رب بالرسول وآيات القرآن      والزهرا الطاهرَ ولحسن والحسين  
انصر دين الإسلام عن ساير لاديان      وانصريا ذا الجلال جيش المسلمين  
واهزم جند الجَحُودِ يا عظيم الشأن      نتوسل بك لك يا نعم المعين

### فرج هذا الهموم واحمنا في الحين

وَقُومَ سُلْطَانِي سَيْفُ الْحَقِّ نَوْرَ اللَّحَاطِ      رُوحَ ذَاتِي لِمُجَدِّ مَوْلَايَ عَبْدِ الْحَفِيطِ  
قَامَ بِالْجِهَادِ الْمَلِكُ طَيْبَ لَغَرَاضِ      رَايْتَ لِسْلَامَ رَفْعِهَا كَاطِمَ الْغَيْظِ  
أَهْمَامَ وَلَدِ هِمَامٍ يَتْرِكُ الْعَدَا فِتْبَاعُضِ      أَشْرِيفَ عَلَوِي بَحْرُ الْمَوَاهِبِ يَفِيضِ  
بِهِ يَفْخَرُ جَيْلٌ وَرَأَى زَهْرَ لِحَوَاضِ      قَامَ بِشَرَطِ الْمَلِكِ الْمِيرْ نَاهُضِ نَهِيضِ  
سَارَ سِيرَا حَسَنًا يَا لِفَاهِمِ وَنَاضِ      عَلَى شَرِيعَتِ جَدٍ وَفَتْحِ كُلِّ تَغْمِينِ  
وَشَرَّ رَأَى مِنْ لَارَاهُ عَلَى الْكُشُوطِ مَغْتَاضِ      وَالْبَطَالِ تَشَالِي فَالْحَرْبِ خَفَّ مِنْ فَيْضِ



ايحرض المسلمين على الجهاد تَحْرَاضُ  
 له لَهَامُ عَهْدُ صَحَاحُ لَيْسَ تُنْقَاضُ  
 كلمتُ مسموعاً قوت القلوب لمراض  
 قام بالسَّنا والكتاب زال لخواض  
 خذ بيدُ وانصر بِنْدُ المجد يُحْفَاضُ  
 هَاكُ حَلَا فطْرِيزُ الفَزْ بِالْحُفَاضُ  
 اكثرت المعاني ومنقحا فللفَاضُ  
 والسلام نَهَيْبُ مَا فَاحُ طَيْبُ لَزْهَارُ  
 قال عبد الهادي يرجى عفو الستار  
 له بَاعُ فساير لَفَنُونُ وَاضِحُ عَرِيضُ  
 إِذَا يَقُولُ يُوَافِي فُوقَ الظَّنُونُ وَيُعِيضُ  
 آهْ عَنِي مِنْ وَحْشٍ بِهَاهُ سَاقِمُ مَرِيضُ  
 لِكَ فَوْضِ أَمْرِيَا ذَا الْجَلَالِ تَقْوِيضُ  
 ادخَلِيكَ بِيَمَامِ الأَرْسَالِ يَا لِحَفِيضُ  
 بِنْتُ لِفَكْرٍ أَدْرِيسِيَا تَهْدُ لِبَغِيضُ  
 يَا نَدِيمُ تَغْنِي بِهَا وَصُونُ لِقَرِيضُ  
 عَلَى الأَشْرَافِ أَوْلَادِ الزَّهْرَا هَلْ أَلْغَارَا  
 الذَّكِي لِمَشْوَقٍ لِلْحَجِّ وَالزِّيَارَا



## شرح بعض الألفاظ

1. بازغ المنارا : مشرق المنارة وهي التي يوضع فوقها السراج.
2. سياتل الغزاراً : أسود الحرب والقتال.
3. فالضي اديجور : في النهار والليل.
4. بابور : معناها هنا القطار وتطلق في الغالب على الباخرة وهي تعريب لكلمة Vapeur
5. المون : الميناء.
6. لگنوس : الأجناس والأمم.
7. العسا : العسس.
8. بلبطر : بسرعة.
9. ريتلو : نهبوا وسلبوا.
10. عباؤ : أخذوا وحملوا.
- 10م. السغاض : استغاض وغطا، وقاست مسته.
11. عزو = عزوه أي عمد وسند.
- 11م. الزمام : السجل.
12. وترن : وإذا به.
13. جربهم لحصيرا : يعني خذعهم وغرر بهم.
14. محلاً : جيش..
15. نوض : أنهض وأقام.
16. طاح ميمون الكفر : سقط سعده وأقل نجمه.
17. هانا : إهانة.
18. الاضغان : الخدود.
19. الكشوط : الاوغاد.
20. الكوارش : الذين هم كالبهائم.
21. شعبانا : عادة في المغرب وهي قديمة وكانت معروفة في الأندلس كذلك وفيها يتم احتفال الناس واجتماعهم على الأكل والشرب في شهر شعبان.
22. ولا يلو : ولا له.
23. قصبت مديونا : قصبة مديونة معروفة بالقرب من مدينة الدار البيضاء.

- 24 عاد : حينئذ فقط.
- 25 تسكد . تستقيم.
- 26 قصبة بن رشيد : هي اليوم مدينة مشهورة.
- 27 بطار : بسرعة.
- 28 عمارا : رصاصة.
- 29 تفافا : تززع.
- 30 يسير : أسير.
- 31 درموا : اندفعوا وتقدموا بجهالة..
- 32 عمر السكتاني : من زعماء المقاومة في الشاوية.
- 33 البنديرا : الراية، وهي كلمة إسبانية bandera.
- 34 اخوا : خرج وانسحب، ولقضا بي : القصابات.
- 35 وادخل في جواه : دخل في غمده أي لزم حده.
- 36 دلع : انتشر في الأرض.
- 37 لحتالا : الحثالة.
- 38 مناصف : حيل ومكايد.
- 39 جاح درد : هلك درد وقتل، وردد اسم قائد الحملة.
- 40 فالصوكا : في الحملة؛ وقد نوه الشاعر بخطه الحربية.
- 41 دماذ : اسم قائد فرنسي.
- 42 شنيار : راية.
- 43 كراس : جمع كروسة أي عربة.
- 44 مهارز : جمع مهران (مهراس) نوع من المدافع.
- 45 خوارج : قتلى الكفار.
- 46 شمارر : جمع شمير أي قبعة، وهي تعريب الكلمة الإسبانية Sombrero.
- 47 صوكه : حملة عسكرية.
- 48 العيفات : جمع عيفة أي شخص وسخ.
- 49 الشمايت : جمع شماته أي شخص حقير.
- 50 مليوحين : مرميين.
- 51 لبروص : الالمان وهي Prusse بالفرنسية و prusia بالاسبانية.

- 52 فشط : حفلة، وهي كلمة الاسبانية Fiesta
- 53 واتَّقفا : شعر بالخزي.
- 54 لكوازطي : جرائدي يشتغل بالأخبار وهي من الكلمة الفرنسية Gazette
- ٥٠ فجرنان : في جورنال أي في صحيفة وهي من journal.
- ٥١ جمعة : أسبوع.
- ٥٢ لكشوط : الأوغاد.
- ٥٣ مطرَح : مستريح.
- ٥٤ وش طازو للمزلوط أي ما الذي دفعه إلى دخول وجدة.
- ٥٥ سيدي يحيى صاحب ضريح معروف في وجدة ومثله سيدي عقبه وثمة كذلك سيدي معافى وسيدي عبد الوهاب.
- 6١ أي نفسوا وفرجوا هذا الكرب، والاستغاثة بأصحاب الأضرحة أمر شائع في قصايد الملحون.
- 62 بني يزناسن : وبني جيل من قبائل المغرب الشرقي.
- 63 فساق الجد : في ساق الجد أي على قدم وساق.
- 64 يوم اللطام : يوم العراق.
- 65 والتيارا : والنخوة.
- 65م- سهلوا اي ابدعوا واشرعوا.
- 66 مسقور : مهزوم.
- 67 بالزرايم : البنادق.
- 68 ميسر : مأمور.
- 69 السقرا : الهزيمة.
- 70 ماقراشي هاذي : أي لم يحسبها حسابا.
- 71 المقاصرا : الجميلة وقاصرة الطرف : لا تمده إلى غير بعلاها.
- 72 البهزا : النخوة.
- 73 اللطام الحرب.
- 74 تجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ محمد القندوسي له قصيدة زجلية كذلك قالها بمناسبة أحداث الشاوية وقد أكثر فيها من التوسل إلى الله أن ينصر المجاهدين.. انظر مظاهر يقظة المغرب الحديث 2: 497 وترجمته في المعلمة 2 ق 2 ص 339.

الذرة البنية في مدح جمال السدوية

الحمل للغة في قران تضر واه لبصار  
وتدنا بالهنا في حمة شربو لنواز  
الشدات غلية من الله نيا ونسار  
والصحة في الرد بالهنا في قران  
بالجملة في الشدة في قران  
يدل السدوية في قولوا بغير وكرار  
سبب من البقاء في البقاء في الجوز  
نادر الكرم في بالعمى في صنع في نور  
حمة السدة في ربح في كل الجوز

حز ليس في شهر يداع بلعبار  
الجملة في لوجود الله في بارخ المنار  
والرضى عن والوا وامله في المنار  
مرقنا والكبار في المنار  
شرب في مدح فيهم في قول بالجملة  
بالجملة في الجوز في المنار  
بها نادر العفول لفظ في نخبة  
يحيى على المنون في نقل في حجر  
حشر في الحرو ودم في نخبة

فان غلية في الجوز في نخبة

فبها في نخبة وزج في الكرم في نخبة  
ركب العسة بالسر في كل امان  
بالبكر حركت لومر كل جبه في نخبة  
فيه في قولوا في الاخس في قولوا  
ليخلقوا في الا في قولوا  
يدل السدوية في قولوا في قولوا

جاء في العسكر في قولوا في قولوا  
حباب في قولوا في قولوا  
في قولوا في قولوا  
الشعاع في قولوا في قولوا  
لوبيع في قولوا في قولوا  
بالجملة في قولوا في قولوا

حرب  
عربية

حرب



# الزازية

- تظهر الأدبيات الجفرية في الفترات التاريخية المضطربة والظروف الزمنية الصعبة عندما تسوء الأحوال ويفسد الزمان فتشيع التنبؤات وتتعدد الجفريات.

وإذا كان هذا يوجد خلال التاريخ المغربي والإسلامي على العموم فإنه قد بدا بصورة بارزة في الفترة التي سبقت وصول الفرنسيين إلى المغرب، فقد كثرت القصائد الجفرية، ومن أشهرها ما قاله الفقيه العميري والشيخ ابن عبود السلوي والفقيه الموقت صاحب القصيدة الزازية التي نثبتها في آخر هذا المجموع، وناظمها هو سيدي محمد بن عبد الله المبارك موقت مدينة مراكش، ولد سنة 1241هـ (1825م) وكان من أهل التربية والتصوف والمعرفة واشتهر بعلم التوقيت ومزاولته إلى أن توفي سنة 1330 هـ (1911م) وهو والد ابن الموقت صاحب المؤلفات العديدة المتوفى في 17 صفر 1369هـ الموافق 8 دجنبر 1949م<sup>(1)</sup>.

عرف الموقت الأب بقصائده الجفرية وأشهرها هذه القصيدة التي التزم في أواخر أشطارها حرف الزاي فسميت بالزازية وهو يستهزئ فيها بالفرنسيين الذين نزلوا وقتئذ بالدار البيضاء والشاوية وتوجهوا بأنظارهم إلى مدينة مراكش ويتنبأ بهزيمة فرنسا، ولما كانت هزيمتها في الحرب العالمية الثانية<sup>(2)</sup>، قال بعض المغاربة يومئذ إن ذلك هو ما تنبأ به صاحب الزازية وللموقت جفرية أخرى يصف فيها أحوال ذلك الوقت<sup>(3)</sup>. وفيما يلي نص الزازية<sup>(4)</sup> مع شرح بعض ألفاظها :

1. انظر ترجمته في معلة الملحون 2/2. 271.

2. القصيدة : 349

3. انظر عرضا لمضمونها في أطروحة القصيدة : 349

4. نقلا عن العدد الثاني من سلسلة ديوان الملحون للمحوني ص : 74



١. أسأيلني أنفيديك أبكافر باريز<sup>١</sup>  
 ٢. سكان الغرب ظنهم عباد الويز<sup>٢</sup>  
 ٣. بالظن الخاسر الجريم انوى كليلز<sup>٣</sup>  
 ٤. ويضالي غل القوم بالويز والهميز<sup>٤</sup>  
 ٥. طمع المحال حين جا وبغى لكنيز<sup>٥</sup>  
 ٦. لا صولى للجريم بالهزا تدبيز<sup>٦</sup>  
 ٧. غروا يبليس فالحشا زحمو بنغيز<sup>٧</sup>  
 ٨. اغواه ادخول ويهران بلا تجهيز<sup>٨</sup>  
 ٩. يعتاد الغرب هكذاك ايكون اعجيز<sup>٩</sup>  
 ١٠. سطوت الله دأير بالغرب اركيز<sup>١٠</sup>  
 ١١. محمول على الفضال ما يرضى تحيز<sup>١١</sup>  
 ١٢. مهمو البطال يخشى باكنيز<sup>١٢</sup>  
 ١٣. شالا بسفاهتو ولا نفعو تخيز<sup>١٣</sup>  
 ١٤. لستأفد كن عايق واتبع الغزا<sup>١٤</sup>  
 ١٥. فيهم اللي يبيع دينو بالخيز<sup>١٥</sup>  
 ١٦. يبني فيه القصور ويقابل لكزا<sup>١٦</sup>  
 ١٧. حتى يلقي ايدير فالبهجا خنزا<sup>١٧</sup>  
 ١٨. فالغرب يشيط له كزا بن كزا<sup>١٨</sup>  
 ١٩. ولا عمرو ايدز فالغرب المغزا<sup>١٩</sup>  
 ٢٠. وحكمت الله جابت فين التزا<sup>٢٠</sup>  
 ٢١. ودخول اتوات ما لقي من فيه اغزا<sup>٢١</sup>  
 ٢٢. اينال امناه فيه ويدرك البرزا<sup>٢٢</sup>  
 ٢٣. وحصنت اوارم المخازي بالفزا<sup>٢٣</sup>  
 ٢٤. انتجيه على الشراك ولو بالدبزا<sup>٢٤</sup>  
 ٢٥. بالعتف ايدوز فيه بفراخ الوزا<sup>٢٥</sup>  
 ٢٦. ولا جرحو ارتاح من حر القزا<sup>٢٦</sup>

١. يعني الفرنسيين أي الفرنسيين حسب التعبير القديم
٢. عايق : منته، اتبع الغزا؛ من المثل المغربي القديم إذا كنت خراز، اتبع الغراز. راجع الجزء الثالث من هذا التأليف ص ١٦١.
٣. عباد الويز : يعني الفرنسيين والويز Louis اسم قطعة ذهبية نقدية.
٤. أي بأبخس الأثمان.
٥. كليلز : جليلز، وهو اسم جبل وجهة في مدينة مراكش.
٦. يضالي : يواصل ويعطي بلا انقطاع والويز عملة فرنسية. والهميز ما يعطي لكبار القوم من الرشاوي، والبهجا : مراكش.
٧. لكنيز : الكنز، ايشيط : يفضل، يبقى. كزا بن كزا أي لا شيء.
٨. يدز : يجر، والمعنى أن الفرنسيين لن تكون له في المغرب صولة ولا دولة ولن ينتفع منه بشيء.
٩. فالحشا : في الحشا. بنغيز : بالنفر، فين التزا : أين يرزا ويهلك.
١٠. أي أن الفرنسيين لم يجد مقاومة تذكر في وهران وتوات.
١١. تعجيز : عاجز، البرزا : البروز والظهور.
١٢. اركيز : ركانز.
١٣. الدبزا : لكمة، معركة.
١٤. أكنيز : قرد مهمو ما منه أي أن المغرب لم يعب بالابطال فكيف يعب بالافزام.
١٥. شالا : هدد وأقبل مهاجماً، وفرزا : هي لا شيء في اصطلاح أهل الكارطة.



امضات أيام بآن فيها كان ارميز<sup>1</sup>  
 اليوم اضحى يسير عند أولاد احرير  
 لو كان القى يزوك فيهود امزمير<sup>2</sup>  
 مثل فار الخاد إلى خاد كرزير<sup>3</sup>  
 الله الله قتلت ورميت الفرزير<sup>4</sup>  
 لله الحمد ملكن نور ايبيرير<sup>5</sup>  
 اللهم ابجاء من فلكون اعزير<sup>6</sup>  
 وهل وتباعثو هل المجد اتمير<sup>7</sup>  
 تجعل لفرأ نصيس مثل البرتقير<sup>8</sup>  
 من هد ما يفلت عنف من لكرير<sup>9</sup>  
 هذ الكاعا اصفات ما تحتج تغير<sup>10</sup>  
 صبح الكافر ابجرتو مخروب افطير<sup>11</sup>  
 فيديه اتشانك وتغلب بالغمز<sup>12</sup>  
 فالقبطا لازم فعمر يتعز<sup>13</sup>  
 ولا عند الغنوس فالبر يتخز<sup>14</sup>  
 ومشاعند المشاش امصيد لغز<sup>15</sup>  
 اوراياما انخاف توصلني حزا<sup>16</sup>  
 موزوث من السلاف داييم فمعز<sup>17</sup>  
 طه نور لكوان وليوت البهزا<sup>18</sup>  
 وجميع اهل السراز ودرير وكنزا<sup>19</sup>  
 ايغنم فالبلاد من به استهزا<sup>20</sup>  
 فالقرجوطا ارجعت للكافر لزا<sup>21</sup>  
 وضحي حبل العكيد مرخوف الكرزا<sup>22</sup>  
 سيف القدرى فسررتو طعزو طعزا<sup>23</sup>

1. ارميز : أي قوي، في يده مقدرة وهذا من كلام أصحاب لعب الورق (الكارتة)

2. اتشانك : أوراق لا قيمة لها. (في لعب الورق).

3. الغمز : الغمزة وهذا من أساليب أصحاب لعب الورق أيضا

4. امزمير : بلد معروف في جهة مراکش كان فيه اليهود ومثله دمنات، ويزوك : يحترم ويلتجئ

5. كرزير : ركن، والمشاش : القطط.

6. الفرزير : الأطفال، والحزا : الشدة.

7. السلاف : الأسلاف.

8. ليوت البهزا : لعله كما يقال في الفصيح أسود الشرى البهزا العزة والغلة

9. الإشارة إلى المولى إدريس الأزهر وأمه كنزة.

10. الإشارة إلى ما وقع للبرتغاليين في وقعة وادي المخازن.

11. الكيريز : شدة الحبل، القرجوطا : الحلقوم، لزا : اختناق.

12. الكاعا : القاعة، تغير : دراس معاد.

13. مرخوف الكرزا : مرخي العقدة.

14. طعز : طعنه.

هَكَ الْغَزْ الزَّقِيقُ فَالْمَوْهُوبُ اغْرِيزُ  
لَا تَعْبَا بِالْهَيْزِ وَلَا بِتَخْرِيزِ<sup>١</sup>  
سَبَقُ الْبَا وَحَمَلُ الرَّأْ بَعْدَ الْمِيزِ  
هَذَا تَوْهِيْبٌ مِّنْ أَقْصَى قَلْبِ الْهَبْرِيزِ<sup>٢</sup>  
خُذْ وَفَخِرْ عَلَى الْعَدَا مِيزْ أَتْرَمِيزُ  
السَّرُّ إِلَى اخْفَاكَ شَفُّ أَرْبَابِ الْمِيزِ  
مَغْزُولٌ أَفْسَاعَتُ الْغَزَا مَن ثَلَثَ اجْزَا  
فَالْغَرْبُ اللَّيِّ اقْوَى ايرُدْ بِالْوَكْزَا  
وَبَالِيَا اكْمَالَهُمْ تُوْخَيْرُ الْهَمْزَا<sup>٣</sup>  
مُوقِتُ الْبِلَادِ عَنْوَانُ رَمْزَا  
وَفَهْمٌ بِنَجَابَتِ الْعَقْلِ كَيْفُ التَّجْزَا  
وَالْتَقْوَى مَا بَقُوا فَتَقْوَاْسُ الرِّزَا<sup>٤</sup>

وَلَا تَلْقَاهُ حَايِزٌ وَمُولُ الْقَزَا<sup>٥</sup>

١- التخريز : الكتابة التي لا تقرأ ويقال أيضا : التخرميز والوكزا = الوكزة : الضربة بجمع اليد،  
٢- الهبريز : من معانيها في الفصح الذهب الخالص  
٣- ب ريء،  
٤- تقواس الرزة : تدوير العمامة  
٥- ربطة العنق وكانت لليهود والنصارى



# هفريه لسيدي الحسن اوعلي

- ختمت الجزء الرابع من هذا التأليف بجفر للكفيف الزرهوني، وهو واحد من ثلاثة أجفار شاعت بين المورسكيين في غرناطة وجهاتها، وهي تشتمل على تنبؤات بما سيقع في آخر الزمان وورد فيها أن الإسلام سيعود إلى الأندلس، وقد كانت تلك الأجفار مما بعث الأمل في نفوس أولئك المورسكيين الذين قاموا بثورة في جهات غرناطة وهي الثورة التي دونها المؤرخ الإخباري مارمول، وقد أورد في كتابه ترجمات لتلك الأجفار قام بها المورسكي ألونسو القستلي بأمر من المسؤولين عن محاكم التفتيش، ومنها ترجمة جفر طوق الحمامة للكفيف الزرهوني<sup>1</sup>.

وقد اقتضى تنسيق مادة هذا الجزء الخامس أن نختمه بجفرين من الأجفار التي ظهرت قبل إعلان الحماية الفرنسية في المغرب..

فأما أحدهما فهو القصيدة الزازية المشهورة ولاسيما لدى المراكشيين، وناظمها هو موقت مدينة مراكش في وقته الفقيه الموقت الأب وقد سقناها آنفا.

وأما الجفر الثاني فينسب إلى من اسمه سيدي لحسن أوعلي وفي كتاب القصيدة للأخ الزميل الدكتور عباس الجراري حل لنظم هذا الجفر ونثر لشعره وسرد لمعظم أبياته<sup>2</sup>. وقد ترجم الأستاذ المرحوم محمد الفاسي لصاحب هذا الجفر وبدأ الترجمة بقوله: «ورد في كناش الشليح ص 73 ما يلي: من كلام سيدي لحسن أوعلي رحمه الله. وذكر عروبيا طويلا فيه 36 بيتا وتذييله».

ولعل المقصود بالشليح هو الأستاذ عبد الله الشليح رئيس جمعية هواة الملحون بمراكش، وبعد أن ذكر الأستاذ الفاسي أول القصيدة وأخرها

---

1. راجع ما كتبناه هناك

2. القصيدة 351

الذي فيه تاريخ نظمها وهو عام 1274هـ قال : «وفي هذه الجفرية تنبؤات أولها لعام «احضاش» ولا يمكن أن يكون إلا عام 1311 وآخرها (أي آخر التنبؤات) عام 74 حيث قال : «ريح النصر في عام ربعة والسبعين<sup>(1)</sup>» أي موافق 1954م - 1955م ثم قال : «فإذا كانت هذه القصيدة غير مزورة وكتبت قبل الحوادث المذكورة فتكون إحدى الغرائب»، وقد استدرك بعد هذا قائلًا : «بعد التأمل ظهر لي أن هذه القصيدة الجفرية منحولة، وذلك لأن الخط للشيخ محمد بن عمر المراكشي فلعله هو الناظم ونسبها لهذا الشيخ الذي لا أعرف عنه أدنى شيء ولم أكن سمعت به من قبل»<sup>(2)</sup>.

وفي القصيدة ذكر لدخول الفرنسيين إلى بلاد توات :

نيران توات شاعت في سائر لرضين حركت فكيك حرها وصل السودان  
وهذا كقول الموقت في الزازية :

اغواه دخول وهران بلا تجهيز ، ودخول توات مالقي من فيه غزا  
وفي القصيدة أيضا ذكر لدخول الفرنسيين كذلك إلى وجدة والدار البيضاء :

وعلى وجدة مع البيضاء متفقين ناس التصريف كافة قالو بلسان  
يسعد من هو مقابل وقتو والدين حتى باتي الفرج ويكمل السلوان

وفيها أن الأجفار أخبرت بوصول الفرنسيين إلى المغرب :

يا أسفا الحق يبقى أو بين خبرو به لجفار يغبا ليس بيان

1- يعني عام 1374هـ

2- معنة الملحون ج 2 ق 2 ص 177، وقد أثبت الباحث عبد الرحمن الملحوني ولد التبيح ابن عمر هذه القصيدة منسوبة إلى سيدي لحسن اوعلي. انظرها في العدد الثاني من سلسلة ديوان الملحون له

من لام وفا ونون وصاد وسين إلى وصلو لفرنسا يبعد لحسان

وثمة شبه بين هذه القصيدة وبين القصيدة الجفرية المنسوبة إلى الشيخ الأكل التي سبقت الإشارة إليها<sup>(1)</sup>.

إن الشعر الجفري قديم في المغرب، ومعظمه من قبيل الأراجيز كأرجوزة المنجم عبد الواحد الضبي القرطبي الذي عاش في آخر القرن الثاني الهجري وقد تحدث المؤرخ ابن حيان حديثاً طويلاً عن هذا المنجم وساق خبره مع أمراء بني أمية وذكر أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن بقتله مع ما كان من إثارة واجتباؤه له<sup>(2)</sup>.

وأما أرجوزته فقد ظلت مرجعاً لأهل الحدثان حتى عهد الموحدين<sup>(3)</sup>، وممن نسبت إليهم أشعار جفرية عبد الملك بن حبيب<sup>(4)</sup> وابن عبد ربه<sup>(5)</sup> وابن الحنّاط<sup>(6)</sup> وابن مرانة السبتي الذي ذكر ابن خلدون في المقدمة أن له قصيدة في الملاحم على روى الراء قال : «وهي متداولة بين الناس وتحسب العامة أنها من الحدثان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا أنها مخصوصة بدولة لمتونة لأن الرجل كان قبل دولتهم، وذكر فيها استيلاءهم على سبتة من موالى بني حمود وملكهم لعدوة الأندلس»<sup>(1)</sup>. ومن الملاحم أو القصائد الجفرية

1. راجع ما تقدم ولنا أن تساعل عما إذا كانت القصيدتان نظمتا بعد السنوات والأحداث المشار إليها فيهما

2. المقتبس، السفر الثاني : 403 - 406

3. الاستبصار : 111 ونظم الجمان : 145

4. نظم الجمان : 144

5. نفسه.

6. نفسه

المغربية التي ذكرها ابن خلدون قصيدة تسمى التَّبعية وهي من المتقارب  
على روى الباء ذكر فيها كثيرا من دولة الموحدين قال : والظاهر أنها  
مصنوعة<sup>(2)</sup>.

ومن هذه الملاحم التي ذكرها ابن خلدون أيضا<sup>(3)</sup> وابن عذارى<sup>(4)</sup> ملحمة  
اليهودي ابن النغيلة وهي زجل تبلغ أبياته نحو الخمسمائة ذكر فيها  
قرانات دلت على دولة الموحدين، ومنها قصيدة من عروض المتقارب على  
روى الباء في حدثان دولة بني أبي حفص وتنسب لابن الآبار وهو غير  
ابن الآبار المشهور، وقد وقف ابن خلدون بالمغرب على ملحمة أخرى في  
دولة بني أبي حفص، وذكر أيضا ملحمة أخرى منسوبة إلى من سماه  
بالهوشني ونص على أنها ملعبة على لغة العامة في عروض البلد وأورد  
أولها ثم قال : «وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الأقصى».

وتعتبر ملحمة طوق الحمامة للكفيف الزرهوني التي نشرناها في الجزء  
الرابع من هذا العمل أقدم ملحمة عامية تامة وصلت إلينا ونحن نقدر أنه  
ظهرت ملاحم وجفريات بعدها في عهود الوطاسيين والسعديين  
والعلويين، ولكننا لا نعرف منها إلا ما يوجد في الرباعيات المنسوبة إلى  
سيدي عبد الرحمن المجدوب المتوفى سنة 976 هـ وفيها يذكر آخر  
الزمان والقرن 14 وقد عاش في زمن يدعو إلى القول في الجفريات إذ  
كان البرتغاليون يحتلون السواحل المغربية والسعديون يجاهدون من  
أجل إخراجهم منها ثم كان القرن 14 فظهرت الجفريات التي أشرنا إليها  
ومنها الجفرية المنسوبة إلى سيدي لحسن أو علي وهي التي نوردتها مع  
شرح بعض ألفاظها فيما يلي :

1. المقدمة 170.

2. نفسه

3. نفسه.

4. البيان المغربين قسم الموحدين: 228.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحِيمِ الْجَلِيلِ الْمُعِينِ  
وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَنْ جَدِّ الْحَسَنِ  
أَبُو آدَمَ تَاجُ جَمْعِ الْمُرْسَلِينَ  
بَعْدَ أَصْلَاتِ الرَّسُولِ نَوْضَحٌ بِالتَّيِّبِينَ  
بِهَاجِفَارٍ خَبَرُوا بِأَقْيَ سَنِينَ  
فِي عَامِ احْضَاشٍ<sup>(2)</sup> يَظْهَرُ تَخَوُّضُ الْعَيْنِ  
تَقْوَى الذِّيَابِ وَالسَّبْعُ يَرْجِعُ مَسْكِينُ  
وَهَلْ الرِّفْعَةُ تَخْمَدُ بَعْلًا مِنْ هُوَ شَيْنُ  
يَا أَسْفَى الْحَقِّ يَبْقَى أَوْيِينَ  
مَنْ لَامَ، وَفَاءُ وَرَاءَ، وَنُونُ. وَصَادُ وَسِينُ<sup>(6)</sup>  
لَهُ إِشَارَةٌ فِي عَامٍ وَاحِدٍ وَعَشْرِينَ  
يَأْتِي بِدَوِي عَلَى يَدِيهِ يَفْرَغُ لَخَزِينِ<sup>(7)</sup>  
قَبْلَ مَنْ أَعْدَادُ فِي ثَمْنِيَا وَالتَّسْعِينَ<sup>(8)</sup>  
نِيرَانِ أَتَوَاتُ شَعَلَتْ فِي سَائِرِ لَرُضِيِّينَ  
تَخْرُجُ لَحْرُوكَ عَامِ ثَمْنِيَا وَالرَّبْعِينَ<sup>(9)</sup>  
وَيُضِيقُ الْعَيْشُ عَلَى التَّاجِرِ وَالْمَسْكِينِ  
تَرْجِعُ الْقُلُوبُ قَاسِحًا مِنْ بَعْدِ اللَّيْنِ  
وَمَا يُوقَعُ عَامِ رُبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ<sup>(10)</sup>  
تَدْمَعُ الْعُيُونُ عَامِ سِتَّةٍ وَالْخَمْسِينَ<sup>(11)</sup>

مَفْتَحُ الْبَادِيِينَ بِسْمِ اللَّهِ اَعْوَانُ  
قَبْلَتْ أَرْوَاحُ لِأَجَلٍ كَانَتْ لَكُوَانُ  
إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ أَحْمَدُ سَيِّدُ عَدْنَانِ  
شَرَطُ السَّاعَةِ فَالْلُوحُ<sup>(1)</sup> نُصِيفُ حَلٍ فِي الزَّمَانِ  
نَظَرُوهَا فَالْلُوحُ بِأَحُو بِالْكُتْمَانِ  
وَتَفَرَّعَنْ الْجُرَّانِ<sup>(3)</sup> فِي جَمِيعِ الْوَيْدَانِ  
حَتَّى مُوَكَّا<sup>(4)</sup> تَصُولُ عَنْ جَمْعِ الْبِيزَانِ  
نَاسُ الرِّتْبَةِ تَعُودُ خَافِضَةٌ بَعْدَ الشَّانِ  
خَبَرُوا بِهِ الْجَفَارُ يَغْبَالِيسُ<sup>(5)</sup> يَبَّانُ  
إِلَى وَصَلُوا الْغَرْبَنَا بَعْدَ الْحَسَانِ  
مَنْ مِيمَ وَنُونُ زِدْنَا وَالزَّايُ بَبَيَانِ  
فَقَدْ الْقَضَةُ أَيَّامُ حَرْفُ الْفَاءِ فِي كَهَانِ  
يَلِيهِ ضَوْطِيرُ مَقْصُوصِ الْجُنْحَانِ  
حَرَقَتْ فُكْغِيكَ حَرْهَا وَصَلَ السُّودَانِ  
تَكْثُرُ لَهْوَالُ مَعَ شَدَّاتُ لَفْتَانِ  
وَيَتَوَلَّوُا الْحُكَّامُ الْقَوْمُ الطُّغْيَانِ  
يَحْرَاجُو هَلْ الْمَالُ وَيَكْثُرُ النِّينَانِ  
بَعْدَ الشَّدَّةِ عَنْ جَمْعِ الْبُلْدَانِ  
وَيَمُوتُ النَّاسُ بَيْنَ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ



يُظْهِرُ بَشَارَ عَامٍ تَسْعُودُ أَوْ سَتِينَ<sup>12</sup>  
ريحُ النَّصْرَا عَامَ رُبْعَةٍ وَالسَّبْعِينَ<sup>13</sup>  
يَطْلَعُ نَجْمٌ لِإِسْلَامٍ مَا بَيْنَ الْفَجْرَيْنِ  
وَعَلَى وَجْدَةٍ مَعَ الْبَيْضَاءِ مَتَفَقِينَ  
يَسْعَدُ مَنْ هُوَ مُقَابِلُ أَوْقَاتِهِ وَالِدَيْنِ  
آتَى لَنَا شَرِيفٌ مَتَقَلَّدٌ سَيَفِينِ  
آتَى لَنَا شَرِيفٌ عَزَّ الْمَضْيُومِينَ  
آتَى لَنَا شَرِيفٌ نُورُهُ مِنْ نُورَيْنِ  
هَابُ النَّصْرَا لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ  
تَرْجِعْ لِهُودٍ فِي أَرْمَانِهِ مَذْثُولِينَ  
اللَّهُمَّ بِحَقِّ تَكْوِينِ الْكَوْنِينَ  
وَبِحَقِّ الْعَرْشِ وَالْقَلَمِ بِحَقِّ الدِّينِ  
وَبِالْكَرْمِيِّ وَجَاءَ مَدَاحُ السَّبْطَيْنِ  
وَبِحَقِّ الْفَانَزِينَ بَسْرَارِ التَّمَكِينِ  
نَهَايَتُ مَا بَرَزَ بِهِ هَذَا النِّظْمُ حَصِينِ  
تَارِيخُهُ عَدُّ شَارٍ يَافَاهُمْ تَبْيِينِ

فِيهِ الْبَشْرَى تَبَانُ مَا بَاقِي كُتْمَانُ  
جَابُوا لَجْفَارٍ فِيهِ يَرْتَاحُ الْوُلْهَانُ  
يَصْبَحُ نُورُهُ شَرِيقٌ فِي سَايِرِ لُوطَانُ  
نَاسُ التَّصْرِيفِ كَافَّةً قَالُوا بَلْسَانُ  
حَتَّى يَأْتِيَ الْفَرَحُ وَيَكْمَلُ السَّلْوَانُ  
آتَى لَنَا هَيْبَتُ جَمِيعِ الطَّرْقَانُ  
فِي يَدِهِ حَرْبِي تَحْرَقُ الْعَدَا فِي الْبَدَانُ  
يَمْلِكُ تُونَسَ وَمَاحِدَاهَا مَنْ سَكَّانُ  
يَخْبِرُ دِينَ الْعُلُوجِ وَالرُّومِ وَرُمَانُ  
يَهْلِكُ حَبْرَهُمْ وَيَفْتَنُ الرَّهْبَانُ  
وَالْحَقُّ إِلَّا يَحُوطُ بِوَصَافُوا إِنْسَانُ  
وَبِحَقِّ لَا يَنْتَهَى جَهْرٌ أَوْ كُتْمَانُ  
وَبِحَقِّ اللَّوْحِ وَالنَّعِيمِ مَعَ رَضْوَانُ  
وَبِحَقِّ السَّاجِدِينَ لِلَّهِ الدِّيَانُ  
مَوْلَاهُ يَقُولُ : يَا سَامِعُ ذَا الْعُلْوَانُ  
بَاحَتْ بِهِ الْجَفَارُ نَتَهَى فِي شَعْبَانُ

«أَتَتْ أَيَّامُ الْهِنَا زَالَتْ لِأَحْزَانٍ»

## شرح بعض الألفاظ

- 1- يعني اللوح المحفوظ.
- 2- يعني عام 1311هـ وفي هذا العام توفي السلطان مولاي الحسن وتبدلت الأحوال بالمغرب.
- 3- الجران : الضفادع.
- 4- موكا : البوم.
- 5- يغبا : يخفى.
- 6- أي لفرنسس.
- 7- لعل الإشارة إلى فراغ بيت المال بسبب ثورة بوحمارة واضطرار المولى عبد العزيز إلى أخذ قرض من انكلترا وفرنسا علم 1321هـ (1903م) وكانت له عواقب وخيمة.
- 8- لعل الإشارة إلى مؤتمر مدريد عام 1298 في عهد المولى الحسن ولعل المقصود في الشطر الأخير من البيت.
- 9- لعل الإشارة إلى حوادث الظهير البربري في عام 1348هـ.
- 10- لعل الإشارة إلى الحرب العالمية التي اشتد أوارها عام 1334هـ (1915م)
- 11- لعل الإشارة إلى الحوادث التي كانت عام 1956 (1937).
- 12- لعل الإشارة إلى زيارة الملك المنعم محمد الخامس إلى فرنسا عام 1369 (1950) ومطالبته بالاستقلال.
- 13- لعل الإشارة إلى تبشير عودة الملك المنعم محمد الخامس وإعلان الاستقلال

## خاتمة

تم بحمد الله هذا العمل التراثي المتواضع الذي عنونته بتاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، وهو عنوان وضعت على سبيل التقريب إذ أن العمل وإن أرخ للأمثال والأزجال منذ ظهورهما إلى عصرنا فإنه يشتمل أيضا على منتخبات عديدة تمثل مختلف العصور من هذين النوعين من أنواع التراث الشعبي في الغرب الإسلامي، ومن هنا يعتبر العمل كذلك انطولوجيا كبيرة في هذا الموضوع ولو أنها فيما يخص الأزجال تقتصر على بعض ما يتعلق منها بالأحداث.

وهو من جهة أخرى ينتمي إلى تحقيق النصوص وما يقتضيه من ضبط وشرح وتعليق وتقديم ونظرا لكثرة المادة فقد اضطررت إلى الإيجاز في ذلك كله ولو توسعت لكان العمل أكبر مما هو الآن.

وفي العمل كذلك مضمون تاريخي يتمثل في المادة التي جمعتها حول شخصية أبي الحسن المريني، وقد يقول البعض إن جمع المادة هو الغالب، في هذا العمل ولعلي أجيب بأن الجمع أساس لما سواه وهو يسبق مرحلة التحليل، وربما يلاحظ آخرون أنني أدرجت بعض الترجمات الأجنبية والحققتها بأصولها العربية، وقد بررت ذلك بأن بعضها يتعلق بأعمال شخصية لي وأنه يمثل وضربا من الزمالة الأكاديمية نموذجا من التعاون العلمي بين المحقق والمترجم، وأما بعضها الآخر فقد وجدته مترابطا في المصادر التي نقلت منها، وتكاد هذه التراجم تكون توضيحا لتلك النصوص العامة القديمة فضلا عن دلالتها التاريخية وأرجو أن لا أكون مخطئا في هذا الاجتهاد.

ولا أستبعد في الأخير أن يوجد من يقول ما لنا وللأشتغال بهذا الكلام العامي وهذا رأي غير رشيد، وقد كان سببا في ضياع معظم التراث العربي العامي الذي كان دائما في الثقافة العربية قسيما للتراث الخاصي كما نبه على ذلك الجاحظ وابن خلدون وغيرهما.

وقد افتتحت هذا العمل بكلام في الموضوع لابن قتيبة وأختمه بدعاء ورد في آخر كتاب الأمثال المولدة (العامية) لبديع الزمان الهمداني قال :

« اللهم إنا نسألك قولا بالحق وعملا به، وطلبا للرشد وانتهاء إليه، ونعوذ بالله من أن ينقلنا الهزل عن الجد، وأن يستحوذ علينا الباطل دون الحق، وأن نهرب إلى دعة الجهل وطلاوته عن تكلف العلم ومرارته، وأن يغرنا ثناء الناس علينا عن أنفسنا ويغلبنا حسن ظنونهم على يقيننا وأن نقنع من العلم بالتخلف ونرضى من الأدب بالاسم ومن الفهم بالرسم».



## فهرس الأعلام \*

أبن قزمان	137.29.141.13.12.1175:	أبو القاسم (أبن حمدين) :	24 :
أبن سعید	35 -7:	مدغلیس	137-36-35-34-29-28-27:
الفونسو	33 :	عثمان (أمیر موحدی)	30-29 :
أبن خفاجة	7 :	أبو العباس أحمد (أمیر موحدی)	30 :
Lagarder	7 :	أبو یحیی (أمیر موحدی)	30 :
إمیلو غرسية غومت	7:	أبن صنادید	39-34-30:
أبن وهیون	8 :	أبو تمام	36-31.
أبن حمديس	33-10, 9:	الأهواني	31 :
أبن عباد (المعتمد)	9 :	المراكشي (عبد الواحد)	32 :
يامن	9 -	الجرای (أبو العباس)	33-32 :
يامن يوسف (نبي الله)	9	أبن حزمون	32 :
يوسف (أبن تاشفين)	16 - 10 - 9 :	أبن عذاري	287-32 :
عصام (المضروب به المثل)	9 :	أبن مبارکشاه	151-35 :
سام	9 :	أبو نواس	35 :
حام	9 :	أبو الفضل	35 :
ادفونس	9 :	أبن خلدون	380-379-129-113-46-41:
يعقوب المنصور	34 :	الوادي أشي	42 :
حمير	9 :	القيسي (محمد)	68-50-49-43 :
لخم	9 :	فرناند الرابع (ملك قشتالة)	45 :
الشاطبي (أبو الحسن علي)	12-11-	خايمي (II) (ملك أغون)	45 :
الحلي (صفي الدين)	129 -114-35 -29 :	أبن الخطيب (لسان الدين)	157-114-45 :
القردينال (الكاردينال)	12 -11:		160-159
أبن حمدين	20 :	أبو الجيوش	81-45 :
بني حمدين	25	بنو نصر	45 :
جعفر (البرمكي)	130-21 .	بنو مرين	52 -45 :

\* هو حسب ورود العلم أول مرة.

ابن الفخار (الوزير) : 150	عثمان بن أبي العلاء : 46
ابن عبد الملك (المراكشي) : 152	ابن الفحام (أحمد بن إبراهيم) : 46
الغني بالله (السلطان النصري) : 160	ابن القاضي (أبو العباس أحمد) : 46-47
البرميخو (لقب سلطان نصري) : 162	البرجلوني (البرشلوني) : 46
ابن عاصم (أبو يحيى) : 169	ابن النغيل (أحمد بن قاسم) : 46
الشران (أبو عبد الله) : 169	ابن خاتمة : 47
المقري (أبو العباس) : 170	شعيب بن أحمد : 47-81
ابن النحوي : 171	بروفنسال (ليفي) : 50
ابن زمرك : 172	جومي (خايمي) : 54-64
الفساني (صاحب الحديقة) : 171	الرنداحي (أبو الحسن علي) : 81
الجراري (الدكتور عباس) : 173-210-277-	ابن طلحة (أبو العباس أحمد) : 82
331-327-280	ابن أبي بكر (أبو عبد الله محمد) : 82
الفاسي (الأستاذ) : 173-185-277-	ابن أبي العلاء (أبو سعيد عثمان) : 84
331-287-280	ابن عباس (محمد الصواف) : 91-101
بوعمر (محمد بن علي) : 173	نيكل (المستشرق) : 93
ابن عيود (الفاسي) : 183-197-220-371-	اللوشي (محمد) : 111-113-114-119
عمرو الوطاسي : 185-189-196	ابن عمير (الفاسي) : 133-135-136-141
أحمد الأعرج السعدي : 185	ابن شجاع التازي : 127-129-130
أحمد الوطاسي : 185	ابن الأحمر (السلطان) : 113
الناصر (أبو العباس) : 185	ابن عبد العزيز (والي بلنسية) : 114
الشاد (مولاي) : 186	شيوخ (إبراهيم) : 114
هبد الله احساين : 186	ابن الزقاق : 114
المهدي (مولاي) : 186	ابن حسون : 145-147-148-150
المغراوي (عبد العزيز) : 207-209-210-	عمر (الفقيه) : 129-167-169-170
المنصور (السعدي) : 209	ابن بطلان : 129-130
الذهبي (أحمد المنصور) : 216	الدباغ (زجال) : 129
يعقوب (النبي) : 212	أبو الحسن (السلطان المريني) : 147
يوسف (النبي) : 212	يوسف بن يعقوب (السلطان المريني) : 147
الأخضر بن مخلوف : 217-219-327-	أبو ثابت (سلطان مريني) : 147
379-328	

- الجيلالي عبد الرحمن (مؤرخ) : 219
- حسن بن خير الدين : 219
- الكوديت (جنرال إسباني) : 219
- محمد السويدي : 223
- بني راشد : 223
- أبو بكر السويدي : 223
- سويد : 223
- بني عبد الوار : 223
- مغراوة : 223
- الخنقة : 223
- الثغالي (سيدي عبد الرحمن) : 223-243-328
- سعد الله (أبو القاسم) : 221-236
- ولد عمر (زجال جزائري) : 233
- فانيان (مستعرب) : 235
- باب محمد (الداي) : 235
- ابن زاكور : 235
- داربوا (سفير) : 235
- سيدي بوجمعة : 243
- سيدي ابن عبد الله : 243
- سيدي الكتاني : 244
- سيدي السعدي : 244
- سيدي الفاسي : 244
- سيدي ديدي : 244
- سيدي عبد القار (الكيلاني) : 244
- محمد الصادق (باي تونس) : 257
- مصطفى بن إسماعيل : 257
- خير الدين (المصلح التونسي) : 257
- بريار (جنرال) : 259
- الجبرتي : 278
- جحاف (لطف الله) : 278
- محمد الجيلالي الهامشي : 278
- نابوليون بوناپرت : 278-280
- آل الشرايبي : 279
- عمر بن الخطاب : 279-281
- عمرو بن العاص : 279-281
- سونك : 258-290
- ولد ارزين (محمد الشريف) : 275-277
- الغزال (صاحب الرحلة) : 287
- محمد بن الحسن السلوي : 285
- معينو (الحاج أحمد) : 287
- بوشعرا (مصطفى) : 287
- القعبوري : 287
- ابن حسون (سيدي عبد الله) : 291-292-293
- بخوشة : 277
- بنعاشر (سيدي أحمد) : 293
- سيدي أمحمد (مول الكمري) : 292
- سيدي أحمد الطالب : 292
- ابن الحفيان : 293
- سيدي ميمون الكوش : 249
- سيدي جلول : 249
- سيدي بلعباس : 294
- سيدي لحسن العيدي : 294
- سيدي علي بن يوب : 294
- لالة الشهباء : 294
- لالة رقية : 294
- سيدي بدر : 294
- سيدي السباعي : 294
- سيدي أحمد الجزار : 294

294 :	سيدي عبد الله الجزار	357 :	عمر السكتاني
309 :	افيلا (المفصل)	361-329 :	بني يزناسن
353-307 :	ادريس السناني (لحنش)	361 :	بني جيل
311 :	أبو نعيم (مؤلف الحلية)	363 :	الزهراء (مولاتنا فاطمة)
309 :	ابن تاويت	363 :	الحسن (السيبط)
311 :	أبو زر	363 :	الحسين (السيبط)
311 :	النووي	371 :	العميري (الفقيه)
323 :	السعداني	371 :	الموقت المراكشي (الأب)
325 :	العمروى (ابن ادريس)	371 :	الموقت الابن
325 :	ابن عزوز	375 :	سيدي لحسن أو علي
325 :	التسولي	377 :	الزهروني
325 :	الكربودي	377 :	مارمول
326 :	الايفراني (الطاهر)	377 :	القستلي
326 :	الجشتيمي	377 :	الشليح (عبد الله)
326 :	غريط (محمد)	378 :	محمد بن عمر (الملحوني)
326 :	المشرقي (محمد)	379 :	ابن حيان (المؤرخ)
327 :	البرجي (قدور)	379 :	الضبي (عبد الواحد)
327 :	عبد القادر (الأمير)	379 :	محمد بن عبد الرحمن (الأمير الأموي)
328 :	حسين (داي الجزائر)	379 :	عبدس الملك بن حبيب
331 :	السعداني (هاشم)	379 :	ابن عبد ربه
330 :	المولى عبد الرحمن (السلطان العلوي)	379 :	ابن الحنّاط
351 :	المنوني (الفقيه)	379 :	ابن مرانة
335 :	كسرى	380 :	المجنوب عبد الرحمن
353-351 :	بناني (عبد الهادي)		
363-354-353 :	المولى عبد الحفيظ		
360 :	سيدي يحيى		
360 :	سيدي عقبة		
354 :	درد (الجنرال)		
354 :	دماد (الجنرال)		



## فهرس الأماكن\*

81 :	بركة الصفر	7 :	المغرب
81 :	الفنت	7 :	صفد
86 :	المناظر	7 :	فلسطين
87 :	العرقوب	33-31-8 :	الزلاقة
89 :	القصبه (قصبه المرية)	13 :	الجزيرة (الاندلس)
93 :	هولندا	24-19-16 :	الاندلوس (الاندلس)
95 :	الصعيد	16 :	العدوة (المغرب)
97 :	العراق	19 :	لمتونة
114 :	بلنسية	41 :	الحجاز
129 :	تيط	24 :	السوس
298-135 :	فاس	34-33-31 :	الأرك
160 :	رندة	34 :	العقاب
172-171-160 :	غرناطة	57-56-45 :	الجزيرة الخضراء
290-289-287-235 :	سلا	45 :	طريف
235 :	الدنمارك	45 :	جبل طارق
209 :	تافيالات	45 :	سبته
236-235-221 :	الجزائر (العاصمة)	56 - 47 - 46 - 45 :	المرية
209 :	امفرا	47 :	أرغون
217 :	مزغران	48 :	الجزائر
239 :	الرباط (رباط الفتح)	48 :	لاردة
239 :	مستفانم	63-57-56 :	قشتالة
220 :	متيجة	57 :	برتقال
257-255 :	قفصة	66 :	لقنت
257 :	تونس	67 :	لقنت الكبرى

\* هو حسب ورود المكان أول مرة.

277 :	مصر
278 :	القاهرة
278 :	الغورية
278 :	البحيرة
309 :	المغرب
309 :	اسبانيا
309 :	تطوان
313 -289 :	كيتان
147 :	تلمسان
325 :	فرنسا
378 -317 :	وهران
354 -329 :	الدار البيضاء
329 :	الشاوية
331-329 :	وجدة
330 :	إيسلي
349 -342 :	البردقيز (البرتغال)
371 :	مراكش
373 :	أمزميز
372 :	باريز
378 :	توات
378 :	السودان
378 :	فكيث

## مصادر ومراجع

- ديوان ابن قزمان  
المغرب في حلي المغرب،  
السفينة لابن مباركشاه  
العاطل الحالي والمرخص الغالي، لصفي الدين الحلي،  
عدة المجلس، ومؤانسة الوزير والرئيس، لابن بشرى،  
حدائق الأزاهر، لابن عاصم،  
المقتطف، من أزاهر الطرف، لابن سعيد،  
نفع الطيب، للمقري،  
تثير الجمال، لابن الأحمر،  
تثير فرائد الجمال له أيضا،  
الإحاطة، لابن الخطيب،  
البيان المعرب، لابن عذارى،  
الذيل والتكملة، لابن عبد الملك،  
التكملة، لابن الآبار،  
المقدمة، لابن خلدون،  
درة الحجال، لابن القاضي،  
العبر، لابن خلدون،  
اللمحة البدرية، لابن الخطيب،  
المعجب، لعبد الواحد المراكشي،  
الاستقصا، للناصرى،  
ألف ليلة وليلة، تحقيق محسن مهدي،  
الديوان المطرب، في أقوال عرب إفريقية والمغرب، لسونك،  
كتاب أدباء مالقة، لابن عسكر وابن خميس المالقيين،  
ديوان ابن الزقاق،  
نفاضة الجراب، لابن الخطيب تحقيق أحمد مختار العبادي.



- نفاضة الجراب، تحقيق السعدية فاغية.
- ازهار الرياض، للمقري.
- نيل الابتهاج، لأحمد بابا.
- نظم الجمان، لابن القطان.
- رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الاجفان.
- جنة الرضى، لابن عاصم، تحقيق صلاح جرار.
- روضة الاعلام، لابن الأزرق تحقيق سعيدة العلمي.
- حديقة الأزهار، للغساني، تحقيق محمد العربي الخطابي.
- كناش الحايك (طبعة الأكاديمية).
- الزجل في المغرب - القصيدة لعباس الجراري.
- من وحي الرباب، جمع الحاج عبد الكريم الرايس.
- الإتحاف الوجيز، لمحمد بن علي الدكالي.
- مظاهر يقظة المغرب الحديث، لمحمد المنوني.
- ديوان سيدي الأخضر بن خلوف.
- مادة الملحون في دائرة المعارف الإسلامية.
- كتاب الاستبصار، لمؤلف مجهول.
- وصف إفريقيا، لليون الإفريقي ترجمة حجي والأخضر.
- المحاضرات لليوسي - تحقيق حجي والشرقاوي.
- تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله.
- تاريخ الجزائر العام - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي.
- معجم كولان للعامة المغربية (الطبعة المغربية).
- تكملة المعاجم العربية، لدوزي.
- الدارجة المغربية. مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، لمحمد شفيق.
- رحلة ابن بطوطة.
- عجائب الآثار، للجبرتي.
- الإتحاف الوجيز، لمحمد سي - كالي.
- مظاهر يقظة المغرب الحديث، للفقير المنوني.
- ديوان ابن زمرك.



